منهج ابن الضياء في تفسيره سورة طه أنموذجًا دراسةً وتحقيقًا

2023

أطروحة دكتوراه

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Musab ALSAFAR

المشرف

Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN

منهج ابن الضياء في تفسيره سورة طه أنموذجًا دراسةً وتحقيقًا

Musab ALSAFAR

المشرف

Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN

بحث أُعدّ لنيل درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية بمعهد الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

كارابوك

تموز/2023

المحتويات

المحتويات 1
صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية) 3
صفحة الحكم على الرسالة..... 4
DOĞRULUK BEYANI 5
تعهد المصداقية..... 6
مقدمة 7
ملخص الرسالة باللغة العربية 10
ÖZET..... 12
ABSTRACT 14
ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ 16
بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية) 17
ARCHIVE RECORD INFORMATION 18
الاختصارات..... 19
موضوع البحث 20
أهداف البحث وأهميته 20
منهج البحث 21
مشكلة البحث..... 21
حدود البحث ونطاقه والمشكلات التي واجهت الباحث..... 21
الدراسات السابقة (إنْ وُجِدَتْ) 22
منهج الباحث في قسم التحقيق 23
الفصل الأول: مدخل إلى سورة طه 25
المبحث الأول: علوم القرآن المتعلقة بسورة طه..... 25
المبحث الثاني: موضوعات سورة طه والقيم التربوية منها 38
المطلب الأول: موضوعات سورة طه 38
المطلب الثاني: القيم التربويَّة في سورة طه 41
الفصل الثاني: التعريف بابن الضياء ومخطوطته 48
المبحث الأول: ترجمة ابن الضياء 48
المطلب الأول: حياة ابن الضياء الشخصية وتأثير البيئة المحيطة به في تكوينه 48
المطلب الثاني: حياة ابن الضياء العلمية والعملية..... 54

المبحث الثاني: التعريف بمخطوط ابن الضياء 61
المطلب الأول: قيمة الكتاب العلمية ومزاياه 61
المطلب الثاني: المآخذ على هذا التفسير 63
المطلب الثالث: التعريف بمخطوط ابن الضياء 64
المطلب الرابع: وصف المخطوط وصور من نسخته 65
الفصل الثالث: القسم المحقق 70
الفصل الرابع: مصادر ابن الضياء ومنهجه في (تفسير القرآن العظيم في سورة طه) 312
المبحث الأول: مصادر المؤلف في تفسيره 312
المطلب الأول: مصادر المؤلف في تفسيره 312
المبحث الثاني: منهج ابن الضياء في تفسيره 321
المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن (عند ابن الضياء) 321
المطلب الثاني: تفسير القرآن بالحديث النبوي (عند ابن الضياء) 322
المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين (عند ابن الضياء) 325
المطلب الرابع: موقفه من التفسير الإشاري 327
المطلب الخامس: منهجه في ذكر الإسرائيليات. 330
المطلب السادس: منهجه في عرض القراءات 332
المطلب السابع: منهجه في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق 337
المطلب الثامن: منهجه في المسائل الفقهية 341
المطلب التاسع: عنايته في المسائل اللغوية 342
المطلب العاشر: عنايته في المسائل البلاغية 347
المطلب الحادي عشر: التفسير التحليلي عند ابن الضياء 350
الخاتمة 354
النتائج والتوصيات 355
المصادر والمراجع 360
السيرة الذاتية 394

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)

Musab ALSAFAR tarafından hazırlanan “İBNU'Z-ZİYA'NIN TEFSİRİNDEKİ METODU: TAHA SURESİ ÖRNEGİNDE BİR İNCELEME VE TAHKİK” başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN .....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Doktora tezi olarak kabul edilmiştir. 04.08.2023

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu) İmzası

Başkan: Doç.Dr. Tuğrul TEZCAN (KBÜ) .....

Üye : Doç.Dr. Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA (KBÜ).....

Üye : Doç. Dr. Aydın KUDAT (AYBÜ) .....

Üye : Dr Öğr. Üyesi. İbrahim İBRAHİMOĞLU (GOPÜ) .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi: Ali Ali Gobaili SAGED (UM) .....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN .....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب مصعب السفر بعنوان "منهج ابن الضياء في تفسيره سورة طه أنموذجاً دراسةً وتحقيقاً" في برنامج الدكتوراه هي مناسبة كرسالة الدكتوراه.

Doç. Dr.Tuğrul TEZCAN .....

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الدكتوراه هذه بالقبول بإجماع لجنة المناقشة بتاريخ.

04.08.2023

أعضاء لجنة المناقشة		**التوقيع**
رئيس اللجنة	: Doç.Dr. Tuğrul TEZCAN (KBÜ)	.....
عضواً	: Doç.Dr. Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA (KBÜ)	.....
عضواً	: Doç. Dr. Aydın KUDAT (AYBÜ)	.....
عضواً	: Dr Öğr. Üyesi. İbrahim İBRAHİMOĞLU (GOPÜ)	.....
عضواً	: Dr. Öğr. Üyesi: Ali Ali Gobaili SAGED (UM)	.....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN .....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Doktora tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Musab ALSAFAR

İmza:

تعهد المصداقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"منهج ابن الضياء في تفسيره سورة طه أنموذجاً دراسةً وتحقيقاً"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات، أو كتب، أو أبحاث، أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الاشارة اليه حيثما ورد.

اسم الطالب: مصعب السفر

التوقيع: .....

الشكر والتقدير

الشكر موصول لسعادة الدكتور الأستاذ المشارك: توغرول تيزجان المتكرم علي بإشرافه على هذا العمل، والذي كان متابعاً له بعناية واهتمام كبيرين، فجزاه الله عني كل خير. كما أتوجه بالشكر لفضيلة الدكتور المشارك: أيدن كودات والدكتور المساعد: حسام موسى محمد شوشة، الذين كان لهما الفضل في متابعة هذه الرسالة وإبداء ملاحظاتهما القيمة، واللجنة العلمية المناقشة، فلا أنسى فضلهم وتوجيهاتهم القيمة، الدكتور المساعد: أويس إبراهيم أوغلو، والدكتور المساعد: علي جبيلي. أقول لهم جزاهم الله خيرا. وأهدي ثواب هذا العمل لمن كان دعاؤهما محيط بكل جوانب حياتي-أبي وأمي-رحمهما الله تعالى، وأسكنهما فسيح جناته.

وأختم شكري وامتناني لمن كان لها الأثر المباشر في متابعة التحصيل العلمي، والمعينة والمشجعة لي في مسيرتي، رفيقتي دربي، زوجتي د. فاتن الريمي، ولكل من ساعدني وساندني في هذه المرحلة، لهم مني كل المحبة والتقدير.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، إله لا ضدَّ، ولا ندَّ، ولا والد، ولا ولد له، حكم فعدل، وأعطى فأجزل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَـدِيداً * يُصۡـلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 70-71].

وأشـهد أن حبيبنا محمداً رسـول الله، خاتم النبيين وإمام المرسـلين، أرسـله رحمةً للعالمين، اللهم صـلي عليه وعلى آله وعلى أصحابه أجمعين. وبعد :

فقد شـرَّف الله -تعالى-هذه الأمة بهذا الكتاب، فرفع به ذكرها، وأعلى به شـأنها، ونصـرها به على من عاداها. وقد تسـارع أهل العلم وأصـحابه وطلابه مجتهدين بكل حواسِّـهم وقوتهم يغتنمون أوقاتهم بجدٍّ ومثابرة في تعلُّم القرآن وعلومه والغوص بين طيَّاته، فمنهم من فاق غيره في القراءات والتجويد، ومنهم من برع في التفســـير، ومنهم من اعتنى بعلوم أخرى، فتركوا تراثاً جمَّـاً فيمـا يتعلق بالقرآن الكريم من العلوم والفنون. وكان من هؤلاء الأعلام من أهل القرن التاســـع الهجري محمد بن أحمد ابن الضـــياء العمري الصاغاني، فكان لـه العديد من المصنفات المتعلقة بالقرآن وغيره، ومن أبرزها: تفسير القرآن العظيم (سورة طه -الأنبياء- الحج)، فرغبت في إثراء المكتبة الإسلامية بإخراج جزء من هذا المخطوط بحلة يستفيد منها إخواني من طلاب العلم من حيث الدراسـة لهذا الكتاب وتحقيقه، ضـمن مسـار رسـالة علمية لنيل درجة "الدكتوراه". هذا وقد كان هذا العمل في شعبة التفسير وعلومه في كلية الإلهيات في جامعة كارابوك-تركيا.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وأربع فصول وخاتمة.

تناول الفصل الأول مدخلاً إلى سورة طه. وفيه: علوم القرآن المتعلقة بسورة طه، والدروس المستفادة منها، والقيم التربوية فيها.

وتناول الفصل الثاني من الدراسة التعريف بابن الضياء ومخطوطته من ترجمة لابن الضياء حول حياة ابن الضياء الشخصية، والعلمية والعملية وثناء العلماء عليه وكيف تأثر بالبيئة المحيطة به. وكذلك التعريف بمخطوط ابن الضياء، من بيان اسم الكتاب وصحة نسبة إلى المؤلف، ووصف المخطوط وصور من نسخته، وتناول الفصل الثالث القسم المحقق.

وتناول الفصل الرابع: مصادر ابن الضياء في تفسيره (تفسير القرآن العظيم في سورة طه)، ومنهجه في تفسيره من تفسير القرآن بالقرآن والحديث النبوي، وأقوال الصحابة والتابعين، ومنهجه في ذكر الإسرائيليات، وعرض القراءات، وتقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق، ومنهجه في المسائل الفقهية والأصولية، وفي القضايا اللغوية والبلاغية. كما تناول التفسير التحليلي عند ابن الضياء. وتناولت الخاتمة النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث.

ملخص الرسالة باللغة العربية

تنوعت المؤلفات العلمية في المكتبات الإسلامية بشكل كبير وملحوظ، فقد اجتهد العلماء من بداية عصر التأليف إلى البحث والتأليف في كل المجالات، وكان من هؤلاء العلامة ابن الضياء، فكتب في العديد من العلوم والفنون، وكان مما كتب فيه تفسير القرآن العظيم. وقد اعتنى هذا البحث بترجمة للعلامة ابن الضياء ودراسة لتفسيره وبيان منهجيته فيه، وتحقيق جزء من تفسيره المسمى تفسير القرآن العظيم

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وأربع فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول مدخلاً إلى سورة طه. وفيه: علوم القرآن المتعلقة بسورة طه، والدروس المستفادة منها، والقيم التربوية فيها. وتناول الفصل الثاني من الدراسة التعريف بابن الضياء ومخطوطته من ترجمة لابن الضياء حول حياة ابن الضياء الشخصية، والعلمية والعملية وثناء العلماء عليه وكيف تأثر بالبيئة المحيطة به. وكذلك التعريف بمخطوط ابن الضياء، من بيان اسم الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف، ووصف المخطوط وصور من نسخته. وتناول الفصل الثالث القسم المحقق. وتناول الفصل الرابع: مصادر ابن الضياء في تفسيره (تفسير القرآن العظيم في سورة طه)، ومنهجه في تفسيره من تفسير القرآن بالقرآن والحديث النبوي، وأقوال الصحابة والتابعين، ومنهجه في ذكر الإسرائيليات، وعرض القراءات، وتقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق، ومنهجه في المسائل الفقهية والأصولية، وفي القضايا اللغوية والبلاغية. كما تناول التفسير التحليلي عند ابن الضياء. وتناولت الخاتمة النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث.

وقد توصلت هذه الرسالة إلى مجموعة من النتائج، كان من أهمها: المكانة الكبيرة لابن الضياء في تأليف العلوم والفنون، ومناصرته لمذهب أهل السنة والجماعة، ووسطيته البعيدة عن التعصب. واشتمال تفسير ابن الضياء على الكثير من الفوائد النفيسة والعلوم المفيدة. وقد جمع ابن الضياء في تفسيره بين

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور كمادَّةٍ علمية، تنوع مباحث علوم القرآن في تفسيره من مناسبات والوجوه والنظائر والناسخ والمنسوخ وغيرها، حسن السبك والترتيب بين الأقوال التي يوردها في تفسير الآية، لكنه لا يتعقبها برأي له، مكتفٍ بالجمع والترتيب، أضف إلى ذلك وجود الإسرائيليات والروايات الموضوعة في تفسيره من دون أن ينبه على صحة الرواية أو أن الرواية المذكورة من الإسرائيليات، والحمد لله أولاً وآخراً.

الكلمات المفتاحية: أبو البقاء ابن الضياء، تفسير ابن الضياء ،سورة طه، منهج، دراسة، تحقيق

ÖZET

Bilimsel çalışmalar İslam kütüphanelerinde önemli ve dikkate değer bir çeşitlilik sergilemektedir. Bilim insanları, yazılı eserlerin oluşturulduğu dönemden itibaren çeşitli alanlarda araştırma yapma ve eser yazma çabasına girişmişlerdir. Bu bilim insanlarından biri de İbnü'd-Dıyâ olarak bilinmektedir. O, çeşitli ilim ve sanat dallarında eserler kaleme almış ve büyük bir çabayla Kuran'ın tefsiri üzerine çalışmıştır. Bu çalışma, İbnü'd-Dıyâ'nın hayat hikayesini, tefsirini ve tefsir yöntemini açıklamayı amaçlamaktadır. Aynı zamanda "Tefsiru'l-Kur'ani'l-Azîm" isimli tefsirinin bir bölümünün tahkikini içermektedir.

Çalışma, giriş, dört bölüm ve sonuç bölümünden oluşmaktadır. Birinci bölüm, Taha Suresi'ne giriş niteliğindedir ve içerisinde Taha Suresi ile ilgili Kuran ilimleri, buradan çıkarılan dersler ve içerdiği eğitsel değerler ele alınmaktadır. İkinci bölüm, İbnü'd-Dıyâ'nın tanıtımını ve el yazmasının tanıtımını içermektedir. İbnü'd-Dıyâ'nın kişisel, ilmi ve iş hayatıyla ilgili bir biyografi sunulmakta, diğer bilginlerin ona yönelik övgüleri ve çevresel etkileri üzerine incelenmektedir. Aynı zamanda İbnü'd-Dıyâ'nın eseri olan el yazmasının ismi, yazarının doğrulanması, el yazmasının tanımı ve resimleri ile beraber sunulmaktadır. Üçüncü bölüm, metin düzenlemesini ele almaktadır. Dördüncü bölümde ise İbnü'd-Dıyâ'nın Tefsiru'l-Kur'anil-Azim fi Tefsiri Taha adlı eserinde kullandığı kaynaklar ele alınmaktadır. Ayrıca tefsir yöntemi incelenmekte yani Kur'an'ın Kur'an ve Hadislerle, Sahabe ve Tabiûn sözleriyle ve de İsrailî rivayetlerle tefsir yöntemi üzerinde durulmakta, yine kıraatların arzı, inanç konularının işlenişi ve farklı mezheplere yönelik eleştirileri, fıkhî ve usûlî, belâgi ve lugavî meselelerdeki metodu ele alınmaktadır. Ayrıca İbnü'd-Dıyâ'nın tefsiri de tahlil edilmiştir. Sonuç bölümünde ise araştırmacının ulaştığı incelemeden elde edilen bulgular ve araştırmacılar için öneriler sunulmaktadır.

İnceleme neticesinde ulaşılan bulgulardan bazıları şöyledir:

İbnü'd-Dıyâ'nın bilim ve sanat alanında önemli bir yere sahip, Sünni mezhebini destekleyen ve aşırılıklardan uzak duran bir ilim insanıdır. Tefsiri, değerli ve faydalı ilimlerle doludur. Tefsiri, aklı ve nakli kullanılarak bilimsel bir içeriğe dönüştürülmüştür. Tefsirinde İbnü'd-Dıyâ, Kur'an ilimlerini çeşitli yönleriyle ele almıştır. Bu ilimler arasında Vucûh ve Nezâir, Nasih ve Mensuh gibi konular yer

almaktadır. İbnü'd-Dıyâ, ayet tefsiri hususunda irad edilmiş görüşleri güzel bir tertip ve düzen içinde oluşturmuştur fakat kişisel düşüncelerini belirtmekten kaçınmıştır. Bunun yanı sıra, İbnü'd-Dıyâ'nın tefsirinde İsrailiyyat ve uydurma rivayetlerin yer aldığı gözlemlenmiştir, ancak bu rivayetlerin doğruluğuna dair herhangi bir uyarı veya bunların İsrailiyyat kaynaklarından olduğunu belirten bir açıklama yapılmamıştır.

Anahtar Kelimeler: Ebu’l-Bekâ İbnü’z-Zıyâ, Tefsir-i İbni’z-Ziyâ, Taha Suresi, Metod, İnceleme, Tahkîk

ABSTRACT

The scientific works in Islamic libraries witnessed significant and remarkable diversity. Scholars diligently engaged in research and writing across various fields since the beginning of the authorship era. One of these eminent scholars was Ibn al-Dhiyaa, who authored numerous works in different sciences and arts, including an extensive commentary on the Holy Quran. This research focuses on translating and studying the commentary of Ibn al-Dhiyaa, elucidating his methodology, and presenting a critical edition of a part of his commentary titled "Tafsir al-Quran al-Azim" (The Exegesis of the Noble Quran).

The study consisted of an introduction, four chapters, and a conclusion. The first chapter provided an introduction to Surah Taha, including the Quranic sciences related to it, the lessons derived from it, and the educational values it encompasses. The second chapter focused on introducing Ibn al-Dhiyaa and his manuscript, presenting a biography of Ibn al-Dhiyaa covering his personal, scholarly, and practical life, as well as the praise he received from other scholars and how he was influenced by his surrounding environment. This chapter also included information about the manuscript of Ibn al-Dhiyaa, including the title of the book, its attribution to the author, a description of the manuscript, and images of its copy.

Chapter three addressed the critical analysis section. In chapter four, the study explored Ibn al-Dhiyaa's sources in his commentary "Tafsir al-Quran al-Azim" on Surah Taha. This chapter discussed his methodology in interpreting the Quran, which involved using the Quranic verses, Prophetic traditions (Hadith), the statements of the Companions and the followers, his approach to mentioning Israelite narratives (Israiliyat), presenting different Quranic readings (Qira'at), and addressing matters of belief while refuting sectarian ideologies. Furthermore, the chapter examined his approach to jurisprudential, theological, linguistic, and rhetorical issues, as well as his analytical approach in interpretation.

The conclusion summarized the findings and recommendations reached by the researcher.

This thesis has arrived at several important conclusions, among them: the significant stature of Ibn al-Dhiyaa in the field of writing sciences and arts, his support for the school of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah (the Sunni mainstream), and his moderate approach free from extremism. Ibn al-Dhiyaa's commentary contains a wealth of precious benefits and useful knowledge. He skillfully combined reasoned interpretation (tafsir bil-ra'y) with transmitted interpretation (tafsir bil-ma'thur) as a scholarly approach. His commentary covers various aspects of Quranic sciences, such as occasions of revelation, different interpretations, analogical reasoning, abrogating and abrogated verses, and more. He presented the diverse opinions related to the interpretation of a verse without imposing his own view, opting instead for compilation and arrangement.

Additionally, Ibn al-Dhiyaa's commentary includes Israelite narratives and fabricated traditions without verifying their authenticity or indicating that they are indeed from the Israelite narratives.

Keywords: Abu_Albakaa Ibn_Aldiaa; Tafseer Ibn_Aldiaa; Surah Taha; Method; Analysis; Tahkik

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	İbnu'z-Ziya'nın Tefsirindeki Metodu: Taha Suresi Örneginde Bir İnceleme ve Tahkik
Tezin Yazarı	Musab ALSAFAR
Tezin Danışmanı	Doç. Dr. Tuğrul TECAN
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	04.08.2023
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBU/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	394
Anahtar Kelimeler	Abu_Albakaa Ibn_Aldiaa; Tafseer Ibn_Aldiaa; Surah Taha; Method; Analysis; Tahkik

بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)

عنوان الرسالة	منهج ابن الضياء في تفسيره سورة طه أنموذجاً دراسةً وتحقيقاً
اسم الباحث	مصعب السفر
اسم المشرف	الأستاذ المشارك د. توغرل تيجان
المرحلة الدراسية	دكتوراه
تاريخ الرسالة	04.08.2023
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كربوك– معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	394
الكلمات المفتاحية	أبو البقاء، ابن الضياء، سورة طه، تفسير، منهج ابن الضياء، دراسة، تحقيق.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	Ibn Al-Diyaa's approach in his interpretation of Surat Taha; Study and investigation model
Author of the Thesis	Musab ALSAFAR
Advisor of the Thesis	Assoc. Prof. Dr.Tuğrul TECAN
Status of the Thesis	Ph.D
Date of the Thesis	.04.08.2023
Field of the Thesis	Basic Islamic Science
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	394
Keywords	Abu Al-Baqa, Ibn Al-Diyaa, Surah Taha, Ibn Al-Diyaa's Approach. Study, investigation

الاختصارات

الاختصار 1: حرف التاء "ت" في الهامش معناه: توفي.

الاختصار 2: حرف الهاء "هـ" في الهامش معناه: هجرية.

الاختصار 3: حرف الميم "م" في الهامش معناه: ميلادية.

الاختصار4: حرف الطاء "ط" في الهامش معناه: طبعة.

الاختصار 5: حرف الدال "د" في الهامش معناه: دكتور.

موضوع البحث

موضوع البحث عبارة عن دراسة تناولت ترجمة العلامة ابن الضياء ودراسة تفسيره ومنهجيته، والقضايا المتعلقة بعلوم القرآن، ومن ثم تحقيق جزء من هذا التفسير كأنموذج للتحقيق، وكانت سورة " طه" هي السورة التي تمَّ العمل على تحقيقها.

أهداف البحث وأهميته

سطَّر الباحث جملة من الأهداف لتحقيقها والوصول إليها، وهي:

- دراسة حياة المؤلف الشخصية والعلمية والعملية .
- إثبات صحة هذا التفسير لمؤلفه.
- الوقوف على مصادر ابن الضياء التي نقل منها مادته العلمية.
- دراسة منهجية المؤلف في تفسيره.
- إظهار مزايا هذا السفر وعيوبه.
- تحقيق جزءاً من تفسير ابن الضياء تحقيقاً على شروط المحققين، خدمة لكتاب الله، ولتعم الفائدة من خلاله.

أما أهميته فتبرز في قيمة الكتاب العلمية، والتعرف على مؤلفه، وتحقيق جزء من تفسير القرآن العظيم، وإخراجه بأقرب صورة للمخطوط، كونه لا يوجد دراسة سابقة في هذا الموضوع، ومما يزيده هذا البحث أهمية ندرة هذه المخطوط، فإنه لا يوجد إلا نسخة وحيدة مكتوبة بيد المؤلف.

منهج البحث

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف المخطوط وتحقيق جزء منها، وترجمة للمفسر ابن الضياء ودراسة منهجه في تفسيره، بتحليل طريقة عرضه للآيات واستخراج منهجيته، وذلك من خلال كتابه: (تفسير القرآن العظيم).

مشكلة البحث

للعلامة ابن الضياء تفسير في القرآن الكريم، له قيمة علمية كبيرة، لكنه ليس له حاشية ولا شروح ولم يحقق بعد، وليس له منهج في تأليفه لهذا الكتاب، ولم يذكر شيء من هذا القبيل في مقدمة كتابه ومن أجل ذلك يحاول هذا البحث استخراج جزء من هذا الكتاب وتناوله بالدراسة التحقيق والكشف على منهجية المؤلف في تفسيره.

حدود البحث ونطاقه والمشكلات التي واجهت الباحث

من خلال عنوان البحث فإن حدوده العامة تتركز حول عدَّة نقاط أساسية:

أ. تحقيق سورة طه.

ب. ترجمة ابن الضياء.

ت. منهجه في التفسير.

وبالتالي فإن البحث يدور حول تحقيق جزء من المخطوط، وترجمة لابن الضياء ومنهجيته في تفسير القرآن العظيم.

وأمَّا المشكلات التي واجهت الباحث فتنحصر في عدم وجود بعض المصادر والمراجع التي أخذ منها العلامة ابن الضياء مادته العلمية، وأن المخطوطة نادرة؛ ولا يوجد منها إلا نسخة واحدة بخط المؤلف مما يضطر الباحث إلى الرجوع للمصادر التي أخذ منها المؤلف لمقابلة بعض الألفاظ والمعاني التي وردت في

مؤلَّفه. إضافة إلى ذلك قلة المصادر والمراجع بين يدي الباحث، بسبب الظروف التي يمر بها، وصعوبة القراءة والبحث في المصادر الإلكترونية، من كتب وأبحاث وشبكات.

الدراسات السابقة

لم أجد -في حدود بحثي واطلاعي-دراسة سابقة تطرقت إلى دراسة منهج ابن الضياء وتحقيق هذا المخطوط، وكل ما وقفت عليه هي دراسات تناولت ابن الضياء من جوانب عامة ومختلفة، ومن هذه الدراسات:

أ. د. ضمياء محمد عباس السامرائي، ابن الضياء المكي ومنهجه في كتابه تاريخ مكة والمدينة، مجلة سر من رأى، المجلد: السادس، العدد: الثامن عشر، كانون الثاني، سنة 2010م.

تناولت الدراسة شخصية ابن الضياء من الناحية العائلية، والنواحي العلمية، ومصنفاته، وشيوخه وتلامذته، ومنهجه في كتابه (تاريخ مكة والمدينة)، بينما هذا البحث سيتناول منهج ابن الضياء في تفسيره.

ب. ابن الضياء، مختصر تنزيه المسجد الحرام عن بدع الجهلة العوام، تحقيق: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1420هـ.

تناول المحقق في بداية الكتاب ترجمة لابن الضياء، من حيث نسبه وولادته ووفاته، وبعض شيوخه وتلامذته ومصنفاته، وبعض مناقبه وثناء العلماء عليه، ثم بدأ بتحقيق الكتاب. فهو بذلك تناول شقاً من بحثي ولم يتناول الشق الآخر، وهذا الذي سأتناوله في بحثي.

ت. ابن الضياء، البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد عبد الرحمن مزي، الناشر: مؤسسة الريان، ط: الثانية، سنة النشر: 1432هـ-2011م.

تناول فيه مؤلفه في هذا الكتاب عن الكتب والمؤلفات التي تكلمت حول فضائل مكة والمدينة، وتاريخهما، وحج النبي صلى الله عليه وسلم، ثمَّ امتدح كتاب البحر العميق ومنهجيته، ويصفه بأمانة النقل العلمية، ابتدأ بتحقيق الكتاب. لكنه لم يتناول ترجمة ابن الضياء، ولا منهجيته في تفسيره، والذي سأفعله في بحثي.

منهج الباحث في قسم التحقيق

يتلخص العمل في تحقيق هذا المخطوط بما يلي:

1. نسخ الكتاب بحسب القواعد الإملائية، واضعاً علامات الترقيم.

2. الإشارة إلى نهاية صفحة المخطوط برقمها وهي (أ) أو (ب) ووضعها بين معقوفتين.

3. وضع الآية المفسرة كاملة في المتن مع ذكر رقمها.

4. تخريج الآيات التي استشهد بها المؤلف -رحمه الله-بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

5. عزو الأحاديث النبوية، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، وإن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما أخرجه من بقية الكتب الستة، والاكتفاء بذلك إن كان فيها، وإلا أتتبع تخريج الحديث من الكتب الأخرى.

6. اعتمد الباحث بالحكم على الأحاديث التي لم ترد في الصحيحين على حكم الشيخ الألباني، كونه من العلماء المعاصرين والمحيطين بعلم الحديث، وقد أذكر حكم الحديث من صحة أو ضعف من غير الإشارة إلى قائله.

7. نقل أقوال بعض أهل العلم في الحكم على الحديث ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

8. استعمال بعض الرموز للألفاظ المتكررة طلباً للاختصار مثل:

ت: توفي م: ميلادية هـ: هجرية ط: طبعة د: دكتور

9. ترجمة للأعلام المجهولين بقدر المستطاع طلباً للفائدة.

10. التعريف بالمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريف.

11. التعريف بالأماكن والبلدان المجهولة التي ترد في البحث.

12. ذكر اسم المرجع مع مؤلفة والطبعة وتاريخها للمرة الأولى ثم اختصارها بعد ذلك مع إثبات بيانات المراجع في فهرس المراجع طلباً للاختصار.

الفصل الأول: مدخل إلى سورة طه

المبحث الأول: علوم القرآن المتعلقة بسورة طه

تنوعت العلوم التي تعلقت بالقرآن الكريم إلى أنواع متعددة، أوصلها صاحب البرهان إلى ستَّة وأربعين نوعاً، كتب الباحث منها ما تعلق في سورة طه.

وقد ذكرها الزركشي في كتابه البرهان أنها سبعة وأربعون علماً، فقال: "واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ماذا عسى أن يبلغ لسان لتقصير"[1].

وقد تنوعت مسائل علوم القرآن في سورة "طه"، ومن جملة هذه المسائل:

أولاً: اسم السورة، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

1. سميت السورة بسورة طه، وذلك لابتداء السورة بالنداء بها {طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى} وممَّا يدلُّ على تسميتها:

أ- ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه: «فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي»[2].

---

[1] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ)، 12/1.

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (بيروت، طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، 1910/4، حديث رقم: 4708.

ب- وما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ مُتَقَلِّداً بِالسَّيْفِ، فَقِيلَ لَهُ: إنَّ خَتْنَك وَأُخْتَك قَدْ صَبَوْا، فَأَتَاهُمَا عُمَرُ، وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، يُقَالُ له: خباب وكانوا يقرؤون طَهَ، فَقَالَ: أَعْطُونِي الَّذِي عِنْدَكُمْ، فَأَقْرَأَهُ - وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ الْكُتُبَ - فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إنَّك رِجْسٌ، وَلَا يَمَسُّهُ إلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَقُمْ واغتسل، أَوْ تَوَضَّأْ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ طَهَ[1].

ت- وقد أورد ابن كثير[2] بسنده عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَرَأَ طه ويس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ قَالُوا: طُوبَى لِأُمَةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا، وَطُوبَى لِأَلْسُنٍ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا». وذكر السيوطي في الإتقان أنها تسمى سورة الكليم، وسماها الهذلي في كامله سورة موسى[3].

2. آياتها: مائة وخمس وثلاثون آية بحسب المصحف العثماني، وقيل: مائة وثلاثون واثنتا آية، وقيل: مائة وأربع وثلاثون آية، وقيل: مائة وأربعون آية.

ويعود سبب الاختلاف في عدِّ الآيات كما ذكر صاحب البرهان: "أنَّه عليه الصلاة والسلام كان يقف على رءوس الآي، فإذا علم محلَّها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة"، بمعنى أنَّه كان صلى الله عليه وسلَّم يقف على رأس الآية، وأحياناً يتابع في قراءته، لكي يبيّن للنّاس جواز الوصل والوقف، فيظنُّ

---

[1] أخرجه الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، **سنن الدارقطني**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2004م)، كتاب الطهارة، باب: في نهي المحدث عن مس القرآن. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ)، كتاب الطهارة، باب: نهي المحدث عن مس المصحف.إسناده صحيح.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 240/5.

[3] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394هـ)، 199/1.

من سمع الوصل ولم يسمع الوقف، أنَّ تلك هي رأس الآية[1]. وأمَّا كلماتها: في ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة. وعدد حروفها: خمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً[2].

ثانياً: معرفة سبب النزول

تُعين أسباب النزول على فهم القرآن الكريم ومعانيه، فيجعلك تعيش وكأنَّك في زمن الوحي، وفيه من الفوائد الجمة مما لا تخفى على أحد، ذكرها العلماء في مصنفاتهم، وقد ورد في أسباب النزول في سورة طه الأمور التالية:

1. أخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى فأنزل الله:﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[طه: 1-2][3].

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 251/1. الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 342/1.

[2] عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، **البيان في عدّ آي القرآن**، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1414هـ)،251.

[3] أخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي من حديث معقل بن يسار، **شعب الإيمان**، باب في حب النبي صلى الله عليه وسلم، فصل: في مراتب نبينا – صلى الله عليه وسلم – في النبوة، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 2003م)، 84/3، رقم الحديث: ١٤١٧.عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، (بيروت: دار الفكر، بدون ذكر طبعة)، 549/5. ضعيف.

2. وأخرج البزار عن علي بن أبي طالب –من طريق يزيد بن بلال–قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُراوِح بين قدميه؛ يقوم على كل رجْلٍ، حتى نزلت: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 1-2] [1].

3. وأخرج ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه فأنزل الله: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 1-2][2].

4. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يربط نفسه بحبل كي لا ينام فأنزل الله عليه: ﴿طه*مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 1-2][3].

5. قال مقاتل إنَّ أبا جهل والوليد بن المغيرة ومُطعِمُ بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال عليه السلام: «بل بعثت رحمة للعالمين» قالوا: بل أنت تشقى، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4]. وتعدد الأسباب لنازل واحد أمر سائغ لدى المفسرين، ولا إشكال فيه[5].

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

---

[1] أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، مسند علي بن أبي طالب، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1988-2009م)، 136/13، حديث رقم: 926. ضعيف.

[2] أخرجه محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (بيروت: دار هجر، ط1، 1422هـ)، 5/16. السيوطي، **الدر المنثور**، 549/5. ضعيف.

[3] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ)، 143/4. شديد الضعف.

[4] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، خطيب الري، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420 هـ)، 6/22. أخرجه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، **أسباب نزول القرآن**، (الدمَّام: دار الإصلاح، ط2، 1412هـ)، 303.

[5] الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 116/1.

إنَّ من إعجاز الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم أنْ جعل فيه المناسبات بين الآي والسور، فكان له في هذا الأسلوب الخاص إقبال العلماء عليه، ودراسة أسلوبه وأسراره، حتى نشأ علم المناسبات.

1. مناسبة سورة طه مع سورة مريم: من المعروف أنَّ سورة مريم هي قبل سوره طه في ترتيب بين السور في القرآن الكريم، وعليه لا بدَّ من ملاحظة المناسبة بين السورتين الكريمتين بنقاط متعددة:

ث. افتتحت سورتي مريم وطه بالحروف المقطعة، فقال الباري في سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[مريم: 1]، وقال في سورة طه: ﴿طه﴾[طه: 1]، ثمَّ تحدَّثتا كلتا السورتين عن القرآن الكريم، فذُكر في سورة: مريم، أنَّ القرآن رحمة﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: 2]، وفي سورة: طه أخبر الباري عزَّ وجلَّ أنَّ القرآن تذكرةً لمن يخشى ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 3].

ج. لما كان عيسى وموسى عليهما السلام مشتركان في الغموم والهموم بسبب الولادة، وفي الإنعام من الحضرة الإلهية في حقهما وفي حق والدتيهما على ما عرف.

ح. إنَّ المقصود من سورة مريم بيان التوحيد والنبوة والحشر، وفي هذه السورة ما يدل عليها كذلك.

خ. بَيَّن الله سبحانه وتعالى في آخر سورة مريم أنَّه يسَّر ذلك البيان بلسان ليبشر به وينذر فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: 97] الآية، وهذا من النعم العظيمة والتشريفات الكريمات في حقِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسولُ بالغَ في العبادات ليلاً ونهاراً وأتعبَ نفسَه شكراً لذلك، فخاطبه في أوَّل هذه السُّورة بقوله:﴿طه*مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه: 1-2].

د. ذكر الله سبحانه وتعالى في سوره مريم عدداً من الأنبياء، فبسط الحديث في بعض القصص، كقصة زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وأجاز في البعض الآخر قصة إبراهيم عليه السلام، وأورد بعضها بإيجاز مجمل، كقصة موسى عليه السِّلام، ثمَّ أشار إلى بقية النبيِّين بالمجمل، وقد ذكر في

سورة طه: قصة موسى عليه السّلام مفصَّلة، وختم: بقصَّة آدم، ولم يذكر في سوره مريم إلَّا اسمه فقط[1].

ذ. كان نزول سورة طه بعد سورة مريم، وكان نزول سورة مريم بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، أي بعد السنة السابعة من البعثة، وعليه يكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضاً[2].

2. مناسبة سورة طه مع سورة الأنبياء: أمَّا المناسبة بين سورة طه وما بعدها، فإنَّ سورة طه اختمت بأنَّ الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأنَّ الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأنَّ العاقبة للمتقين، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْر وَأَبْقَىٰ ١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 131-132]، وابتدأت سورة الأنبياء بمثل ما اختتمت فيه سورة طه، فذكر فيها: أنَّ النَّاس غافلون عن السَّاعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه، فقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَة مُّعْرِضُونَ*مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْر مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ*لَاهِيَة قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَر مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 1-3].

رابعاً: معرفة الوجوه والنظائر

---

[1] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (القاهرة: دار الفضيلة، بدون ذكر رقم وتاريخ طبعة)، 108.

[2] جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1420هـ)، 221/5.

إنَّ معرفة الوجوه والنظائر والتَّمكن منها للدراس من أعظم الوسائل لفهم مراد الله من آياته، فهو علم كغيره من علوم القرآن يكشف المعاني، ويوضِّحُ ما خفي من مقصود القرآن، أي: الوجوه تتعلق بالألفاظ متَّحدة الشكل مختلفة في المعنى، أمَّا النظائر: فهي الألفاظ المتحدة في الشكل والمعنى[1].

ومن الأمثلة على الوجوه والنظائر في سورة طه:

أ. ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ * وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 19-22] وتعني هنا: المعجزة[2]، وتخالف في المعنى في غيرها من السور القرآنية حين ذكرها، فتأتي بمعنى: الآية من القرآن[3]، كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: 106]، وتأتي بمعنى: العلامة[4]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَة﴾ [البقرة: 118].

ب. ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 14]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 132] والصلاة: المقصود بها: عبادة الله والصلاة [5]، وتأتي في غير موضع ويقصد بها صلاة الجمعة[6]، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 102/1.

[2] أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ)، 16/ 103.

[3] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـ)، 176/1.

[4] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، 103/1.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 99/3.

[6] البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، (مصر: دار طيبة، ط4، 1417هـ)، 269/1.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9].

ت. ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: 47]. والهدى: تأتي هنا بمعنى: كلام الله تعالى[1]، وتكون بمعنى الدِّين[2] في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 73]، وتأتي بمعنى التوراة[3]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [غافر: 53].

خامساً: علم المحكم والمتشابه

لا ضير في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، ولا مانع من ذلك، بعد أن صرَّح القرآن الكريم بوجودهما، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: 7]، فإنَّ الآية الكريمة تبيِّن أنَّه في القرآن المحكم والمتشابه موجود، وقد جعل الله سبحانه وتعالى آيات القرآن الكريم منقسمة إلى المحكم والمتشابه، وسمَّى المحكمات أمَّ الكتاب، وهي الأصل لما سواها، ويفهم منها معاني ما تشابه، وذلك يقتضي كون المتشابه محتملاً لمعاني مختلفة، يتعرف مراد الله منها بردها إلى المحكمات[4].

ومن الأمثلة عن المحكم والمتشابه من سورة طه:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 55/22.

[2] **المصدر نفسه**، 259/8.

[3] البغوي، **معالم التنزيل**، 152/7.

[4] الكيا الهراسي ، **أحكام القرآن**، 277/2.

أ. المحكم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّار لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: 82]، فإن هذه الآية محكمة لغيرها من الآيات المتشابه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جميعاً﴾ [الزمر: 53]

ب. المتشابه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]. وفي توجيه هذه الآية لدى أهل السنة والجماعة مسلكان[1]:

- مذهب السلف وأهل الحديث: الإيمان بها وتفويض معناها إلى الله تعالى فلا نفسر معناها مع تنزيهنا له عن حقيقتها، فعن مالك أنَّه سئل عن الآية فقال: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة".
- مذهب الخلف: تؤوَّل على ما يليق بجلاله تعالى. ويميل الباحث إلى قول السلف رضوان الله عليهم، فإنه أسلم.

سادساً: علم المبهمات

إنَّ علم المبهمات من علوم القرآن التي اعتنى فيها العلماء، ولاقت اهتماماً كبيراً منهم، لأنَّ بيانها يساعد على فهم القرآن الكريم وبيان معانيه، حتى كانت علماً قائما بحدِّ نفسه.

ومن الأمثلة عن المبهمات في سورة طه:

أ. ﴿طه﴾ [طه: 1]: قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى وقسم أقسم به. وقيل: هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى به كما سماه محمدا. وقيل: هو اسم للسورة ومفتاح لها. وقيل: إنه

[1] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 14/3. الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 286/2.

اختصار من كلام الله خص الله تعالى رسوله بعلمه. وقيل: إنها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى[1].

ب. ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ [طه: 10]: هي امرأته، واسمها صفوريا[2].

ت. ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّ لِّي وَعَدُوّ لَّهُۥ﴾ [طه: 39]: هو فرعون[3].

ث. ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: 85]: هو موسى بن ظفر، منسوب إلى سامرى، وكان من عباد البقر. ويقال: إنه من أهل باجرمى[4].

سابعاً: في أسرار الفواتح

جمع الله سبحانه وتعالى في القران الكريم مائة وأربعة عشرة سورة، افتتح بعضها بحروف التهجي، وهذا في تسعة وعشرين سورة، وهي: الم، المص، والر، والمر، وكهيعص، وطه، وطسم، وطس، ويس، وص، وق، وحمعسق، والحواميم، ون.

وإنَّ تفسير هذه الحروف وبيان معانيها اختلف فيها العلماء، واتجهوا في فهم معناها إلى طريقين، وسلكوا فيها مسلكين:

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 166/11.

[2] البلنسي، **تفسير مبهمات القرآن**، 203/2.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 302/18.

[4] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **المعارف**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، 44/1.

أ. الطريقة الأولى: أنَّ معناها موكل إلى الله سبحانه فلا تفسر، لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلّا الله، بدليل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "لله في كل كتاب سر، وسره في القران فواتح السور"[1].

ب. الطريقة الثانية: أنَّ لهذه الفواتح معاني واحب الوصول إليها، ولكنَّ أصحاب هذه الطريقة اختلفوا فيها على طرق متعددة، منها:

- أنها أسماء لسور القرآن أو أسماء لله تعالى[2].
- أنها فواتح تدل على أنَّ القرآن مؤلف من تلك الحروف، لأنَّه صلى الله عليه وسلم تحد العرب بأن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر من مثله فعجزوا، فطلب منهم أن يأتوا بسوره من مثله فعجزوا[3].
- أنها حروف مقطعة من كلمات تدل على معان، فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلّى الله عليه واله وسلّم[4].

وقد ذكر سابقاً أن معنى "طه" هو اسم من أسماء الله تعالى وقسم أقسم به. وقالوا: هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى به كما سماه محمدا. وقالوا: هو اسم للسورة ومفتاح لها. ومنهم من قال: إنه اختصار من كلام الله خصَّ الله تعالى رسوله بعلمه. وقيل: إنها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى.

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 250/2.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 224/1.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 253/2.

[4] أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)، 68/1.

ثامناً: في معرفة المكي والمدني

ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ سورة طه مكية، وقد ذكر القرطبي أنها كذلك مكية في قول الجميع[1]، وأكده ابن الجوزي[2]، واستثنى منها الإمام السيوطي[3] قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡر وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: 130-131].

تاسعاً: معرفة ناسخه ومنسوخه

يعدُّ علم الناسخ والمنسوخ من مباحث علوم القرآن المهمة التي اعتنى بها العلماء على مرِّ العصور، وذلك للدفاع عن القرآن، والذود عنه، فألفت مؤلفات كثيرة في هذا العلم فأفادت وأجادت.

وقد أورد العلماء أنَّ الناسخ والمنسوخ في سورة طه ثلاث آيات[4]:

1. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ [طه: 114]، فنسخ معناها لا لفظها بقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: 6]

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 272/3.

[2] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ) 254/3.

[3] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 61/1.

[4] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1998م)، 43.

2. قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [طه: 130]، نسخ الصبر منها بآية السيف.

3. قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: 135]، نسخت الآية بآية السيف. وقال غيرهما: ليس فيها منسوخ.

المبحث الثاني: موضوعات سورة طه والقيم التربوية منها

إذا بحثنا في سورة طه، وما تحوي من موضوعات، نجد أنَّ فيها الكثير من الموضوعات على مختلف العلوم، وكذلك لا تقل أهمية عن غيرها من سور القرآن الكريم بما فيها من قيم تربوية عظيمة، وإنَّ هذا المبحث يدور حول الموضوعات التي وردت في هذه السورة، وكذلك القيم التربوية التي تعرضت لها هذه السورة أو أشارت إليها.

المطلب الأول: موضوعات سورة طه

اشتملت سوره طه على العديد من الموضوعات، وكان من أهمِّ موضوعات هذه السُّورةِ:

أولاً: الرسالة السماوية سبب للسعادة البشرية

افتتحت السورة بملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليته، وليس المقصود شقاءه، ولكن تذكرة بالقرآن لمن يخشاه الله تعالى ويخاف وعيده، وتذكرة للناس به فيسعدون في الدنيا والأخرة، وأنَّه منزَّلٌ من عليم حكيم، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ * إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ* تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ [طه: 1-4].

ثانياً: قصة سيدنا موسى مع قومه، وما جرى فيها من أحداث

فقد ذكر فيها قصة نبي الله موسى مع قومه، من بداية رسالته مروراً بالأحداث التي جرت معه، وبشكل مفصَّل، من قصَّة فرعون معه وأحداثها، والسحرة وما كان معهم من أحوال، وما فعله بنو إسرائيل في غيابه، وتضليل السامريِّ لهم. وقد وردت هذه الأحداث في الآيات التالية:

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذۡ رَءَا نَارا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدى * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوى﴾ [طه: 9-12]، إلى قوله تعالى: قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفاً * إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما﴾ [طه: 97-98].

ثالثاً: مشاهد يوم القيامة وأحوالها وأهوالها

حيث تُنسف الجبال نسفاً، ويتبعون الداعي وتخشع الأصوات للرحمن فلا يُسمع إلا همساً، وعندها لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفا * فَيَذَرُهَا قَاعا صَفۡصَفا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجا وَلَآ أَمۡتا * يَوۡمَئِذ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسا * يَوۡمَئِذ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلا * يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡما * وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡما * وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِن فَلَا يَخَافُ ظُلۡما وَلَا هَضۡما﴾ [طه: 105-112].

رابعاً: منزلة القرآن ومكانته

بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة مكانة القرآن ومنزلته، وأنَّه أُنزل قرآناً عربياً ووعيداً لمن سمعه، لعلَّه يتقي الله ويخشاه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَاناً عَرَبِيّا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرا﴾ [طه: 113]

خامساً: قصة آدم عليه السلام

ذكر في سورة طه قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له، والحوار الذي دار بين آدم عليه السلام وإبليس ، بعرض قصير ومختصر، وكان ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَٰٓادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْك لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ * قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعَۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 116-123].

سادساً: السعادة الحقيقية في مرضات الله واتباع أوامره

أمر الله تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلم بالصبر والتسبيح، وعدم التطلُّع إلى الدنيا وزهوتها، وأمر أهله بالصلاة والاصطبار عليها، فهو بذلك توجيه إلى أمَّته صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْر وَأَبْقَىٰ * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 130-132].

سابعاً: إنذار المشركين، والرد على مزاعمهم

وقد حذرت الآيات الكريمات المشركين، وردت على مزاعمهم، وهدّدتهم بالعاقبة المخزية لمن بقي على ضلاله، وهو في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَة مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَاب مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلّ مُّتَرَبِّص فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: 133-135].

المطلب الثاني: القيم التربويَّة في سورة طه

إنَّ التربية هي الجانب الرئيسي لإنشاء الشخصية الصالحة والجيل المسلم والمجتمع القائم على الصفات الإسلامية، فهي الركيزة للجانب الروحي، واللبنة للجانب الخلقي والاجتماعي، وإنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقيم التربوية، سواء على صعيد الأسرة أو المجتمع، وفيه تعيش الإنسانية سعيدة في الدنيا، وتستحق رضا الخالق في الآخره. ومن تمعَّن في كتاب الله يجد القيم التربوية موجودة وعامرة، ومن هذه القيم التربوية التي حثنا الشارع الحكيم أن نلتزم بها، ونجتهد في تحصيلها والإيمان بها، ماهو موجود في سورة طه، وهي كالآتي:

1. القرآن الكريم سبب السعادة: قوله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ * إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 1-3].

يقسم الله سبحانه وتعالى بطه، أنَّه ليس المقصود من الوحي التعب والشقاء لرسوله صلى الله عليه وسلم، بل المقصود هو سعادة البشرية، وذكرى لمن يخشى الله تعالى، فيقيم شرعه، ويبتعد عن نواهيه، وخصَّ الذكرى بمن يخشاه، لأنَّ من لا يخشى الله تعالى لا ينتفع منه[1]، لانَّ الوحي والقران سبباً للسعادة البشرية وفلاحهم ونجاتهم، وأبوابه سهلة المنال، وهو غذاء للأرواح، ينتفع بهه أهل التقوى والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

2. مراقبة الله تعالى والإخلاص له في السرِّ والعلن: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: 7].

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ)، 501. أحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1973م)، 131. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1426،1هـ)، 267/7.

وجه سبحانه وتعالى خطابه لرسوله العدنان صلى الله عليه وسلم، مبيناً أنَّه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ومحيط به، ظاهر أو باطن، معلن أو مخفي، بل وما هو أخفى من السرِّ: وهو الذي لم يخطر له[1]. وهنا حَثٌّ من الله عز وجل على مرتبة المراقبة والإخلاص في السر والعلن، وهي مرتبة الإحسان التي في الصحيح« قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يراك»[2].

3. التوحيد الخالص أسمى درجات العبودية: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: 8] ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14].

تظهر هذه السورة مشيرة إلى قيمةً سامية، وهي العبودية والتوحيد الخالص لله عز وجل، فله الأسماء الحسنى، وهو المتفرد بالعبادة، فينبغي من أهل العبودية: التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية، فمن فقد التصديق فهو منافق، ومن فقد التعظيم فهو مبتدع، ومن ليس له الحلاوة فهو مراء، ومن ليس له الحرية فهو فاجر[3]، ومن تحقق فيه الإيمان توجب عليه طاعة الرحمن، وأمر الله عباده بإقامة الصلاة لذكره، ففيها يكون العبد أقرب ما يكون لمولاه، ففي الحديث « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ[4]». وبها تذكر الله سبحانه وتعالى واستشعار بالعبودية، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وبذلك ينال الرضى والمغفرة من رب العالمين[5].

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، 501.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب، الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، 27/1، رقم الحديث: 50. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،1404هـ)، 269/12.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 12/22.

[4] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح «صحيح مسلم»**، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، (تركيا: دار الطباعة العامرة، 1334هـ)، 49/2، رقم: 482.

[5] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 201/16.

4. الاستعداد ليوم آت: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: 15].

الساعة آتية لا محالة، وأمرها وواقع لا بدَّ منه، لتجزى كل نفس بما سعت، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن عمل سوءاً فعليها، ووجد ما عمله يوم الميعاد[1]. فالاستعداد لهذا اليوم مطلوب، والعمل له واجب، فلا بدَّ من التنبه إلى ذلك.

5. من ترك مقام المراقبة لحظة ابتعد عن جادة الحق والدليل: قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: 16].

وفي هذه الآية التحذير من أهل البدع والهوى، ومن كان سبباً في وقوع شبهة الإيمان في القلب، ومن ترك مقام المراقبة لحظة ابتعد عن الحق والصواب، ومن ابتعد عن الدليل هلك ووقع في الطامات[2].

6. من توكل على الله فهو حسبه: قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّ لِّي وَعَدُوّ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ * إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 38-40].

أوحى الله سبحانه وتعال لأم موسى عليه السلام أن تجعله في التابوت، وتقذفه في نهر النيل، فيأخذه عدوُّ الله وعدوِّ موسى –فرعون– فينجو من بطشه، فلمَّا توكلت عليه تعالى نجت وفازت، فمن توكل على الله

[1] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، 245/5.

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، 503.

فهو حسبه ومعينه، فالواجب على من آمن به تعاى وصدق بنبيه التوكل الكامل، والتسليم المطلق له سبحانه وتعال، فهو الرَّازق والمتصرِّف في ملكه كيف يشاء، وهو على كل شيء قدير.

7. التلطف بالدعوة إلى الله تعالى ولو كان المدعو فرعون: قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 43-44].

وفيها إرشاد إلهي وتوجيه رباني بأسلوب الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، بالحكمة والموعظة الحسنة، واللِّين والرِّفق في القول، والمجادلة بالتي هي أحسن، لعلَّه يتذكر أو يخشى ويرجع إلى الصواب، فلما أُمر موسى بلِين القول لفرعون وهو الرسول المعصوم، كان ممَّن دونه من المؤمنين أولى بالاقتداء به، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: 83][1].

8. الثقة في نصر الله والطمأنينة من صفات المؤمنين: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46].

وفيها دلالة أنَّ من مع الله لا يخف،؛ لأنه تعالى معه، ومن معه مالك الملك لا يكون مغلوباً والنصر حليفه، فالواجب استحضار معية الله تعالى له، وتحمل مشاق الدعوة لأجله، فانَّ المعية لا تترك من كان همهُ اللهَ ودينَه ونشرَ دعوته[2].

9. الصدق أنجى: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ * فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [طه: 61-62].

---

[1] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3)، 458/2. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،200/11.

[2] زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2004م)، 19/4.

توجيهٌ ربانيٌّ عظيم نحو فضيلة الصدق، فإنَّه من أعظم الأعمال وأسمى الأفعال. وقد وردت في فضله آيات وأحاديث كثيرة، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 70-71]، وقد ورد في الحديث: «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عند الله كذاباً»[1].

10. التفكر الحق يوصل إلى الطريق المستقيم: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ [طه: 72-73].

فينبغي على العاقل الموازنة بين لذات الدنيا ولذَّة الآخرة ، وليتنبه! فإنَّ الدنيا زائلة فانية، والآخرة هي دار القرار، وها هم السَّحرة زانوا دعوة موسى وكذب فرعون بعقل نيِّرٍ، فقالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾[2] [طه: 73].

11. باب المغفرة مفتوح لا يغلقه شيء: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّار لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: 82].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، بباب: قول الله تعالى: {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة: 119، وما ينهى عن الكذب، 5/ 2261، رقم الجديث: 5743.

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، 508.

تصريح من الباري جلَّ وعلا أنَّ باب التوبة والمغفرة مفتوح لا يغلقه شيء، فمن ورجع إلى الله وأناب، كان ذلك مغفرةً لذنبه وكفارةً له وعتقه من النيران، فالتوبة تجب ما قبلها، والإسلام يهدم ما قبله، والحسنات يذهبن السيئات والله غفور رحيم[1].

12. حِفظَ الأصل أهَمُّ وأولى مِن حِفظِ الفرع: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ * أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي * قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: 92-94].

أنَّ حِفظَ أصول الشَّريعةِ أولى مِن غيرها؛ فإنَّ مَصلحةَ صَلاحِ الاعتقادِ هي أمُّ المصالحِ التي بها صَلاحُ الاجتِماعِ، وإنَّ حُرمةَ الشَّريعةِ إنَّما يكون بحِفظِ أُصولِها، وعَدَمِ التَّساهُلِ فيها، وبحُرمتها يبقَى نفوذُها في الأمَّةِ، والعَمَلُ بها[2].

13. اتباع الكتاب والسنة طريق النجاة: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: 123].

إنَّ كتاب الله هو الطريق الذي ينجي من الضَّلال، والذي يوصل إلى السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، فمن يتبعه يفوز، ومن يعرض عنه يضلَّ ضلالاً بعيداً[3]. يقول ابن الجوزي: " أن كل من اتبع القرآن والسنة، وعمل بما فيهما، فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك، إذا مات على ذلك"[4].

---

[1] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 298/7.

[2] ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، 16/ 294.

[3] البغوي، **معالم التنزيل**، 300/5.

[4] ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **صيد الخاطر**، (دمشق: دار القلم، ط1، 2004م)، 143.

14. ذكر الله راحة القلوب: قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طه: 130].

أمَرَ تعالى بالصَّبرِ بالتَّسبيحِ؛ لأنَّ ذِكرَ اللهِ تعالى يريح النفس ويطمئن القلب، وحثهم على الصبر والدوام عليه، وأمرنا بالصبر على الطاعة وعلى ما نكره، فمن صبر فله الأجر من الله تعالى[1].

15. العاقبة للمتقين: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡر وَأَبۡقَىٰ * وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ * وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَة مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: 131-133].

عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، والقناعة برزق الله له، والتوكل عليه تعالى والتزود بالتقوى، يوصل العبد إلى رضا الرحمن، فإنَّ ما سوى الله زائلٌ لا محالةٍ، لذلك أمر الباري جلَّ وعلا أن يأمر العبد أهله من بالطاعة والالتزام بشرع الله، وخاصة الصَّلاة، والاصطبار عليها[2].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 113/22.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 115/22.

الفصل الثاني: التعريف بابن الضياء ومخطوطته

يدور البحث في هذا القسم حول ترجمة ابن الضياء رحمه الله، على الصعيد الشخصي والعلمي والعملي، وكذلك التعريف بمخطوطته التي كتبها بخط يده على الأصح.

المبحث الأول: ترجمة ابن الضياء

يبحث هذا الفصل حول ابن الضياء، وشخصيته، ودوره العلمي والعملي، وكيف تأثر بالبيئة المحيطة به.

المطلب الأول: حياة ابن الضياء الشخصية وتأثير البيئة المحيطة به في تكوينه

وما كان من الأهمية بمكان وجود ترجمة للعلامة ابن الضـــياء، كان لا بد من التكلم على جميع تفاصيل حياته، والبحث فيها على قدر الإمكان، وبقدر ما توفي للبحث من مراجع ومصادر.

أولاً: حياة ابن الضياء الشخصية

إنَّ حياة ابن الضـياء وشـخصـيته الفذة مليئة بمعلومات مهمة، سـواء على الصـعيد الشـخصـي، أو على صعيد أسرته.

1. **اسمه:** محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سـعيد بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسـف بن علي بن إسماعيل، أبو البقاء بن شـهاب أبي العباس العمري الصـاغاني[1] الأصـل، المكي، القرشي، الحنفي، يعرف بابن الضياء كأبيه[2].

---

[1] نسـبة إلى صـاغان وهـي قريـة بمـرو، وقيـل: نسـبة إلى الصـغانيان. المـروزي، **الأنسـاب**، 8/9-10. ابـن الأثـير، **اللبـاب في تهـذيب الأنساب**، 229/2.

[2] ابـن الأثـير، **اللبـاب في تهـذيب الأنسـاب**، 229/2. الزركلـي، خـير الـدين بـن محمـود بـن محمـد بـن علـي بـن فـارس الدمشـقي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، 332/5.

مولده: ولد العلامة ابن الضياء في شهر محرم، في السنة السبعمائة وتسع وثمانين هجرية، الموافق لسنة ألف وثلاثمئة وسبع وثمانين للميلاد في مكة المكرمة، فتعلَّم الفقه والقرآن الكريم فيها، وتشعَّب في العلوم الأخرى، وحفظ المتون والقرآن الكريم[1].

أسرته: نشأ ابن الضياء في أسرة ذات علمية، متفقهة، كابراً عن كابر، فكان والده أحمد فقيهاً حنفياً، وكان قاضياً لمكة المكرم على المذهب الحنفي وشيخ من شيوخ الحرم المكي، وله أربعة أخوة جمعهم أهل علم تصدروا القضاء والتدريس في مدارس مكة ومساجدها[2].

وفاته: توفي العلَّامة ابن الضياء سنة: 854 هـ بمكة المكرمة في ليلة الجمعة في اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة، وقد أمضى عمره في طلب التعلم والتعليم والتأليف، وإحقاق الحق ونصرة المظلوم، والنظر في شؤون المسجد الحرام وغيرها. وقد دفن رحمه الله في مقبرة المعلاة مجاوراً لأبيه[3].

ثانياً: البيئة المحيطة به

إنَّ كل مرحلة ازدهار أو ضعف تكون مبنيَّة على أسباب وعوامل تكون سبباً رئيسياً في بيئة مناسبة للحياة المستقرة أو المتضعضعة، ولعلَّ هذا المطلب يعطي فكرة جيدة عن بيئة ابن الضياء السياسية، والعلمية والاقتصادية.

1. البيئة السياسية

---

[1] ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب**، 229/2. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، 332/5.

[2] السخاوي، **الضوء اللامع**: 7/ 86. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، (بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1414هـ)، 516/2.

[3] السخاوي، **الضوء اللامع**، 84/7-85.

كانت الفترة الزمنية في عصر العلامة ابن ضياء مستقرة سياسياً أكثر من غيرها، وكانت الحجاز في تلك الفترة تحت سيطرة المماليك. وكانت خلال القرن السابع والثامن الهجريين في حالة تخبط، حيث كثرت الفتن و الصراعات بين الأشراف من أجل السيطرة علي الشرافة وحكومة الحجاز وغيرها، مما وضع البلاد في تدهور سياسي، استطاع المماليك من خلاله بسط نفوذهم على الحرمين خاصة والحجاز عامة، وذلك من خلال استغلال الصراعات الداخلية بين الأشراف، فيدخلون إمَّا بمساندة أحدهم على الآخر أو بالإصلاح بين الطرفين، حتى وصل بهم الأمر إلى الدعاء لهم على منابر الحرمين، وبذلوا الهدايا والعطايات، وأعطوا الرواتب والمنح، مما تركت لهم أثراً طيباً لدى الناس[1]. وفي بداية القرن الثامن الهجري توفي الشريف أبو نمي والي مكة، فتنازع أولاده من بعده على السلطة، ودام هذا النزاع 36 عاماً إلى أن استقر الحكم لابنه رميثة، ثم تنازل رميثة عن الحكم سنة 744هـ وسلم الأمر لابنيه عجلان وثقبة، وبعد وفاة ثقبة سنة: 762 هـ تفرد عجلان وابنه أحمد بالحكم، ثم تفرد أحمد بالأمر بموافقة أبيه على أن يستمر الدعاء له في الخطب على المنابر[2]. وقد شهدت مكة استقراراً سياسياً وخاصة في عهد الشريف حسن بن عجلان إلى أن توفي سنة: 829هـ، فخلفه ابنه بركات الذي استدعاه السلطان الظاهر بيبرس مع أخيه إبراهيم، وفوض إليه إمارة مكة، وخلف بعده أخوه إبراهيم بولاية العهد، وألبسهما خلعتين عظيمتين، فوصلا مكة المكرمة بالخلع السلطانية، وهكذا بقيت مكة خاصَّة والحجاز عامة تحت النفوذ المملوكي

---

[1] الجابري، خالد محسن، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 2005م)، 46. علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، **منائح الكرم في أجنار مكة والبيت وولاة الحرم**، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1998م)، 320/2.

[2] النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد ، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ط1، 1404هـ)، 134/3. ، أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط1، 1419هـ)، 258/1.

مستقرة سياسياً إلى حين دخول العثمانيون إلى مصر سنة: 923 هـ، وأصبحت الحجاز تحت السيطرة العثمانية وكان ذلك سلماً بدون حرب[1].

2. البيئة العلمية

كانت مكة من أهم مراكز العلم في الدولة الإسلامية، حيث نالت حظوة عند المماليك، فأنشؤوا فيها المدارس والمراكز العلمية التي كانت قبلة لطلبة العلم والعلماء[2]، وكانت لهذه المراكز العلمية تسميات متعددة منها:

أ. الكتاتيب: كان الهدف من هذه الكتاتيب تحفيظ قصار السور وتعليم الكتابة والخط والضبط وبعض متون الأحاديث الشريفة والعقائد. ومن هذه الكتاتيب في الحرم المكي:

- مكتب الشيخ يوسف بن علي بن سليمان القروي3.
- مكتب الشيخ محمد بن عمر بن على السحلولي[4].

ب. الحلقات التعليمية: حيث كان المسجد الحرام مركزاً لنشر العلم والمعرفة، وإذا رجعنا إلى كتب التراجم والتاريخ نجد أسماء كثيرة من العلماء الذين درسوا فيه وعلموا، ومن هؤلاء العلماء كان ابن الضياء، حيث كان مدرساً في المسجد الحرام إضافة إلى كونه قاضياً[5]، وقد أصبحت مكة

---

[1] تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1998م)، 106/4. عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 4/ 265- 318.

[2] خالد محسن حسان الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1413هـ)، 313.

[3] الفاسي، **في تاريخ البلد الأمين**، 488/2.

[4] الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، 317-318.

[5] السخاوي، **الضوء اللامع**، 356/1.

المكرمة أشبه بجامعة ضخمة فيها كثير من طلبة العلم والعلماء الذين يقومون بدروس في الحلقات على مرِّ الأيام، فعلَّموا وخرَّجوا علماء كانوا منابر للأجيال من بعدهم.

- المدارس: كثرت المدارس في مكة المكرمة في عصـــر المؤلف، حيث كان لها سمعتها العلمية الطيبة، وكان العلماء يدرِّسون فيها كافة العلوم، ومن أشهر المدارس في تلك الآونة[1].
- مدرسه الشريف عجلان
- مدرسة الفيروز آبادي

ت. المكتبات: حوت أغلب المدارس في مكة المكرمة على المكتبات التي تحتوي على كافة المعارف والعلوم، وكان في كل مكتبة موظفين مهمتهم الترتيب والتصنيف لهذه الكتب[2].

مما ذكرناه يتضح جلياً أنَّ عصر المؤلف شهد نهضة علمية واسعة في العديد من النواحي العلمية من كتاتيب ومدارس وحلقات تعليمية في المســـجد الحرام، وكان رحمه الله مشـــاركاً في الحركة العلمية من تدريس وتعليم.

3. البيئة الاقتصادية

تعود الأزمات الاقتصادية، أو الاستقرار الاقتصادي إلى سببين رئيسيين[3]:

---

[1] الفاسي، **في تاريخ البلد الأمين**، 71/6.

[2] فواز علي بن جنيدب الدهاس، **المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**، (السعودية: مجلة الجمعية التاريخية، العدد الثاني، السنة1، يوليو 2000م)، 80.

[3] تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، (مصر: عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1، 1427هـ)، 81.

أ. أســـباب طبيعية: كانتشـــار الأمراض والأوبئة، وعدم توفر الأمطار، المؤدية إلى الجفاف وإفقاد المصدر الرئيسي للغذاء.

ب. أسـباب بشـرية: كالصـراعات الداخلية بين الحكام والأمراء، والصـراعات الخارجية للسـيطرة على البلدان، مما يقطع المؤن عن المدن والبلدات، مسبباً أزمات اقتصادية.

وإذا تصـفحنا التاريخ، نجد أنَّ الحجاز قد مرَّت بأزمات اقتصـادية عديدة خلال حكم المماليك، ممَّا أثر ذلك على حياة الناس، غير أنَّ المماليك لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فقد كان لهم دور مهمٌّ في معالجة هذه الأزمات بقدر المسـتطاع، فكانوا يرسـلون المؤن والاحتياجات الأسـاسـية إلى مدن الحجاز، ويوزعونها على الناس طيلة فترة حكمهم، وإذا أردنا البحث في الحقبة الزمنية التي عاش فيها ابن الضـــياء، نجد أنها كانت متقلبة اقتصادياً كغيرها من السنوات الماضية، فقد كان الناس يعيشون في قحط شديد، وقلة مؤن، إلى أن فرَّج الله عنهم في نهاية القرن الثامن فهطلت الأمطار ونبت الزرع، وتحســـنت أحوال الناس[1]، لكنَّ هذا الخير لم يدوم طولاً، فعمَّ الغلاء واشـــتدَّت الأزمة على الناس في بداية القرن التاســـع، بســـبب قلة الأمطار، وعدم وصـــول المؤمن إلى الحجاز من البلدان المجاورة، ودام الأمر متقلباً بين شـــدَّة على الناس، واســـتقرار نســـبي في الحياة الاقتصـــادية، حتى هلك الفقراء وافتقر الأغنياء، وبقي الأمر هكذا إلى ســـنة: 844هـ، حيث أنَّ الأزمة الاقتصادية بدأت في التراجع[2].

4. دور المماليك في معالجة الأزمة الاقتصادية

---

[1] تقي الدين محمد بن أحمد بن طي الفاسي، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، 927/2.

[2] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1368م)، 167/9.

لم يكن سوء الأحوال المعيشية السيئة أمر سهل، فقد كان يؤثر سلباً على الجميع، وسع المماليك في التخفيف على الناس، ومشاركتهم معاناتهم، إلى أن رفع البلاء، وتحسنت الأحوال، ويعود أسباب الاستقرار في هذه الفترة الزمنية إلى عدة أمور، كان سببها سلاطين دولة المماليك، وكان من هذه الأسباب[1]:

أ. وفرة الأمطار، ممَّا أدّى إلى انتعاش الحياة الاقتصادية، وتحسن أحوال الناس.

ب. دخول المراكب المحمَّلة بالمؤن والخيرات إلى ميناء جدَّة، مرسلة من أمراء المماليك.

ت. إبطال المكوث والضرائب عن الحرمين، مما خفف عن النَّاس معاناتهم.

ث. الإكثار من الصدقات، والإحسان إلى الناس في بلد الحرمين، وفَّر للفقراء استمرارية الحياة.

ج. إرسال المال لتوفير المياه للعطاش وخاصَّة الحجاج.

المطلب الثاني: حياة ابن الضياء العلمية والعملية

إنَّ كل عالم يعرف بشيوخه وتلامذته، وإنَّ العالم المتقن ابن الضياء رحمه الله قد أخذ العلم بأنواعه عن كثير من الشيوخ، وكذلك نقل علمه الذي حصَّله إلى من جاء بعده من خلال تلامذته أو مؤلفاته العلمية. ولم

[1] النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى بأخبار ام القرى**، 72/9. الفاسى ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، 207/1. عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن محمد الأنصاري الجزيري، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م)، 392/1.

يغفل ابن الضياء الجانب العملي في حياته، بل كان مشرقاً بأعماله العلمية، ومناصبه التي تقلدها لفائدة الناس سواء توليه للقضاء، أو الحسبة، أو التدريس في المساجد والمدارس.

أولاً: طلبه للعلم وشيوخه

عاش ابن الضياء في عصر كثر فيه العلماء ، الذين أسهموا في ميدان العلوم بكافة أنواعها، فبدأ في أخذ العلم منهم بِنَهم، فحضر دروس الجمال الأميوطي، وتلا بقراءة أبي عمرو على الشمس الحلبي، وجمع السبع على محمد الصعيدي، وأخذ عن ابن حجر ومن هم في طبقته، و وأخذ عن المحب أحمد بن أبي الفضل والنويري وابن صديق والشمس بن سكر وغيرهم، وكان ممن أخذ عنهم من أهل مصر شرف الدين محمد بن الكويك، والشمس الزراتيتي و العز بن جماعة، وعنه أخذ الأصول والمعاني والبيان، وغيرهم مما أهَّله بعدُ للتعليم والإفتاء، والانفراد بالمشيخة في مذهبه ببلاد الحجاز[1].

ثانياً: تلامذة ابن الضياء

كانت دروس ابن الضياء ومجالسه عامرة بالعلم والمتعلمين، فقد كان مدرِّساً في الحرم المكي وبعض الأوقاف والمدارس، وكان من جملة طلابه على سبيل الذكر لا الحصر:

1. ظهيرة بن محمد أبو الفرج بن الرضي ابن الكمال أبي السعود القرشي المكي المالكي[2].
2. يوسف بن تغرى بردى الجمال أبو المحاسن بن الأتابكي[3].

---

[1] السخاوي، **الضوء اللامع**، 8/84-85 . السيوطي، نظم العقيان في **أعيان الأعيان**: 137/1. المروزي، **الأنساب** ، 55/4.

[2] السخاوي، **الضوء اللامع**، 15/4.

[3] **المصدر السابق**، 305/10.

3. أحمد بن عبد القادر أبي القسم المحيوي الأنصاري المكي المالكي[1].

4. شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي[2].

ثالثاً: مذهبه العقدي والفقهي

من يقرأ كتب ابن الضياء، ويطلع عليها لا يشك في أنَّه حنفيُّ المذهب صوفيُّ المشرب، محارباً للبدع، فقد صنف كتبه على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وكان قاضياً للحنفية في عصره. وقد جاء في كتبه العديد من المسائل الدالة على تصوفه، نذكر منها على سبيل المثال:

1. استشفاع ابن الضياء الحنفي بالنبي المكرم صلى الله عليه وسلم

قال ابن الضياء في تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف: "ونحن وفدك يا رسول الله وأضيافك، جئنا إلى جنابك الكريم من بلاد شاسعة وأماكن بعيدة، نقصد بذلك قضاء حقك علينا، والنظر إلى مآثرك، والتيمن بزيارتك، والتبرك بالسلام عليك، والاستشفاع بك إلى ربنا عز وجل، فإنَّ خطايانا قد قصمت ظهورنا، وأوزارنا قد أثقلت كواهلنا، وأنت الشافع المشفع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابا رَّحِيما ﴾ [النساء: 64]، وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربنا"[3].

---

[1] **المصدر السابق** ، 351/1.

[2] **المصدر السابق** ، 84/7.

[3] ابن الضياء ، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ)، 344/1.

فهو يستشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم متوسلاً به إلى الله عز وجل، ويقول في موضع آخر: "واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت حاصل؛ لأنه الشفيع الأكبر يوم القيامة والوسيلة العظمى في طلب الغفران ورفع الدرجات، من بين سائر ولد آدم، والمجيء إليه بعد موته تجديد لتأكيد التوسل به إلى الله تعالى وقت الحاجة"[1].

2. إنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم قد أحياه الله تعالى بعد موته حياة تامة

قال ابن الضياء: " أنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم أحياه الله تعالى بعد موته حياة تامَّة، واستمرت تلك الحياة إلى الآن، وهي مستمرة إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى، ويشاركه في ذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والدليل على ذلك أمور، أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169"[2].

رابعاً: آثاره العلمية

تظهر قيمة العالم بمؤلفاته وتمكُّنه العلمي، ومكانته بين أهل العلم في عصره، وابن الضياء كان ممن ألَّف وكتب وجمع، بكلِّ دقة وموضوعية، وكانت مؤلفاته العلمية كالآتي[3]:

1. المشْرَع في شرح المجمع: وهو «مجمع البحرين وملتقى النيرين» لأحمد بن علي بن تغلب المعروف بابن الساعاتي البغدادي، في فقه الحنفية، في أربع مجلدات.

---

[1] **المصدر السابق**:346/1.

[2] قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها:"كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، 1611/4، حديث رقم: ٤١٦٥.

[3] السخاوي، **الضوء اللامع**، 84/7-85. رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 189/11. **مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية**، الرياض 1418 هـ، فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة.

2. البحر العميق في مناسك حج البيت العتيق، في أربعة أجزاء، والربع الأخير منه يتكلم فيه عن بعض حوادث مكة والكعبة والمسجد الحرام. وهو مطبوع، طبعتها مؤسسة الريان –بيروت.

3. تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام في مجلد، قال عنه الإمام مصطفى حاجي خليفة: "وهو رسالة في كراسة ثم اختصرها. وطبعتها دار البشائر الإسلامية –بيروت.

4. شرح الوافي: له شرحان مطول ومختصر.

5. «تكملة شرح والده لكتاب «كنز الدقائق» في فروع الفقه الحنفي.

6. شرح مقدمة الغزنوي في العبادات وسماه: الضياء المعنوي، له نسخة في مكتبة مكة برقم: 539 في الفهرس، بعنوان: ضياء المعنوية على المقدمة الغزنوية في 428 ورقة، وقد ذكر السخاوي أنَّ والده أكمله وفيه نظر لأن والده توفي سنة: 825 هـ، أي قبل ابن الضياء، ولعل من أكمله ولده فوقعت سهواً.

7. شرح للبزدوي في أصول الفقه، وصل فيه إلى القياس ولم يكمل.

8. المتدارك على المدارك في التفسير، وهو كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل لحافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي، لم يكمله، وصل فيه إلى آخر سورة هود.

9. تفسير سورة الحج وطه والأنبياء مكتوبة بخط المؤلف، وهو مخطوط موجودة في مكتبة السليمانية في تركيا.

10. الشافي في مختصر الكافي ولم يكمل.

11. النكت على الصحيح، في الحديث[1].

[1] الزركلي، **الأعلام**، 332/5.

12. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف وهو مطبوع. قال عنه الإمام شمس الدين السخاوي: "وله نظم كتبت منه في معجمي أبياتاً". مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية الطبعة: الأولى، 2004[1].

خامساً: مناصب ابن الضياء

ولكل مجتهد نصيب، وقد صار ابن الضياء رحمه الله من الفقيه الحنفي، والقاضي والمفتي والمفسر، فدرَّس بالمسجد الحرام، وبعض مدارس مكة، وتولى النظر على بعض الأوقاف بمكة لعدَّة سنوات، وتقلَّد القضاء بمكة المكرمة، وأضيف إليه نظر الحرم والحسبة، ثم انفرد بمنصب القضاء إلى وفاته. وهو أول قاض ولي بمكة قضاء الحنفية استقلالاً[2].

سادساً: ثناء العلماء عليه

حاز ابن الضياء على سمعة طيبة واسعة، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء، يذكر الباحث منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قال الإمام السخاوي[3]: "كان ابن الضياء إماماً علَّامة متقدماً في الفقه والأصلين والعربية، مشاركا في الفنون، حسن الكتابة والتقييد، عظيم الرغبة في المطالعة والانتقاء، بحيث بلغني عن أبي الخير بن عبد القوي أنه قال: "أعرفه أزيد من خمسين سنة وما دخلت إليه قطُّ إلا ووجدته يطالع أو يكتب"، " وقاضي

---

[1] **المصدر نفسه**. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي– لبنان ، ط1، 1423هـ)، 359/3.

[2] أبو المحاسن ، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 179/2. السخاوي، **الضوء اللامع**، 7، 85.

[3] السخاوي، **الضوء اللامع**، 7، 85.

مكة المشـــرفة، وعالم تلك البلاد ومفتيها –على مذهبه–مع الجودة والخير والخبرة بدنياه، ســـافر وطَوَّف البلاد، ومع ذلك لم تَفُتْهُ وقفةٌ بعرفة منذ احتلم إلى أن مات ودخل بيت المقدس مرتين"، كما نقل عن ابن عذيبة في حقِّ ابن الضياء. ووصفه الأتابكي بقوله: " حضرت دروسه في عدة علوم، وأجاز لي بجميع ما يجوز عنه روايته، وبجميع مصـــنفاته، ورأيته رجلاً وفقه الله لطلب العلم، لا يكل ولا يمل من الاشـــتغال والإشغال والتصنيف"[1]. قال السيوطي عنه: "وانفرد بالشيخونية في مذهبه في بلاد الحجاز"[2].

[1] أبو المحاسن، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 253/9.

[2] السخاوي، **الضوء اللامع**، 84/7-85. الزركلي، **الأعلام**، 332/5.

المبحث الثاني: التعريف بمخطوط ابن الضياء

المطلب الأول: قيمة الكتاب العلمية ومزاياه

لا شكَّ أنَّ هذا السفر عظيم في قيمته العلمية، لاحتوائه على تفسير سورة من كتاب الله تعالى، وقد اشتمل هذا السفر على الكثير من الفوائد والمزايا، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. تقسيم الآية إلى مسائل، وهذا أمر واضح في تفسيره، بحسب الأحكام أو المسائل التي يريد عرضها، كما أن هذه المسائل متنوعة، فهي في التفسير أو العقائد، أو الفقه.
2. عدم التعصب إلى مذهب معين، فنجده يذكر المسائل، والخلاف فيها بين أصحابها، فينقل الأقوال، من غير تعقب.
3. إنَّ ابن الضياء لئن كان قد صنف تفسيره بالرجوع إلى أقوال من كان قبله من المفسرين، أمثال: القرطبي، والرازي، والبغوي، والنسفي، والزمخشري، وغيرهم، فإنَّ هذ الأمر ليس بالأمر السهل اليسير، بل هو عمل شاقٌّ وصعب، لأنَّ الجمع بين هذه الأقوال وتنظيمها وإخراجها بهذه الحلَّة البهية، يحتاج إلى علمٍ جمٍّ، وكثرة قراءة واضطلاع، ودراية وافرة بما يكتب.
4. امتاز الكتاب بميزات عديدة في مصادره، منها: كثرة مصادره وتنوعها، ومنها: كثرة التفسير المأثور عن السلف، وإن كان فيه إشكال من جهة الإسناد،
5. نقل المؤلف عن كتب مفقودة بالنسبة، كتفسير البرهان النسفي، وكتاب القلم، والدواة، وغيرها.
6. وضوح العبارة وبعده عن التكلف في صياغة المعنى، وغريب الكلام.
7. عنايته بالقراءات المتواترة، وبيان وجوهها، في غالب الأحيان.

8. اعتماده مذهب أهل السنة والجماعة، فيما يأتي به من مسائل في العقيدة، إلا في بعض المسائل.

9. حسن السبك بين الأقوال، فإنّه يأتي بأقوال المفسرين، جامعاً لها، وكأنَّها قول واحد.

10. جمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود.

11. إيراده لبعض الاعتراضات التي قد ترد في الأذهان، والرد عليها.

وقد يكون هناك العديد من المزايا في قيمته العلمية، قد غفلت عنها، والله أعلم بالصواب.

المطلب الثاني: المآخذ على هذا التفسير

قضت سنة الله في أرضه ألا يخلو عمل من الأعمال من الأخطاء، فلا كمال إلا لله سبحانه وتعالى وصنعه، ولا يخفى على أحد الجهد العظيم الذي بذله علماء المسلمين في نصرة الدِّين من توجيهٍ ودعوة وتأليف وغيره، وقد كان إمامنا ابن الضياء من هؤلاء العلماء، فدرَّس وصنَّف وألَّف، وقد ترك هذا السِّفر من الخير لمن جاء بعد، وهذا الكتاب كغيره من الكتب يوجد فيه بعض المآخذ، فلا يخلو كتاب من خطأ إلا كتاب الله تعالى، وهذا لا ينقص الكتاب من قيمته العلمية، لكونها في جانب الصواب لا تذكر، ويمكنني أن أجملها بالنقاط الآتية:

1. كان ابن الضياء يرجع إلى عدد من التفاسير وينقل منها النص مباشرة، حيث أنَّه لم يكن له بصمة أو تعقب أو شرح لأقوال المفسرين التي نقلها عنهم، فقد كان ناقلاً فحسب.

2. كان ابن الضياء ينقل أقوال العلماء من تفاسير ومصادر أخذت منهم، فهو لم يرجع إلى كتبهم، بل نقلها بواسطة مفسرين آخرين، وهذا من العيوب والمآخذ التي تؤخذ على ابن الضياء، إذ الأصل أن يستمدّ المعلومة من مصدرها الرئيس ولا ينقلها بواسطة عن مفسِّرين آخرين.

3. بجانب ما ذكر من المصادر، فإنَّ هناك مصادر أخرى لم يذكرها ابن الضياء، فقد كان يكتفي بالنقل عن جملة المفسرين أو بعضهم، وكان يعبّر عن ذلك بعبارات تفيد ذلك مثل: قال أهل التفسير، وقال أكثر المفسرين، وذهب جمهور المفسرين، وعند بعض المفسرين. وأسلوب التعميم هذا، هو من العيوب، وذلك لصعوبة التحقق من صحة المنقول.

4. يروي الموضوعات والأباطيل والإسرائيليات في التفسير، من دون أن ينبِّه عليها بالوضع أو أنها من الإسرائيليات إلا قليلاً.

5. يذكر بعض الأحاديث الموضوعة، والتي لا أصل لها، ويستشهد فيها على العديد من المسائل.

6. إيراده لبعض أقاويل أهل الباطل، وعدم الردِّ عليها، كالمعتزلة.

قبل الخوض في تحقيق المخطوط يجب التعريف به، من اسمه واسم مؤلفه، وصحة نسبته له، وكذلك وصفه نظرياً، وعرض بعض الصور منه.

المطلب الثالث: التعريف بمخطوط ابن الضياء

هذا المطلب يبحث في اسم الكتاب، وصحة نسبته لمؤلفه، وإيراد الحجة على ذلك، من خلال الكتاب نفسه، وما ورد فيه من أقوال من المصادر الخارجية التي بحثت عن حياة ابن الضياء، ومؤلفاته العلمية.

أولاً: اسم الكتاب

اسم هذا التفسير كما كتب مؤلفه، تفسير أبي البقاء بن أحمد بن الضياء القريشي العدوي الحنفي.

ثانياً: صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف

جاء في بداية المخطوط: "هذ التفسير لمحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن علي بن إسماعيل، أبو البقاء بن شهاب أبي العباس، وأبي الخير بن الضياء أبي عبد الله بن العز العمري الصاغاني[1] الأصل، المكي، القرشي، الحنفي، يعرف بابن الضياء كأبيه العلامة أحمد بن الضياء[2]. وإنَّ نسبة الكتاب لمؤلفه ابن الضياء واضحة وثابتة من جهتين:

[1] نسبة إلى مدينة صاغان وهي قرية بمرو يقال لها: (صاغان)، وقيل: نسبة أيضًا إلى الصغانيان. المروزي، **الأنساب**، 8/9-10. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **اللباب في تهذيب الأنساب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1994م)، 229/2.

[2] ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب**، 229/2. الزركلي، **الأعلام**، 332/5

1. إثبات الكاتب لذلك، حيث أشار إلى ذلك في بداية الكتاب، وفي ختامه، حيث كتب ما نصه في بداية الكتاب: "تأليف كاتبه الفقير إلى الله تعالى ابن أبي البقا بن الضياء الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي، حامداً لله تعالى ومصلياً على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين".

وجاء في نهاية المخطوط: تمَّ هذا الجزء بعون الله وتوفيقه على يد مؤلفه الفقير إلى الله الغني أبي البقا ابن أحمد ابن الضـــياء الحنفي عامله الله بلطفه الخفي، في يوم الأحد ثامن جمادى الأولى عام ثلاث وخمسين وثمان ومائة، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد ذكر أصحاب الكتب أنَّ لابن الضياء كتاب في تفسير القرآن، ومنها: طبقات المفسرين للداوودي، الأعلام للزركلي، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين للباباني البغدادي.

المطلب الرابع: وصف المخطوط وصور من نسخته

وفيه يذكر وصفاً للمحطوط بشكل تفصيلي، من عدد اللوحات والأسطر والكلمات، وغير ذلك، مع عرض صور لهذا المؤلف.

أولاً: وصف المخطوط

بالنسبة لنسخ المخطوط، فإنني لم أقف إلَّا على نسخة واحدة، وهي النسخة الموجودة في المكتبة السليمانية، ووصفها كالآتي:

1. ذكر الكاتب اسماً للمخطوط في الورقة الأولى، وكذلك من كتبه ومن ألفه.
2. كتب المخطوط في يوم الأحد ثامن جمادى الأولى عام ثلاث وخمسين وثمان ومائة، كما ذكر في أخر المخطوط.
3. يقع المخطوط في 260 لوحاً، كلُّ لوح صفحتان.
4. في كل صفحة يوجد 21سطراً، وفي كل سطر تتراوح عدد كلماته بين 13 و15 غالباً.
5. كتب المخطوط بخط نسخ واضح ومقروء، وكتبت الآيات باللون الأحمر.
6. كتبت بعض التعليقات في الهامش بخط النسخ.

ولتعذر الحصول على نسخة أخرى، كون هذه النسخة هي الوحيدة والمكتوبة بيد المؤلف، اعتمدت على الكتب التي صرَّح المؤلف بنقله منها، كتفسير الرازي، والقرطبي، والنسفي، وغيره، والتي اعتمدت عليها في تقويم الأخطاء إن وجدت.

ثانياً: صور من نسخة المخطوط

وفيما يلي نماذج من النسخة الخطية

هذا تفسير ابي البقا بن احمد بن الضيا
القرشي العدوي الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي

تملكه الفقير الى لطف ربه المنعام
ابراهيم الامام بجامع سردار احمد بنا
رسموعفو الله له ولكاتبه
امين

تملك الفقير الى لطف ربه المنعام الشيخ محمد ابن الشيخ مصطفى
عومل بلطفه تام

مالف كتاب الفقير الى الله تعالى ابي البقا بن الضيا الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي حامدا لله تعالى ومصليا على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين

٤٨

فيه من السورة طه ٥ الانبياء ٥ الحج ٥

علم التفسير بحث فيه عن مراد الله تعالى من القرآن المجيد وهو منحصر في قسمين التفسير
والتأويل لان بيان معاني القرآن اما بالنقل عن النبي عم او عن الصحابة وهو
التفسير واما بحسب قواعد العربية وهو التأويل وبالجملة التفسير ما يتعلق بالرواية
والتأويل ما يتعلق بالدراية وبما هذا امكن ان يوجه قوله عليه السلام من فسر القرآن
برأيه فقد كفر بوجهين احدهما ان المراد من التفسير بالرأي النقل فمعنى فسر لا يكون الا بالنقل
فمعنى الحديث ان من نقل معنى القرآن عن النبي عم او عن اصحابه برأيه وهو غير مؤتمن
فانه افترى على النبي عم والثاني انه القرآن لا يجب الرواية بل بمجرد رأيه فرع فيه الاهوى

٤١

SÜLEYMANİYE KÜTÜPHANESİ
Esad Ef.
CB 1589
60

والروحاني والالتفات الى احدهما يمنع الاشتغال بالاخر
وان موسى عليه السلام كان محتاجا الى الكل ومن استانس بالحق
استوحش عن الخلق فسأل موسى ان يشرح صدره بان يفيض
عليه كمالا من القوة لتكون قوته وافية بضبط اصلاح العالمين
فهذا هو المراد من شرح الصدر ۞ ان العلماء ذكروا لهذا المعنى
امثلة ۞ منها ان البدن بالكلية كالمملكة ۞ والصدر كالقلعة
والفؤاد كالقصر ۞ والقلب كالتخت ۞ والروح كالملك ۞ والعقل
كالوزير ۞ والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب الميرة الى البلدة
۞ والغضب كالشحنة يشتغل بالضرب ۞ والتاديب ابدا ۞ والحواس
كالجواسيس ۞ وساير القوى كالعملة والصناع ۞ ان الشيطان
خصم لهذه الولاية ۞ ولهذه القلعة ۞ ولهذا الملك ۞ فان الشيطان
كالسلطان ۞ والهوى والحرص وساير الاخلاق الذميمة جنوده
۞ كما ان الوزير وهو العقل يدعو الى خدمة حضرة الله سبحانه
فالهوى يدعو الى متابعة الشيطان ۞ وكما ان الروح وهو الملك اخرج
الفطنة وامدها بالفكرة ليقف على الحاضر والغائب ۞ قال
عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة ۞ فالشيطان اخرج
في مقابلة الفكرة الغفلة ۞ ان اخرج الروح التوقف والعلم والثبات
فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا ۞ والعلم يوقف العقل
على قبح الدنيا ۞ فاخرج الشيطان في مقابلة التوقف والعلم
العجلة والسرعة ۞ لهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق شيئا
الا زانه ۞ ولا الخرق الا شانه ۞ ولهذا انضاف الله السموات

والارض

والارض في ستة ايام ۞ وهذه هي الخصومة الحاضرة بين الطائفتين
۞ والصدر هو المعركة ۞ ان لهذا الصدر الذي هو القلعة
خندق ۞ وهو الزهد في الدنيا ۞ ولها سور ۞ وهو الرغبة في الاخرة
۞ ومن المعلوم ان الخندق اذا كان عميقا والسور اذا كان قويا
عاليا كان عجز الخصم عن الدخول اغلب واكثر ۞ ولو كان على العكس فالامر
على العكس فاعتبر بما عرفت ۞ الفصل السادس في الصدر
اعلم انه يجي والمراد منه القلب ۞ قال الله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام ۞ وقد يجي والمراد منه الفضاء الذي فيه الصدر ۞ قال
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ۞
واختلف الناس في ان محل العلم هو القلب او الدماغ
وجمهور المتكلمين على انه هو القلب ۞ وسياتي ذكر هذه المسئلة في سو
الشعراء عند قوله نزل به الروح الامين على قلبك ۞ ومنهم
من قال المراتب اربع ۞ الصدر ۞ والقلب ۞ والفؤاد ۞ واللب
فالصدر مقر الاسلام ۞ افمن شرح الله صدره للاسلام ۞ والقلب
مقر الايمان ۞ ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ۞ والفؤاد
مقر المعرفة ۞ ما كذب الفؤاد ما راى ۞ واللب مقر التوحيد ۞ انما
يتذكر اولوا الالباب ۞ واعلم ان القلب اول ما بعث الى هذا
العالم بعث خاليا عن النقش كاللوح الساذج ۞ وهو في عالم البدن
كاللوح المحفوظ ۞ ان الله تعالى يكتب فيه بقلم الرحمة والعظمة
جميع ما تعلق بعالم العقل من نقوش الموجودات ۞ وصور الماهيات
وذلك يكون كالسطر الواحد الى اخر قيام القيمة لهذا العالم الاصغر

اهانته ۞ قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي
يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار ۞ رواه ابن مردويه
في تفسيره من حديث ابي بن كعب وحاله معروف ۞ وقال
صلى الله عليه وسلم لا يقرا اهل الجنة من القرآن الا طه ويس
رواه الثعلبي من حديث الحسن مرسلا ۞ والله اعلم ۞

سورة الانبياء عليهم السلام

مكية في قول الجميع ۞ وهي مائة واثنتا عشرة اية ۞ كوفي ۞ واحدى
عشرة مدني وبصري ۞ قال ابن مسعود رضي الله عنه الكهف
ومريم وطه والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادي ۞ يريد من
قديم ما كسبت وما حفظت من القرآن كالمال التلاد ۞ وروي
ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به في يوم
نزول هذه السورة ۞ فقال الذي يبني الجدار ماذا انزل اليوم
من القرآن فقال الاخر نزل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون فنفض يده من البناء وقال والله لا بنيت ابدا وقد
اقترب الحساب كذا ذكره القرطبي ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

نزل في منكري البعث قوله اقترب دنا للناس اللام صلة
اقترب ۞ قال ابن عباس المراد بالناس المشركون بدليل قوله الا
استمعوه وهم يلعبون الى قوله افتاتون السحر وانتم تبصرون
۞ وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعض بالدليل القاهر وهو ما
يتلوه من صفات المشركين ۞ وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه
في ذلك الوقت كفار قريش ۞ يدل على ذلك ما بعده من الايات كذا في القرطبي
حسابهم ۞ وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم ۞ يعني
يوم القيمة ۞ قال الزمخشري والمراد اقتراب الساعة واذا
اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب
والعقاب وغير ذلك ۞ ونحوه واقترب الوعد الحق ۞ قال
الامام فخر الدين والقرب لا يعقل الا في الزمان والمكان ۞ والقرب
المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني ۞ فان قلت
كيف وصف بالاقتراب ۞ وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمس
مائة عام قلت هو مقترب عند الله تعالى ۞ والدليل عليه
قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ۞ ولان كل ات وان
طالت اوقات استقباله وترقبه قريب ۞ وانما البعيد هو الذي
وجد وانقرض ۞ ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها
بدليل ابتعاث خاتم النبيين الموعود ببعثته في اخر الزمان ۞ وقال
بعثت في نسم الساعة ۞ رواه البزار في مسنده وابو نعيم في الحلية
۞ والنسم جمع نسمة اي في ذوي ارواح خلقوا بقرب الساعة
۞ وروى الترمذي من حديث المستورد بن شداد بعثت في نفس
الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه لاصبعه السبابة والوسطى
وقال حديث غريب ۞ وفي خطب بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء
فلم يبق الا كصبابة الاناء فاذا كانت بقية وان كثرت في نفسها
قليلة بالاضافة الى معظمها كانت خليقة بان توصف بالقلة

الفصل الثالث: القسم المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تفسير" أبي البقاء بن أحمد بن الضياء القريشي العدوي الحنفي"، عامله الله بلطفه الخفي.

تأليف كاتبه الفقير إلى الله تعالى" ابن أبي البقا بن الضـــياء الحنفي"، عامله الله بلطفه الخفي، حامداً لله تعالى ومصـــلياً على نبينا محمد صـــلى الله عليه وســـلم، وعلى آله وصـــحبه أجمعين. فيه من الســـور: طه، الأنبياء، الحج.

علم التفسير[1]: بُحِثَ فيه عن مراد الله تعالى من القرآن المجيد، وهو منحصر في قسمين: التفسير والتأويل، لأنَّه بيان معاني القرآن، إمَّا بالنقل عن النبي صـلى الله عليه وسـلم، أو عن الصـحابة، وهو التفسـير، وإما بحسب القواعد العربية، وهو التأويل.

[1] التفسير لغة: هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ يقال: فسَّرت الحديث أَي بيَّنته وأَوضحته.وأمَّا اصطلاحاً: فهو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. والتأويل لغة: من الأول ويقال آل الأمر إلى كذا أي صار إليه وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82] وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير وقد أولته فآل أي صرفته فانصرف فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 148/2.

أمَّا في الاصطلاح: قال الراغب الأصفهاني: هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا.وهذا التعريف رآه الباحث من أدق التعاريف للتأويل، فتأويل الكلام هو: ردّ معانيه إلي أصلها الذي تحمل عليه، وتنتهي إليه. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 99.

وبالجملة التفســـير[1]: ما يتعلق بالرواية، والتأويل: ما يتعلق بالدراية، وعلى هذا أمكن أنْ يوجَّه قوله عليه السلام: «من فسَّر القرآن برأيه فقد كفر»[2] بوجهين:

أحدهما: أنَّ المراد من التفسير إما كل النقل فمعنى فسَّر: لا يكون إلا النقل، فمعنى الحديث: أنَّه من نقل معنى القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه برأيه وهو رسمه فقد كفر، لأنَّه افترى على النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أنَّه فسَّر القرآن لا بحسب الرواية، بل بمجرد رأيه، من شرح قطب الأنهى[3]. [1/ب].

---

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 150/2

أمَّا في الاصطلاح: قال الراغب الأصفهاني: هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا.وهذا التعريف رآه الباحث من أدق التعاريف للتأويل، فتأويل الكلام هو: ردّ معانيه إلي أصلها الذي تحمل عليه، وتنتهي إليه. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 99.

[2] لم أجد في المصادر التي بين يدي على حديث بهذا اللفظ، ولكن وردت بعض الآثار في الوعيد على من تكلم في القرآن بغير علم، فقد ورد في الحديث: «من قال في القرآن برأْيِهِ، فليتبوأ مقعده من النَّار». أخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، **سنن الترمذي**، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395 هـ / 1975 م)، 199/5، حديث رقم: 2951، ضعفه الألباني.

[3] لم أجده رغم البحث الكثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه: مكية في قول الجميع، وهي مئة وأربعون أو واثنان، أو مئة وخمسون وثلاثون آية، وألف وثلاثمئة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً[1].

اعلم أنَّ من جملة ما يدلُّ على اتصال هذه السورة بما قبلها، هو أنَّ عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام مشتركان في الغموم والهموم بسبب الولادة، وفي الإنعام من الحضرة الإلهية بعدها في حقهما، وفي حق والدتيهما على ما عرف، ومن تلك الجملة أيضاً أنَّ المقصود من تلك السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، وفي هذه السورة ما يدل عليها كذلك، ووجه اتصال أول هذه السورة بآخر السورة قبلها، أنَّه لما كان المقصود بيان هذه الأمور بَيَّن الله سبحانه وتعالى في آخر تلك السورة أنَّه يسَّر ذلك البيان بلسان ليبشر به وينذر، فقال: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ [مريم: 97] الآية، وهذا من النعم العظيمة والتشريفات الكريمات في حقِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسولُ بالغَ في العبادات ليلاً ونهاراً وأتعبَ نفسَه شكراً لذلك، فخاطبه في أوَّل هذه السُّورة بقوله: ﴿**طه*مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه: 1-2][2]، قاله النسفي[3]. قال القرطبي[4] في تفسيره: نزلت هذه السورة قبل إسلام عمر رضي الله عنه. روى

---

[1] الداني، **البيان في عدّ آي القرآن**، 183.

[2] لم أجد تفسيره، فأثبت ما جاء في تفسيره من تفسير الرازي إن وجدت المنقول فيه، كونه استخلص تفسيره منه.

[3] محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل برهان الدين النسفي: مفسر أصولي من أهل الكلام، حنفي المذهب، سكن بغداد وتوفي بها سنة: 687هـ. من تصانيفه: الواضح في تلخيص تفسير القرآن للفخر الرازيّ، والمقدمة النسفية، والفصول في علم الجدل، ومنشأ النظر في علم الخلاف، والقوادح الجدلية. أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، **تاج التراجم**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1413 هـ)، 1 /246. الزركلي، **الأعلام**، 7 /31.

[4] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح. أندلسي من أهل قرطبة أنصاري، الصالح العابد، من كبار المفسرين. رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن الخصيب (بمصر) وبها توفي:671 هـ. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأمور الآخرة، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى. اليعمري، برهان الدين، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر)، 2 /308. الزركلي، **الأعلام**، 5 /322.

الدارقطني[1] في سننه عن أنس بن مالك[2]رضي الله تعالى عنه، قال: خرج عمر متقلداً السَّيف[3]، فقيل له: إنَّ ختَنَك وأختك قد صـــبُؤَا فأتاهما عمرُ وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خبَّاب[4]، وكانوا يقرؤون: "طه"، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأَه–وكان عمر رضـي الله تعالى عنه يقرأ الكتب–فقالت له أخته: إنَّك نجس[5]، ولا يمسُّـه إلا المطهرون فقم فاغتسـل، أو توضـأ. فقام [2/أ] عمر فتوضـأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: "طه"[6]. وذكره ابن إسحاق[7]مطوَّلاً: وأنَّ عمر خرج متوشِّحاً سيفَهُ يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم وقتلَه، فلقيه نُعيم بن عبد الله[8]، فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصـابئ الذي

---

[1] هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسـن، البغدادي الدارقطني، إمام ومحدث حافظ، وفقيه، ومقرئ. وتوفي سـنة 385 هـــ في بغداد، من تصانيفه: السنن، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، المجتبى من السنن المأثورة، المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 3 /132، الزركلي، **الأعلام**، 4 /314. عمر رضـا كحالة، **معجم المؤلفين**، (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بدون ذكر الطبعة)، 7 /157.

[2] هو أنس بن مالك بن النضر، النجاري الخزرجي الأنصاري، حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخادمه، رحل إلى دمشق، ثم إلى البصرة، فمات بها، وهو آخر من مات بها من الصـحابة. له في الصـحيحين 2286 حديثًا. توفي: سـنة 93هـ. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 37/1. 145.ابن حجر العسـقلاني أبو الفضـل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **الإصـابة في تمييز الصـحابة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ)، 1 /275. الزركلي، **الأعلام**، 2 /24.

[3] في تفسير القرطبي: خرج عمر متقلداً بسيف.

[4] هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو يحيى أو أبو عبد الله، التميمي. صحابي من السابقين. قيل: أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسـلامه، ثم شـهد المشـاهد كلها. قال على رضـي الله عنه: رحم الله خبابا أسـلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا. روى له البخاري ومسلم 32 حديثا توفي: سنة 37هـ. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 2 /221. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 2 /147. الزركلي، **الأعلام**، 2 /301.

[5] في تفسير القرطبي: إنَّك رجس

[6] أخرجه الدارقطني، **سنن الدارقطني**، باب: في نهي المحدث عن مس القرآن، 221/1، حديث رقم: 441، ضعيف.

[7] محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري، علامة، حافظ، أخباري، أبو بكر –وقيل: أبو عبد الله –القرشي، له كتاب: السيرة النبوية، وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، توفي سـنة 151هـ. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **سـير أعلام النبلاء**، (القاهرة: دار الحديث، ط 1427)، 6 /492. ابن حجر العسـقلاني أبو الفضـل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، 9 /38.

[8] هو نعيم بن عبد الله النحام بن أسيد بن عبد عوف بن عُبَيْد بن عويج بن عدي بن كعب القرشـي العدوي، قتل يوم اليرموك شـهيداً سـنة خمس عشرة فِي خلافة عمر، وقيل: استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة، فِي خلافة أبي بكر. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 5 /326. القرطبي، أبو عمر يوسـف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصـم النمري، **الاسـتيعاب في معرفة الأصـحاب**، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412 هـ)، 1507/4.

فرَّق أمرَ قريش، وسفَّه أحلامَها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتُلُه. قال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسُك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشـي على الأرض، وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجعُ إلى أهلك فتُقيمَ أمرَهم؟! قال: وأيّ أهل بيتي؟ قال: خَتَنُكَ، وابنُ عمك سـعيدُ بن زيد[1]، وأختُك فاطمة بنت الخطاب[2]، فقد والله أسـلما وبايعا محمداً على دينه، فعليك بهما. قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صـحيفةٌ فيها"طه" يقرؤها عليهما، فلمَّا سمعوا حِسَّ عمر تغيّب خبّابٌ في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذتْ فاطمة الصـحيفة فجعلتها تحت فخذِها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلمَّا دخل قال: ما هذه الهينمةُ التي سمعت؟ قالا له: ما سمعتَ شيئاً، قال: بلى والله لقد أُخبِرت أنكما بايعتما محمداً صلى الله عليه وسلم على دينه. وبطش بلحية سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكُفَّه عن زوجها فضربها فشجَّها، فلمَّا فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسـلمنا وآمنَّا بالله ورسـوله، فاصـنع ما بدا لك. فلمَّا رأى عمرُ ما بأخته من الدم نَدِمَ على ما صـنع فارعوى، وقال لأخته: أعطني هذه الصـحيفةَ التي سمعتُكم تقرؤون آنفاً أَنظر ما هذا الذي جاء به محمد صـلى الله عليه وسـلم-وكان عمر كاتباً-فلمَّا قال ذلك، قالت له: إنَّا نخشـاك عليها[2/ب] قال لها: لا تخافي. وحلف بآلهته ليردَّنها إذا قرأها، فلمَّا قال ذلك طمِعت في إسـلامه، فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنَّه لا يمسُّها إلا المطهَّرون، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفةَ وفيها "طه"، فقرأها، فلمَّا قرأ منها صدراً، قال: ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه! فلمَّا سمع بذلك خبابٌ خرج إليه، فقال له: يا عمر،

---

[1] هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، من المبشرين بالجنة، شهد المشاهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وشهد حصار دمشق، وفتحها، ولَّاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فكان أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره. توفي بأرضه بالعقيق، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة 50هـ أو 51هـ، وهو ابن بضع وسبعين سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 1 /124. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 2 /614. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 2 /276.

[2] هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية، أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وهي امرأة سعيد بن زيد، أسلمت أول الإسلام مع زوجها سعيد قبل إسلام أخيها عمر، وكانت سبباً لإسلام عمر. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 7 /215. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4 /1892.

والله إني لأرجو أن يكون اللهُ قد خصَّـك بدعوة نبيِّه صـلى الله عليه وسـلم، فإني سمعتُه أمسِ وهو يقول: «اللهم أيِّد الإسـلام بأبي الحكم بن هشـام[1]، أو بعمر بن الخطاب» فاللهَ اللهَ يا عمر. فقال له عند ذلك: فدلَّني يا خبَّاب على محمد حتى آتيه، فأُسلم، فذكر الحديث[2]. قال القرطبي: أسند الدارمي [3] في "مسنده" عن أبي هريرة[4]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتعالى قَرَأَ "طه" وَ"يس" قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعْتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ: طُوبَى لأُمَّةٍ يَنْزِلُ هَذَا عَلَيْهَا، وَطُوبَى لأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا، وَطُوبَى لأَلْسِـنَةٍ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا»[5]. قال ابن فورك [6]: معنى قوله: «إِنَّ اللَّهَ تعالى قَرَأَ طه وَيس» أي: أظهر وأسمع وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت، فعلى هذا يكون الكلام ســـابقاً، وقراءته: إسماعه وإفهامه بعبارات يخلقها وكتابة يُحدثها، وهو معنى قولنا: قرأنا كلام الله، ومعنى قوله: ﴿**فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّـــرَ مِنۡهُ**﴾ [المزمل: 20]. وقيل: معنى قوله: قرأ، أي: تكلَّم به وهو مجاز،

---

[1] عمرو بن هشـام بن المغيرة المخزومي القرشـي: أشـد الناس للإسـلام، وواحد من سـادات قريش في الجاهلية، وكان يقال له " ابو الحكم " فدعاه المسلمون " أبا جهل. استمر على عناده، يثير الناس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه والكيد لهم، قتل مع المشركين في غزوة بدر سنة: 2 هـ. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، (إستانبول: مكتبة إرسيكا، 2010 م)، 4 /127. الزركلي، **الأعلام**، 5 /87.

[2] أخرجه ابن اسحاق، محمد بن يسار المطلبي، **السيرة النبوية**، إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ)، 222/2.

[3] هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارميّ السمرقندي، أبو محمد، المفسر الفقيه، من حفاظ الحديث. سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير. كان قاضياً على سمرقند، فقضى قضية واحدة، واستعفى فأعفي. من مصنفاته: المسند في الحديث، الجامع الصحيح (سنن الدارميّ)، والثلاثيات، توفي سنة 255هـ. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 90/2. الزركلي، **الأعلام**، 4 /95.

[4] هو عبد الرحمن بن صخر. من قبيلة دوس، وقيل في اسمه غير ذلك، أكثر الصحابة رواية للحديث، أسلم 7هـــ، وهاجر إلى المدينة. وكان ملازماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. ولي البحرين، ثم عزل عمره للينه. وولي المدينة سنوات في خلافة بني أمية. توفي سنة: 59هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 3 /457. الزركلي، **الأعلام**، 3 /308.

[5] أخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، **مسند الدارمي** المعروف بـ **(سنن الدارمي)**،باب: في فضـل سـورة طه ويس، (المملكة العربية السـعودية: دار المغني للنشـر والتوزيع، ط1، 2000م)، 2147/4، حديث رقم 3457، إسـناده ضعيف جدا.

[6] هو محمد بن الحسـن بن فُورك، أبو بكر من أهل أصبهان وأقام بالري وبالعراق. متكلم فقيه، أصـولي، ولغوي. كثير التصـنيف. كان شـديد الرد على أبي عبد الله بن كرام. من تصانيفه: مشكل الآثار، تفسير القرآن، النظامي في أصول الدين. توفي: سنة 406 هـــ. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، (مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ)، 4 /127. الزركلي، **الأعلام**، 6 /83.

والأوَّل أصحُّ في تأويل الخبر؛ لأنَّ كلام الله تعالى أزلي قديم سابق لجملة الحوادث، وإنما أسمع وأفهم من أراد من خلقه ما أراد في الأوقات والأزمنة؛ لا أنَّ عَين كلامِه[3/أ] يتعلَّق وجوده بمدة وزمان[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ السُّورَةَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا الْبَقَرَةُ مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وَأُعْطِيتُ طه وَالطَّوَاسِينَ مِنْ أَلْوَاحِ موسى عليه السلام، وَأُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْقُرْآنِ وَخَوَاتِيمَ السُّورَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا الْبَقَرَةُ مِنَ كنز تَحْتِ الْعَرْشِ، وَأُعْطِيتُ الْمُفَصَّلَ نَافِلَةً»[2].

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، 11 /163 -164.

2 أخرجه البغوي من حديث ابن عباس، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 254/3. وأخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي من حديث معقل بن يسار، **شعب الإيمان**، باب: ذكر الحواميم، 108/4، حديث رقم 2257. وأخرجه أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم من حديث معقل بن يسار، **المستدرك على الصحيحين**، باب: ذكر فضائل سور، وآي متفرقة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م)، 285/2، حديث رقم 2257، ضعيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

[**طه**:1] فَخَّم[1] الطاء لاســـتعلائها، وأمال الهاء أبو عمرو[2]، وأمالهما حمزة [3]وعلي[4]وخلف[5]وأبو بكر[6]، وفخَّمهما[7]على الأصـل غيرُهم[8]، قال القرطبي: اختلف العلماء في معناه، فقال الصـديق رضـي الله

---

[1] أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، **السبعة في القراءات**، (مصر: دار المعارف، ط2، 1400)، 416. عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، **التيسير في القراءات السبع**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1404هـ)، 150. الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، **الحجة للقراء السبعة**، (بيروت: دمشق: دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ)، 217/5.

[2] هو زبان بن العلاء بن عمرو بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، وقيل اسمه العريان، وقيل غير ذلك. قرأ على سـعيد بن جبير ومجاهد، وعلى غيرهما، توفي سـنة: أربع وخمسـين ومائة. صـلاح الدين، محمد بن شـاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، **فوات الوفيات**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1973م)، 2 /28. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، **غاية النهاية في طبقات القراء**، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ)، 288/1.

[3] هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أبو عمارة الكوفي التيمي. أحد القراء السـبعة، انعقد الإجماع على قبول قراءته، آلت الإمامة في القراءة إليه بعد عاصـم والأعمش، عالمٌ بالفرائض والعربية حافظ للحديث، قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر. توفي سـنة: 156هـ. ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، 2 /135. الزركلي، **الأعلام**، 2 /277.

[4] هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسـدي ولاءً، أبو الحسـن الكوفي المعروف بالكسـائي مقرئ لغوي نحوي وشـاعر. نشـأ بالكوفة، واسـتوطن بغداد. وهو مؤدب الرشيد العباسي، وابنه الأمين. من تصانيفه: معاني القرآن، المصادر، الحروف، القراءات، توفي سنة:189هـ –رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 7 /84. الزركلي، **الأعلام**، 4 /283.

[5] هو خلف بن هشـام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشـيم، أبو محمد، الأسـدي، البغدادي أحد القراء العشـرة، كان عالماً عابداً ثقة، حفظ القرآن وهو ابن عشـر سـنين. أخذ القرآن عن عبد الرحمن بن أبي حماد وغيره. وروى القراءة عنه: أحمد بن إبراهيم وَرَّاقه وأخوه إسـحاق بن إبراهيم، وغيرهم. ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، 272/1. الزركلي، **الأعلام**، 2 /311.

[6] هو عاصـم بن بهدلة ابن أبي النَّجُود، الأسـدي، الكوفي شـيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السـبعة، تابعي من أهل الكوفة. كان ثقة في القراءات، وأحاديثه في الكتب السـتة، وقال ابن الجزري: جمع بين الفصـاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسـن الناس صـوتا بالقرآن، أخذ القراءة عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السـلمي وغيرهما. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد العطار وغيرهما، توفي سـنة: 127هـ. ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، 346/1. الزركلي، **الأعلام**، 248/3.

[7] البغدادي، **السـبعة في القراءات**، 417. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسـف، **النشـر في القراءات العشـر**، (بيروت، دار الكتب العلمية، من دون رقم وتاريخ طبعة)، 71/2.

[8] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 356/2.

عنه: هو من الأســـرار، ذكره الغزنوي[1]. قال ابن عباس[2]: معناه يا رجل[3]، ذكره البيهقي[4]. وقيل: إنها لغة معروفة في عُكْلٍ[5]. وقيل: في عَكٍّ[6]، ذكره الغَزْنَوي. وقال قطرب[7]: هو بلغة طيّئ، وكذلك قال الحســـن[8]:

---

[1] هو عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي، أبو الفتح، فقيه حنفي، مفسر وقاض، من تصانيفه: تفسير القرآن – بعضه مخطوط–، تاريخ وفاته غير معروف. عادل نويهض، **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، 1409 هـ)، 1 /285.

[2] هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. حبر الأمة وترجمان القرآن. أسلم صغيرًا ولازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الفتح وروى عنه. شهد الجمل وصفين مع علي. وصار كفيفاً في آخر عمره. كان يجلس للعلم، فيجعل يوما للفقه، ويومًا للتأويل، ويومًا للمغازي، ويومًا للشعر، ويومًا لوقائع العرب. توفي بالطائف سنة: 68هـ. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4/122 –123. الزركلي، **الأعلام**، 4 /95.

[3] البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405 هـ)، 1 /158.

[4] هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي، فقيه شافعي، حافظ، أصولي، كثير التصانيف، كان من أكثر الناس نصرًا لمذهب الشافعي، قال إمام الحرمين في حقه: "ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة "، من تصانيفه: السنن الكبير، السنن الصغير، كتاب الخلاف، مناقب الشافعي. توفي: سنة 458هـ. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (بيروت، دار صـــادر، ط1، 1972م)، 1 /75. الزركلي، **الأعلام**، 1 /116.

[5] هى قبيلة عدنانية، من تيم الرباب، ويرجع أصل الاسم إلى اسم امرأة حضنت بني عوف بن وائل بن عبد مناة، فغلبت عليهم وسميت قبيلتهم باسمها. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1414هـ)، 2/804.

[6] هي قبيلة من قبائل العرب، من أقسام قبائل عدنان، كانت تسكن في اليمن والحجاز وتهامة. جواد علي، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت: دار الساقي، ط4، 1422هـ)، 2/41.

[7] هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، لقبه به أستاذه سيبويه فلزمه، نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع (المثلث) في اللغة، من مصنفاته: معاني القرآن، النوادر، والأزمنة، توفي سنة: 206هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 4 /331. الزركلي، **الأعلام**، 7 /95.

[8] هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، ولد بالمدينة، رأى بعض الصحابة، وسمع من بعضهم. كان إمام أهل البصرة، ولي قضاء البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم استعفى. نقل عنه أنه قال بقول القدرية، وينقل أنه رجع عن ذلك، وقال: الخير والشر بقدر. توفي: 110هـ. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، **الوافي بالوفيات**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1420هـ)، 12 /190. الزركلي، **الأعلام**، 2 /226.

معنى طه: يا رجل. وقال عكرمة[1]: هو بالســـريانية كذلك. وحكى الطبري[2] أنَّه بالنبطية يا رجل[3]، قال[4]:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طه مِنْ شَمَائِلِكُمْ ... لَا قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَلَاعِينِ

أي: يا رجل، وفي رواية: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ.

وقال عكرمة: هو كقولك[5]: يا رجل بلســان الحبشــة، ذكره الثعلبي[6]. والصــحيح: أنَّها وإن وجدت في لغة أخرى، فإنها من لغة العرب كما ذكرنا، وأنها لغة يمنية في عكل وعك وطيئ[7]. وقيل: هو اســـم من أسماء الله تعالى، وقسَمٌ أقسم به، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً. وقيل: هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سمَّاه به الله بعد كما سمَّاه محمداً، وروي عن النبي صــلى الله عليه وســلم أنَّه قال: «لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْــرَةُ أَسْمَاء»؛ فذكر منها: "طه ويس"[8]. وقيل: هو اسم للسورة ومفتاح لها. وقيل: إنَّه اختصار من كلام خص الله تعالى

---

[1] هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس. تابعي مفســـر ومحدث. أفتى الناس بأمر من ابن عباس، أخذ نجدة الحروري رأي الخوارج، ونشــره بإفريقية. ثم عاد إلى المدينة. فطلبه أميرها، فاختفى حتى مات. واتهمه ابن عمر وغيره بالكذب على ابن عباس. وردوا كثيرًا من فتاواه. ووثقه آخرون. توفي: سنة 105هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 /265. الزركلي، **الأعلام**، 4 /244.

[2] هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر. من أهل طبرســـتان، اســـتوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته. من أكابر العلماء. كان حافظًا، فقيهًا، عالماً، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم. من تصــانيفه: اختلاف الفقهاء، كتاب البسـيط في الفقه، جامع البيان في تفسـير القرآن، التبصير في الأصول. توفي: سنة 310هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 /191. الزركلي، **الأعلام**، 6 /69.

[3] أخرجه جعفر الطبري بنحوه، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 5/16.

[4] البيت ليزيد بن المهلهل. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 166/11.

[5] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ)، 236/6.

[6] أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور، كان أعلم من كان في زمانه في علم التفسير، ألف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير. وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه، والثعلبي: لقب له وليس بنسب، توفي: سنة 427هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 /79. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 2 /60.

[7] هي قبيلة عربية مشـــهورة، تنســـب إلى طيئ بن أدَد، وهي من القبائل القحطانية، كانوا يســـكنون في اليمن، ثم خرجوا منها، ونزلوا بنجد والحجاز، و انتشروا في الجزيرة العربية. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، (بيروت: دار الكتب العلمية، من دون ذكر طبعة، 2012م)، 372/1.

[8] رواه أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **دلائل النبوة**، باب: ذكر فضيلته صلى عليه وسلم بأسمائه، (بيروت: دار النفائس، 1986م)،61/1. وذكره علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين القاري، **شرح الشفا**، باب: في قسمه تعالى بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ)،82/1، ضعيف.

به رســـوله بعلمه. وقيل: إنها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى[1]. واختلف في ذلك، فقيل: الطاء شـــجرة طوبى، والهاء النار الهاوية، والعرب تُعبِّر عن الشـــيء كلِّه ببعضـــه؛ كأنه أقســـم بالجنة والنار[3/ب]. وقيل: "طاء"يا طامع الشـــفاعة للأمة، "هاء"يا هادي الخلق إلى الملة. وقيل: "الطاء" من الطهارة، و"الهاء" من الهداية، كأنه يقول لنبيِّه: يا طاهراً من الذنوب، يا هادي الخلق إلى علام الغيوب. وقيل: "الطاء" طبول الغزاة، و"الهاء" هيبتهم في قلوب الكافرين، بيانُه قوله تعالى: ﴿**سَـــنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾ [آل عمران: 151]، وقوله: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ [الحشر: 2]. وقيل: "الطاء" طرب أهل الجنة، و"الهاء" هوان أهل النار في النار، وقيل: معنى طه: طوبى لمن اهتدى بك، قاله: محمد بن علي بن الحنفية[2]. وقيل: معناه طاء الأرض وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم[3]ويحتاج إلى الترويح بين قدميه، فقيل له: طأِ الأرض؛ أي: لا تتعب حتى تحتاجَ إلى الترويح، حكاه ابن الأنباري[4]. وذكر القاضـــي عياض[5] في "الشـــفاء" أنه أمر من الوطء، والهاء كناية عن الأرض، أي: اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفســك بالاعتماد على قدم واحدة.

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 268/18.

[2] هو محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاســم، المعروف بابن الحنفية. أخو الحســن والحســين من الأب، وأمه خولة بنت جعفر، من بني حنيفة. واسع العلم، من كبار التابعين، سمع عمر بن الخطاب وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا. روى عنه بنوه وجماعات من التابعين. توفي سنة 81هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 4 /110-128. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 12 /133.

[3] أخرجه البخاري، من حديث المغيرة بن شعبة قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه. **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب: قوله: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما}، 1830/4،حديث رقم: 4556.

[4] هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان أبو بكر ابن الأنباري. محدث مفسر لغوي ونحوي، من تصانيفه: عجائب علوم القرآن، غريب الحديث، كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان، المشكل في معاني القرآن. توفي: سنة 328هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 /341. الزركلي، **الأعلام**، 6 /312. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 15 /274.

[5] هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي أبو الفضل، أندلسي الأصل، كان إماماً حافظاً محدثاً فقيهاً. من تصانيفه: التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة في فروع الفقه المالكي، الشفا في حقوق المصطفى، إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، كتاب الإعلام بحدود قواعد الإســلام. توفي: ســنة 544هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 /483. الزركلي، **الأعلام**، 5 /99. الذهبي، **ســير أعلام النبلاء**، 15 /45.

وعن الربيع بن أنس[1]قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ الْأُخْرَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى طه، يَعْنِي طَأِ الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ﴿**مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ**﴾ [طه: 2]»[2]. ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة. انتهى كلام القرطبي[3]، وقال الغزنوي في عين المعاني[4]: قال عبد الله بن عمرو[5]: طه أي: ياحبيبي بلغة عكٍّ. وقال أبو سهل: قسم بالطاهر الهادي. قال في التحرير والتحبير[6]: والصحيح أن هذه الكلمة عربية بلغة عك وعكل، ومعناها: يا رجل [4/أ]. قال الكلبي[7]: لو قلتَ في عك لرجل: يا رجل لم يجب حتى تقول طه، قال شاعرهم[8]:

دَعَوْتُ بِطه فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عليه أن يكون موائلا ويُروى: مُزايلا.

---

[1] هو الربيع بن أنس، البكري، البصري الخراساني. روى عن أنس بن مالك وغيره. وروى عنه أبو جعفر الرازي والأعمش وآخرون، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه، لأن في أحاديثه عنه اضطرابًا كثيرًا. توفي: سنة 139 وقيل 140هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 6 /306. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، (الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، 3 /238.

[2] أخرجه القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**،42/1. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 49/3. وعزاه السيوطي الى ابن المنذر، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، (بيروت، دار الفكر)، 550/5.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /165 الى 167.

[4] تفسير الغزنوي المسمى: **عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني**، لم أجده لأنّه مخطوط.

[5] هو عبد الله بن عمرو بن العاص، صحابي قرشي. أسلم قبل أبيه. غزير العلم. وكان من أكثر الصحابة روايةً. روى عن عمر وأبي الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة، وحدث عنه بعض الصحابة وعدد كثير من التابعين. استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابة ما كان يسمعه منه فأذن له، فكتب. وكان يسمي صحيفته " الصادقة ". توفي: سنة 65هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 3 /956. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 5 /337. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، 4 /162.

[6] هذا التفسير مازال مخطوطاً، واسمه: التحرير والتحبير، لأقوال أئمة التفسير، في معاني كلام السميع البصير، وهو: تفسير كبير، في: نيف وخمسين مجلداً لجمال الدين، أبي عبد الله: محمد بن سليمان، المعروف: بابن النقيب المقدسي، الحنفي، وقال الشعرائي: ما طالعت أوسع منه. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطينية المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بغداد: مكتبة المثنى، 1941م)، 358/1.

[7] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر العلامة، وكان أيضا رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي، متروك الحديث. توفي: سنة 146. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 6 /358. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 9 /179.

[8] البيت لمتمّم بن نويرة التميمي، وموائلا: طلب النجاة. والشاهد أن طه هنا بمعنى يارجل. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /165.

وقال مجاهد[1]: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت هذه الآية[2]. وقال الكلبيُّ: لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة، واشتدت عبادتُه، فجعل يصلِّي الليل كلَّه زماناً حتى نزلت هذه الآية، فأمره الله تعالى أن يخفف عن نفسه فيصلي وينام، فنسخت هذه الآية قيام الليل؛ فكان بعد هذه الآية يصلي وينام[3].

وقال مقاتل[4]والضحاك[5]: لما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالى: ﴿**طه**﴾أي: يا رجل ﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾ [طه: 2] أي: لتتعب[6]. وقيل: معنى طه: يا بدرُ؛ لأنَّ الطاء بالجُمَّل[7] تسعة، والهاء خمسة تصير أربعة عشر، والبدرُ يكمل عند أربعة عشر، وقد وقع مثله في﴿الم﴾وأنظارها، فإنَّ

---

[1] هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج شيخ المفسرين، ثقة متقن، وأجمعت الأمة على إمامته، أخذ التفسير عن ابن عباس. قال: " قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت "، له: تفسير مجاهد. توفي: سنة 104هـ. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 1 /71. الزركلي، **الأعلام**، 5 /278.

[2] أخرجه مجاهد. أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، **تفسير مجاهد**، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1410هـ) 450، والإسناد ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن الحسن واتهامه بالكذب.

[3] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 237/6. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11/ 167.

[4] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي الخراساني المروزي، أصله من بلخ، دخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بالتفسير، وله التفسير المشهور. قال ابن المبارك عنه: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. توفي: سنة 122هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5 /255. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 7 /201.

[5] الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم، مفسر، كان لديه في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار، له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان سنة:105. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 5 /27. الزركلي، **الأعلام**، 3 /213.

[6] أخرجه الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، 303.ضعيف جداً.

[7] حساب الجمَّل(حساب الأبجدية)، على حروف أبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أبْجَدْ، هوز، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ. هو طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم. يقوم حساب الجُمَّل، وعددها: ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، و تسعة للمئات، وحرف للألْف. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ)، 28/1.

اليهود سألوا محمداً عن الحروف وحَسَبوها على حساب الجُمَّل. انتهى كلام التحرير والتحبير[1]. وقال السلمي في تفسيره: قال ابن عطاء[2]في قوله: ﴿**طه**﴾: هديت لبساط القُربة والأنس[3]. وقال الواسطي[4]في قوله: ﴿**طه**﴾ قال: هو مستخرج من الطاهر الهادي، أي: أنت طاهر بنا هادٍ إلينا[5]. وقال محمد بن عيسى الهاشمي[6]: أي: طَوَى عن سرِّ محمد الأكوانَ كلها، وهدي إلى الاشتغال بمُكَوِّنها. انتهى كلام السلمي[7][4/ب].

﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**﴾ [طه: 2] إن جعلت﴿طه﴾ تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام. وإن جعلتها اسماً للسورة احتَملت أن تكون خبراً عنها، وهي -أي: طه-في موضع المبتدأ، والقرآن ظاهر[8]

---

[1] مجملاً لدى القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن، 165/11**.

[2] هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله الإسكندري، متصوف شاذلي، من العلماء. من أشد خصوم الإسلام ابن تيمية. من تصانيفه: الحكم العطائية في التصوف، تاج العروس في الوصايا والعظات، لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن توفي بالقاهرة: سنة 709هـ. ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، **طبقات الأولياء**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1415 هـ)، 1 /214. الزركلي، **الأعلام**، 1 /221.

[3] وهو من قول الواسطي نقله عطاء. السلمي، أبي عبد الله محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، **حقائق التفسير = تفسير القرآن العزيز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م)، 434/1.

[4] هو محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، أبو بكر الواسطي، الأزدي، الباغندي، المحدث، الحافظ الكبير ابن المحدث أبي بكر، ثقة كثير الحديث، وقال الدارقطني: كثير التدليس يحدث بما لم يسمع وربما سرق، قال ابن الخطيب: رأيت كافة شيوخنا يحتجون بحديثه ويخرجونه في الصحيح. من تصانيفه: ما رواه الأكابر عن الأصاغر من الأفراد، مسند عمر بن عبد العزيز، الأمالي، توفي: سنة312هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 11 /221. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 11 /457. الزركلي، **الأعلام**، 7 /19.

[5] وفي مفاتيح الغيب، هو قول لسعيد بن جبير. الرازي، **مفاتيح الغيب، 6/22**.

[6] هو محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن علي بن عباس الهاشمي البياضي يكنى أبا علي، حدث عنه: أبو بكر ابن الأنباري النحوي، ومحمد بن الحسن بن مقسم، وكان ثقة، قتلته القرامطة في سنة أربع وتسعين ومائتين في المحرم في طريق مكة منصرفا من الحج.ابن حجر، **تقريب التهذيب**، 501. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، **تاريخ بغداد**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ)، 701/3.

[7] السلمي، **حقائق التفسير**، 434/1.

[8] بمعنى: أنَّ (طه)إذا كان اسماً للسورة كان مبتدأ خبره: (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، وبذلك تحتاج لعائد، لأنها وقعت خبراً، وهنا أقيم مقام العائد (الْقُرْآنَ)، وهو إما اسمٌ للسورة، فاستغنى عن الضمير به، أو القرآن كله، فاكتفى عن الضمير بالعموم. شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434)، 120/10.

أُوقِع موقع الضـمير لأنَّها قرآن، وأن يكون جواباً لها وهي قسـم[1]. قاله الزمخشـري[2]﴿**لِتَشْـقَى**﴾ [طه: 2] لتتعب لفرط تأسـفك عليهم وتحسـرك على أن يؤمنوا، أو لقيام الليل، فإنَّه رُوي «أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّـلَامُ صَـلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّـلَامُ: أَبْقِ عَلَى نَفْسِـكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقاً»[3]، أي: ما أنزلناه لِتنهك نفسـك بالعبادة وتذيقها المشـقة الفادحة وما بُعثتَ إلا بالحنيفية السـمحة. قال النسـفي: ذكروا في سـبب نزول هذه الآية وجوهاً: أحدها: قال مقاتل[4]: إنَّ أبا جهل والوليد بن المغيرة [5] ومطعم بن عدي [6] والنضـر بن الحارث [7] قَالُوا لِرَسُـولِ اللَّه صـلى الله عليه وسـلم: « إِنَّكَ لَتَشْـقَى حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» قَالُوا: بَلْ أَنْتَ تَشْقَى» [8]، فأنزل الله هذه الآية رداً

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /50.

[2] هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، أبو القاسـم، الخوارزمي، الزمخشـري من كبار المعتزلة. مفسـر، محدث، متكلم، نحوي، ولد في زمخشـر من قرى خوارزم، وقدم بغداد وسمع الحديث وتفقه، ورحل إلى مكة فجاور بها وسمي جار الله. من تصـانيفه: الكشـاف، الفائق في غريب الحديث، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، المفصل. توفي: سنة 538هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5 /168. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 20 /151. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4 /1558. الزركلي، **الأعلام**، 8 /122.

[3] لم أجده بنصه، وقد ورد في الحديث عن عائشة قالت «لما كانت ليلة النصف من شعبان–فذكر حديثا طويلا–وفيه: فما زال يصلى قائما وقاعدا حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه. فقمت أغمزها–الحديث–وليس فيه كلام جبريل. أخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، **الدعوات الكبير**، (الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ط1، 2009م)، 145/2، حديث رقم الحديث:530.

[4] مقابل، **تفسير مقاتل**، 20/3.

[5] هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضـاة الجاهلية، وزعماء قريش، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشـاماً على شربها. وأدرك الإسـلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشـهر، ودفن بالحجون، وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. الزركلي، **الأعلام**، 7 /178.

[6] هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من قريش: زعيم بني نوفل في حرب الفِجَار سنة 33 ق هـ، أجار رسول الله صلّى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وعمي في كبره،. مات قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة. الزركلي، **الأعلام**، 7 /252.

[7] هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، قريشي وصاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش، وهو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي صـلّى الله عليه وسـلم ولما ظهر الإسـلام اسـتمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله صلّى الله عليه وسلم كثيرا. وكان إذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضـر بعده فحدث قريشـا بأخبار ملوك فارس ورسـتم وإسـفنديار، ويقول: أنا أحسـن منه حديثا! إنما يأتيكم محمد بأسـاطير الأولين وشـهد وقعة " بدر " مع مشـركي قريش، فأسـره المسـلمون، وقتلوه. ابن الأثير، **أسـد الغابة في معرفة الصـحابة**، 5 /301. الزركلي، **الأعلام**، 8 /33.

[8] ذكره الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، 303، ومقاتل متأخر من الذين عاصروا صغار التابعين، لذا ففيه انقطاع.

عليهم وتعريفاً لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو السلام، وهذا القرآن هو السلام إلى نيل كل فوز، والسبب في إدراك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها، وثانيها: أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه، فقال له جبريل عليه السلام: «أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقاً»[1]، أي: ما أنزلناه لِتَنْهَكَ نفسك بالعبادة وما بُعثتَ إلا بالحنيفية السمحة. وقيل: إنَّه عليه السلام كان يسهر طول الليل، فأراد الله تعالى بقوله: ﴿**لِتَشْقَى**﴾ ذلك. قال القاضي[2]: وهذا بعيد، لأنَّه صلى الله عليه وسلم ما فعل ذلك إلا بأمر الله، وإذا كان بأمره فلا يصح أن يقال: ما أمرناك بذلك. وثالثها: قال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد لا تشُقَّ على نفسك [5/أ] ولا تُعذِّبها بالأسف على كفر هؤلاء، فإنَّا إنما أنزلنا عليك القرآن لتُذَكِّر به، فمن آمن وأصلح فلنفسه، ومن كفر فلا يُحزنك كفره، فما عليك إلا البلاغ. ورابعها: أنَّه لا يلام على كفر قومه، كقوله: ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: 22]، و﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ [الأنعام: 107]، أي: ليس عليك كفرهم إذا بلَّغت[3]. وخامسها: أنَّ هذه السورة من أوائل ما نزلت بمكة، وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهوراً تحت ذُلِّ أعدائه، فكأنه سبحانه قال: لا تظن أنك تبقى أبداً على هذه الحالة، فإنَّا ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى، بل تصير معظماً مُكرَّماً، ولنُعِزّك ونفتح عليك البلاد. ووصل هذا بقصة موسى لأنَّه قاسى من قومه شديداً، ثم كانت النصرة له عليهم من بعد[4].

﴿**إِلَّا تَذْكِرَةً**﴾ [طه: 3] استثناء منقطع، أي: لكن أنزلناه تذكرة، أو حال ﴿**لِمَنْ يَخْشَى**﴾ [طه: 3]، أي: لمن يخاف الله، أو لمن يؤول أمره إلى الخشية[5]، ونظيره: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾

---

[1] تقدم الكلام عنه.

[2] القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، 42/1.

[3] في مفاتيح الغيب: ولا تؤاخذ بذنبهم. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 7/22.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 6/22-7.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 356/2.

[النازعات: 45]، وقوله: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق: 45]، وقوله: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ**﴾ [يس: 11]، وخصَّ من يخشى بالذكر لأنَّهم أكثر استعداداً لقبول التذكرة والرجوع إلى الموعظة، قال جعفر[1]: أنزل اللهُ القرآنَ موعظةً للخائفين، ورحمة للمؤمنين، وأُنْساً للمحبين[2]. ﴿**تَنْزِيلاً**﴾ [طه: 4] بدل من[3] تذكرة إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له؛ لأنَّ الشيء لا يُعَلَّلُ بنفسه[4]، ويجوز أن ينتصِب بـ "نُزِّل" مضمراً، وأن يُنصَب على المدح، وأن يُنصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسنٌ وإعرابٌ بيّن[5]. ﴿**مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ [طه: 4] من يتعلق بـ (تَنْزِيلاً) صلة له[6]. قال القشيري[7]: جعل الأرض قراراً لعباده، ونفوس العابدين أرض وقرار لطاعتهم، وقلوب العارفين قرار لمعارفهم[8]. قال الزمخشري: فإن قلت: ما فائدة الانتقال من لفظ المتكلم [5/ب] إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة، منها عادة الافتنان في الكلام وما

---

1 أي: جعفر الصادق.

2 السلمي، **حقائق التفسير**، 435/1.

3 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**،51/3.

4 المعنى: أنَّ تذكرةً علةٌ لأنزلنا، ولو أبدل تنزيلاً عنه، رجع إلى كونه علةً لـ (أَنزَلْنَا)، فيلزم تعليلُ الشيء بنفسه. الطيبي، **حاشية الطيبي على الكشاف**، 126/10.

5 لأن المعنى: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكيراً لمن يخشى المنزل الذي شأنه أنه من جهة القادر العظيم، فإذا خشيه بدَّل الكفرَ إيماناً، والعصيان طاعةً، ولا يتقدم على التكذيب والارتياب. المصدر نفسه.

6 النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 357/2.

7 هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة، أبو القاسم، النيسابوري، القشيري الشافعي. زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، حافظ، محدث، فقيه، أصولي، مفسر، متكلم، من تصانيفه: التيسير في التفسير، الرسالة القشيرية، لطائف الإشارات. توفي: سنة 456. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 5 /301. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 13 /395. الزركلي، **الأعلام**، 4 /57.

8 القشيري، **تفسير القشيري (المسمى لطائف الإشارات)**، 2 /253.

يعطيه من الحُسن والرَّوْعَة. ومنها: أنَّ هذه الصفات[1] إنما تَسَرَّدَتْ مع لفظ الغيبة[2]. ومنها: أنَّه قال أولاً: أنزلنا ففَخَّم بالإسناد إلى ضمير الواحد المُطاع، ثم ثنَّى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد، فضوعفت الفخامة من طريقين. انتهى[3]. قال الإمام فخر الدين[4]: إنَّه تعالى عظَّم حال القرآن بأن نسبه إلى تنزيل ممن خلَق الأرض وخلَق السموات على علوها، وإنما قال ذلك لأنَّ تعظيم الله تعالى بتعظيم خلقه ونعمه، وإنما عظَّم القرآن ترغيباً في تدبره، والتأمل في معانيه وحقائقه، وذلك معتاد في الشاهد، فإنَّ تعظيم الرسالة بعظم حال المرسِل. انتهى[5]. ﴿**الْعُلَى**﴾ [طه: 4] جمع العُليا تأنيث الأعلى، قال في التحرير والتحبير: ﴿تنزيلاً﴾ تقدير الكلام تنزيلاً من إلهٍ خلق الأرض وخلق السموات العلا بقدرته وحكمته[6]. قال الزمخشري: وصْفُ السموات بالعلى: دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبُعد مرتقاها[7]. ﴿**الرَّحْمَنُ**﴾ [طه: 5] على المدح، أي: هو الرحمن ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: 5] استولى، ونبه بذكر العرش، وهو أعظم المخلوقات على غيره[8]. قال حافظ الدين النسفي[9] في العقيدة: إنَّه تعالى ليس بمتمكن

---

[1] أي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه: 4-8].

[2] أي: أنَّه ما انتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة كما عليه ظاهرُ الالتفات، وإنما انتقل منه إلى ما من حقه أن يكون على لفظ الغيبة، وهو المظهَر، كما في هذه الآية من لفظ الرسول، فهو في الحقيقة مِن وضْعِ المظهَر موضع المضمَر لتوخي بيان العلة. الطيبي، **حاشية الطيبي على الكشاف**، 127/10.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /51.

4 هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، المعروف بابن الخطيب. من ولد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولد بالري وإليها نسبته، وأصله من طبرستان. فقيه وأصولي شافعي، متكلم، مفسر، من تصانيفه: معالم الأصول، المحصول في أصول الفقه. توفي: سنة: 606هـ. ابن الأثير، 301. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 /249 – 250. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، 8 /82-83. الزركلي، **الأعلام**، 6 /313.

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 7/22.

[6] **المصدر نفسه**.

[7] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /51.

[8] نقلاً عن الزجاج، النسفي، **مدارك التنزيل**، 357/2.

9 هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات حافظ الدين النسفي من أهل " إيزج " من كور " أصبهان ". فقيه حنفي كان إماما علامة في الفقه والأصول والحديث، عُدَّ من المجتهدين في المذهب. من تصانيفه: كنز الدقائق، الوافي في الفروع، الكافي في شرح الوافي، والمنار في أصول الفقه. توفي: سنة 701هـ. حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، 2 /203. الزركلي، **الأعلام**، 4 /57.

في مكان، وعند المشـــبهة[1]والكرامية[2] متمكن على العرش، دليلنا: أنَّ التعري عن المكان ثابت في الأزل لعدم قدم المكان، فلو تمكن بعد خلق المكان لتغير، ولَحَدثت فيه مماســـة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث، وذا مســتحيل على القديم، وأمَّا قوله تعالى: ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْـتَوَى**﴾ [طه: 5] فالنص محتمل، إذ الاستواء [6/أ] يذكر للتمام، كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾ [القصص: 14] أي: تم، والاســـتواء كما يقال: اســـتوى الملك على البلد أي: اســـتولى، والاســـتقرار كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾[هود: 44] أي: استقرت، ويقال: استوى على ظهر دابته أي: استقر، فلا يكون حجة مع الاحتمال؛ لأنَّ المحتمل لا يكون حجة في المظنونات، فكيف يكون حجة في الاعتقادات، مع أنَّ الترجيح[3] للاســتيلاء؛ لأنَّه تعالى تمدَّح به، والاســتواء للمدح فيما بينَّا يفهم منه الاســتيلاء، كقول الشاعر[4] في بشر بن مروان[5]:

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ ... مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقِ

---

1 هم الذين يشبهون صفات لله بصفات خلقه، فيقولون مثلاً لله سمع كسمع البشر. عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977م)، 214.

2 هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام الســجســتاني، لهم بدع كثيرة، منها: القول بالتجســيم و بالإرجاء، فهم يوافقون الســلف في إثبات الصـفات ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشـبيه والتجسـيم. **المصـدر نفسـه**، 137. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، (مصر: مؤسسة الحلبي، بدون ذكر طبعة، 1387)، 108/1.

3 أي الترجيح استقر للاستيلاء.

4 فكان المراد به استولى على العرش، وتخصيصه باعتبار أنه اعظم المخلوقات. النسفي، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود، **شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى الاعتماد في الاعتقاد**. (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1432هـ)، 166.

5 هو: بِشْــر بن مَرْوَان بن الحَكم الأموِي القُرَشــي أَخو عبد الملك بن مروان. أحد أُمراء بني أميَّةَ، كان واليا على العراق من قبلَ أخيه، مات بالبصرة:75هـ، والشاهد استوى: بمعنى استولى. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1985م)، 217/12. الزركلي، **الأعلام**، 55/2.

قال حافظ الدين: وقد تمسكت المجسمة[1] بظواهر النصوص والأخبار، ومذهب السلف[2]: أن نصدقها، ونفوض تأويلها إلى الله تعالى مع التنويه عن التشبيه، والخلف[3]: أن نؤولها بما يليق به تعالى، ولا نقطع بأنه مراد الله تعالى، والأول أسلم[4]، والثاني أحكم[5]. وقال الزمخشري: لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يَرْدفُ الملك، جعلوه كناية عن الـمُلك، فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون مَلَك، وإن لم يقعُد على السرير البتَّة، قالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى، ومساواته مَلَكَ في مؤداه، وإن كان أشْرَحَ وأَبْسَطَ وأدَلّ على صورة الأمر، ونحوه قولك: يد فلان مبسوطةٌ، ويد فلان مغلولةٌ، يعني: أنَّه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أنَّ مَن لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم تكن له يدٌ رأساً قيل فيه: يده مبسوطةٌ؛ لـمُساواته عندهم قولهم جوادٌ. ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: 64] أي: هو بخيل [6/ب] ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة: 64] أي: هو جواد، من غير تصور يد ولا غُلٍّ ولا بَسْط، والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية[6]من ضَيْقِ العَطَنِ[7]، والمسافرة عن

---

[1] هم الذين يشبهونه سبحانه بالمخلوقات، ويصفونه بأن له جسما وأعضاء وغير ذلك، تعالى الله عما يقولون. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ)، 173/1.

[2] هم العلماء السادة الأخيار الوارثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقائق والمعارف والعقائد إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية. أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (مصر: دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1410هـ)، 40.

[3] هم الطائفة الكبيرة من علماء الدين الذين جاءوا بعد المائة الثالثة، فقالوا في آيات الصفات وأحاديثها تأويلا تفصيليا لما أجمل السلف القول فيه، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق. **المصدر نفسه**، 49.

[4] ومن قال: أنَّ مذهب الخلف أحكم، فهو بالنسبة إلى الرد على من لم يكن مؤمنً، فيحتاج من يريد رجوعه إلى الحق أن يقيم عليه الأدلة حتى يذعن إلى الحق، وإلا فطريق السلف أسهل. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار المعرفة، من دون رقم طبعة، 1379هـ)، 351/13.

[5] النسفي، **الاعتماد في الاعتقاد**، 164-165.

[6] معنى اليد: النعمة، فمعنى (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) [المائدة: 64]: نعمةُ الله مقبوضةٌ، ومعنى (يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ): نعمته في الدنيا ونعمته في الآخرة. الطيبي، **حاشية الطيبي على الكشاف**، 129/10.

[7] العَطَنُ: مبرك الإبل حول الماء، وقد عطَنَتْ الإبل على الماء؛ إذا سقيت ثم أنحيت في عطنها لتعود فتشرب. الأزهري، تهذيب اللغة، 104/2.

علم البيان مسيرة أعوام[1]. وقال حافظ الدين في المدارك: والمذهب قول على[2]رضي الله عنه: الاستواء غير مجهول، والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ لأنَّه تعالى كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان، انتهى[3]. وقال فارس[4]: ليس على الكون من الله أثَرٌ، ولا من الكون على الله أثرٌ، وقال القشيري: عرشه في السماء معلوم، وعرشه في الأرض قلوب الموحدين، قال الله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: 27] وعرش القلوب ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [الإسراء: 70] أما عرش السماء فالرحمن على العرش استوى، وعرش القلوب فإنَّ الرحمن عليه استولى، وعرش السماء قبلة دعاء الخلق، وعرش القلب محل نظر الرحمن، كذا في التحرير والتحبير[5].

﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [طه: 6] خبر مبتدإ ومعطوف ﴿**وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ [طه: 6] أي: ذلك كله ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه: 6] تقدير الكلام: له ملك ما في السموات وملك ما في الأرض وملك ما بينهما، وعلم ما تحت الثرى، وخصَّ السموات والأرض بالذكر؛ لأنَّهما أعظمُ ما شاهدناه من مخلوقاته، وإنما خصَّ ما تحت الثرى بالذكر؛ لأنَّه لا يعلم ما تحت الثرى إلا هو سبحانه، قسَّم الأمكنة هاهنا كما قسَّم الأزمنة في سورة مريم، ولم يذكر الفوقَ لأنَّ التحت كلٌّ عليه. وقال في التحرير والتحبير: القسمة تقتضي أن يكون له ما في السموات وما فوقها والأرض [7/أ] وما تحت الثرى وما

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /52.

2 هو علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين. ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. زوج فاطمة رضي الله عنها. ولي الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، كانت الخوارج والشيعة فيه بين مكفر ومغال حتى رفعوه إلى مقام الألوهية. ينسب إليه " نهج البلاغة " وهو مجموعة خطب وحكم، ويشك في صحة نسبته إليه. توفي: سنة 40هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 3 /1089. الزركلي، **الأعلام**، 4 /295.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 357/5.

[4] لم أهدى إلى ترجمته.

[5] القشيري، **لطائف الإشارات**، 2 /253.

بينهما، وإنما ترك ذكر ما فوقها لدلالة قوله: ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ فإنَّ التحتية تقتضـي الفوقية، أو لأنَّ ما فوق السـماء خلاءٌ على قول من قال: الخلاء والملاء، فلهذا لم يتعرض لذكره، واختلف المفسـرون في المراد بهذه القسـمة، هل المراد معرفة جميع المخلوقات والعلم بها، أو الاختصـاص بها والملك لها؟ فقال جماعة من المفسـرين: إنَّ له ما في السـموات وما في الأرض وما بين ذلك ملكاً وقهراً، وقال قوم من أهل العلم: أراد أنَّ علمه محيط بجميع ذلك؛ لأنَّه بارئها ومنشـئها، لما علم من الحكمة والمصـلحة، وقال قوم: له ما في السـموات وما في الأرض إنَّه يرجع إلى ملكه يوم القيامة حين تنقطع أملاك المالكين، فإنَّ الله تعالى ملك ما في الأرض بما فيها من الإنس والجن وما في السـموات بمن فيها من الملائكة، ويوم القيامة ترجع هذه الأملاك كلها له وتصـير إليه ملكُها ومالكها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾ [الانعام: 94]، وكما قال تعالى: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ [غافر: 16] فلا يجيب أحد، فيجيب نفسـه بنفسـه، فيقول: ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[غافر: 16] وقوله: ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ الثرى: التراب الندِيّ، والمراد به ما تحت الأرض السـابعة، وقيل: المراد الصـخرة التي تحت الأرض السابعة وهي صخرة خضراء لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى[1]. وعن السُّدِّي [2] أنَّه السجّين الذي فيه الكتاب المرقوم للفجار. قال في التحرير والتحبير: وقد حكى المفسرون في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ أحاديث، ونقلوا أخباراً لم يستقر شيء منها من وجه صحيح، قالوا: يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى. [7/ب]وحكوا عن ابن عباس رضـي الله عنهما أنَّه قال: الأرض على نون، والنون

---

[1] نظام الدين الحسـن بن محمد بن حسـين القمي النيسـابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1416هـ)، 516/4.

[2] هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، السُّدي، نسبة إلى سُدة مسجد الكوفة، من أهل الكوفة. تابعي رُمي بالتشيع، كان عارفًا بالوقائع وأيام الناس والتفسير، من مصنفاته: تفسير القرآن. توفي: سنة 127هـ. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشـر، ط1، 1382هـ)، 1 /236. ابن حجر العسـقلاني، **تهذيب التهذيب**، 1 /315.

على البحر، وإنَّ طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿**فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾ [لقمان: 16]، والصخرة على قرن، والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى[1]. وقال وهب بن منبه [2]: على وجه الأرض سبعة أبحر، والأرضون سبع، بين كل أرضين بحر، فالبحر الأسفل مُطْبِق على شفير جهنم، ولولا عظمة وكثرة مائه وبَرْدُه لأحرقت جهنم كل من عليها. قال: وجهنم على متن الريح، والريح على حجاب من الظلمة لا يعلم غلظه إلا الله تعالى، وذلك الحجاب على الثرى، وإلى الثرى انتهى علم الخلائق، وحكوا عن كعب[3] أنَّه سئل ما تحت الأرض؟ قال ما قيل، فما تحت الماء؟ قال: أرض، قيل: فما تحت الأرض؟ قال: ماء حتى يبلغ سبع أرضين، قيل له: ما تحت الأرض السابعة؟ قال ما قيل، وما تحت الماء؟ قال: صخرة، قيل: فما تحت الصخرة؟ قال: هي على منكب ملك، قيل: فما تحت الملك؟ قال: هو قائم على وسط حوت معلق طرفاه بالعرش، قيل: فما تحت الحوت؟ قال: هواء وظلمات وانقطع العلم[4]. وروى عن كعب الأحبار قال: إنَّ إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون كلها، ووصل إلى قلبه فقال: هل ترى ما على ظهرك الدنيا بما فيها من الأبحر والشجر والدواب والناس والجبال

---

[1] إنَّ هذه الرواية وأمثالها رواها عن ابن عباس رواة غير ثقات وقد تكلم العلماء فيها.

[2] وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، تابعي، مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة وعن أساطير الأولين. أصله من أبناء الفرس، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد قضاءها العزيز. من مصنفاته: ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، قصص الأنبياء، قصص الأخيار، توفي: سنة 654هـ. يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ)، 31 /141. الزركلي، **الأعلام**، 8 /125.

[3] هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي، كان من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 4 /472. الزركلي، الأعلام، 5 /228.

[4] أحرجه ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، 242/5. وذكره أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، (جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ)، 7/ 4613.

لو ألقيتهم عن ظهرك كلهم، فإن فيهم قوماً تفعل كذا، فبعث الله دابة فدخلت في منخره حتى دخلت دماغه فعَجَّ إلى الله منها فخرجت[1]. قال: وكان كعب [8/أ] يقول: والذي نفسي بيده إنَّه لينظر إليها بين يديه وتنظر إليه إن هَمَّ بشيء من ذلك عادت حيث كانت [2]. وقال صاحب التحرير: وإنما ذكرتُ هذه الأقوال لئلا يعتقد صحتها ويعوّل عليها. انتهى كلامه. وقد ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره[3]. وقال الشيخ كمال الدين الدميري[4] في حياة الحيوان في الكلام على الثور: قال وهب بن منبه: كانت الأرض كالسفينة، فخلق الله ملكاً في نهاية العِظَم والقوة، وأمره أن يدخل تحتها، ويجعلها على منكبيه، فأخرج يداً من المشرق ويداً من المغرب وقبض على أطراف الأرض فأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار، فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء، في وسطها سبعة آلاف ثقبة، يخرج من كل ثقبة شجر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى، ثم أمر الصخرة حتى دخلت تحت قدمي الملَك، ثم لم يكن للصخرة قرار، فخلق الله تعالى ثوراً عظيماً له أربعة آلاف عين، ومثلها آذان، ومثلها أنوف وأفواه وألسنة، وقوائم ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمئة عام، أمر الله تعالى هذا الثور ودخل تحت الصخرة فحملها على ظهره، واسم هذا الثور "كَيُوثا"، ثم لم يكن للثور قرار، فخلق الله تعالى حوتاً عظيماً، لا يقدر أحد ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما، حتى قيل: لو وضعت البحار كلها في إحدى مناخره لكانت كخردلة في فلاة، فأمر الله تعالى الحوت أن

---

[1] ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **العقوبات**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416)، 207، برقم: 324. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (بيروت: دار الكتب العلمية ط ١٤٠٩هـ)، 8/6.

[2] أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 8/6.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 169/11-170.

[4] هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال، أبو البقاء، الدميري الأصل، فقيه شافعي، مفسر وأديب. قال الشوكاني:" برع في التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وغير ذلك". من تصانيفه: النجم الوهاج شرح منهاج الطالبين، الديباج شرح سنن ابن ماجه، حياة الحيوان الكبرى، شرح المعلقات السبع. توفي: سنة 808هـ. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1412)، 10 /59. الزركلي، **الأعلام**، 7 /118.

يكون قواماً لقوائم الثور، واســـم الحوت "بَهْمُوت"، ثم جعل قراره الماء وتحت الماء الهوى وتحت الهوى ماء وتحت الماء ظلمات، ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات، هكذا نقله القاضـــي شـــهاب الدين ابن فضـل الله[1] [8/ب] في كتاب مسـالك الأبصـار في ممالك الأمصـار في الجزء الثالث والعشـرين منه[2]. قال الســـهيلي[3]: وهذا الحوت هو الذي يُنحر لأهل الجنة قبل أن يدخلوا الجنة، فيأكلون من كبده. وفيه من باب التذكر والاعتبار أنَّ الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان ســابح، اســتشــعر أهل هذه الدار أنهم في منزِلِ بُلْغَة وليست بدارِ قرار، فإذا نُحِر لهم قبل أنْ يدخلوا الجنة فأكلوا من كبده كان في ذلك إشـــعارٌ لهم بالراحة من دار الزوال، وأنهم قد صـــاروا إلى دار القرار، كما يُذبح لهم الكبش الأملح على الصـراط ليعلموا أنَّه لا موت. وورد في الحديث أنَّ الشـهداء حين يدخلون الجنَّة يُخرَج لهم حوتٌ وثور من الجنة فيُنحر لهم الثور[4]، والحكمة في ذلك أن الثور آلة الحرث، وأهل الدنيا لا يخلون من أحد هذين

[1] هو أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين: مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتأريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته في دمشق. من مصنفاته: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مختصر قلائد العقيان، ممالك عباد الصليب، الدائرة بين مكة والبلاد، التعريف بالمصطلح الشريف. توفي: 749هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 2 /204. الزركلي، **الأعلام**، 1 /268.

[2] شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1423 هـ)، 369/22. الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي محمد بن موسى بن عيسى بن علي، **حياة الحيوان الكبرى**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ)، 260/1.

[3] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، المحدث، الحافظ، المؤرخ، المقرئ. من تصانيفه: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، القصيدة العينية، الروض الأنف، نتائج الفِكَر، شرح آية الوصية في الفرائض، مسألة رؤية الله عزَّ وجلّ في المنام. نوفي: سنة 581هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 5 /147. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 4 /96. 108.

[4] روى مسلم من حديث ثوبان أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل من اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال "زيادة كبد النون" قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال "ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. وتمامه لدى مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، 252/1، جديث رقم: ٣١٥.

الحرثين، حَرْث لدنياهم، وحرث لأخراهم، ففي نحر الثور هناك إشعار بإراحتهم من الكدَّين، وفراغهم من نصب الحرثين. انتهى كلام السهيلي[1].

﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ**﴾ [طه: 7] ترفع صوتك به ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ**﴾ [طه: 7] ما أسررته إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] منه، وهو ما أخطرته ببالك، أو ما أسررته في نفسك، وأخفى منه، وهو ما ستُسرُّه فيها. وعن بعضهم: أنَّ "أَخْفَى": فعلٌ، يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه هو، كقوله: ﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [طه: 110]، وليس هذا القول بذاك، قاله الزمخشري[2]. قال القرطبي: أنت تعلم ما تسر به نفسك اليوم، ولا تعلم ما تُسِرُّ به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تُسرُّ به غداً، والمعنى: الله يعلم السر وأخفى ما خَفيَ على ابن آدم مما هو فاعله، وهو لا يعلمه، فالله يعلم [9/أ] ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يُستقبل علم واحد، وجميع المخلوقات في علمه كنَفْسٍ واحد، انتهى[3]. قال في التحرير والتحبير: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ فإنَّه كان إذا صلى تلك الصلاة التي تورمت فيها قدماه، ورفع صوته فيها بالقراءة، وجهر بها يتأذى المشركون من ذلك؛ لأنَّ في قراءته تسفيهَ أحلامهم، وسَبَّ آلهتهم، وبيان فساد معتقدهم، فأخذوا في أذاه وبالغوا وسَبّوه وسبوا دينه وقراءته، فأمره الله تعالى بالقراءة سراً، فإنَّ الجهر إنما يكون لمن لا يسمع ولا يعلم، والله تعالى يعلم ويسمع، فالسر والجهر عنده سواء. قال في التحرير: وقال مجاهد: السِّرُ: العمل بالذي يُسِره الإنسان وأخفى منه الوسوسة[4]. وقيل: السِّرُ هو العزيمة، وأخفى: ما يخطر على القلب

---

[1] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ)، 64/6.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /52.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 170/11.

[4] مجاهد، **تفسير مجاهد**، 460.

ولم يُعزم عليه[1]، وفي الكلام محذوف تقديره: يعلم السر وأخفى من السر[2]، وجواب الشرط محذوف أيضاً تقديره: وإن تجهر بالقول تؤذى، فلا حاجة لك به، فإني أعلم السر وأخفى. قال صاحب التحرير: وهذه الأقوال متداخلة متقاربة في المعنى يجمعها ثلاثة أقوال: أحدها: أنَّ الجهر ما رُفع الصوت به ليسمعك من إلى جانبك، وأخفى أن يُتكلم به من غير أن يسمع أحد. الثاني: أنَّ السِّرَّ ما حدثت به غيرك حديثاً خفياً، وأخفى منه ما حدثت به نفسك. الثالث: أنَّ السِّرَّ ما حدثت به نفسك، والجهر ما حدثت به الناس[3]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أن الله سبحانه وتعالى عالم لذاته وعالم لكل المعلومات في كل الأوقات، وعالم بكل المعلومات بعلم واحد، وذلك العلم غير متغيِّر، وذلك العلم من لوازم ذاته من غير أن يكون [9/ب] موصوفاً بالحدوث أو الإمكان، والعبد لا يشارك الربَّ إلا في السدس الأول[4]، فإنه قسَّم إلى ستة أقسام، ثلاثة وأضدادها وهو أصل العلم، ثم هذا السدس بينه وبين عباده نصفان، فخمسة دوانيق ونصف جزء من العلم مُسَلَّمٌ له، والجزء الواحد مُسلَّم لعباده، ثم هذا الجزء الواحد مشترك بين الخلائق كلهم، من الملائكة الكَرّوبية[5]، والروحية، وحملة العرش، وسكان السموات، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وكذا جميع الأنبياء الذين أولهم آدم وآخرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا جميع الخلائق في علومهم الضرورية والكسبية والحرف والصناعات وجميع الحيوانات في إدراكاتها، والاهتداء إلى مصالحها في أغذيتها ومنافعها ومضارها، فالحاصل لك من ذلك الجزء أقل من الذَّرَّة، ثم إنَّك بتلك الذرة تعلم أسرار إلاهيته وصفاته الجائزة والواجبة والمستحبة، فإذا كنت بهذه الذرة عرفت الأسرار، فكيف يكون علمه

---

[1] البغوي، **معالم التنزيل**، 256/3.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 274/18.

[3] **المصدر نفسه**، 273/18.

[4] .بنى هذه القسمة السداسية من تقسيمه للأشياء إلى ثلاثة أقسام الجهر والسر والأخفى.

[5] هم سادة الملائكة والمقربين إلى حملة العرش، ومنهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهو من الكرب بمعنى القرب. محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط2، 1987م)، 139/4.

بخمسة دوانيق ونصف، أفلا يعلم بذلك العلم أسرار عبوديتك؟ فهذا تحقيق قوله: ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ [طه 7]، بل الحق أنَّ الدنيا بتمامه له؛ لأنَّ الذي علمته فإنما علمته بتعليمه على ما قال: ﴿**أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ [النساء: 166]، وقال: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ**﴾ [الملك: 14]، وهذا له مثال، وهو الشمس، فإنَّ ضوءها يجعل العالم مضيئاً، ولا يُنقص منها شيء البتَّة، وكذلك هاهنا، وكيف لا يكون عالماً بالسِّر والإخفاء، فإنَّ من تدبيراته أنَّه في خَلْق الأشجار والنباتات والحيوانات، وكيفية نشوئها ونموها أسرارٌ غريبة، وآثار عجيبة، وقد مرَّ من قبل بيان طرف من تلك الأسرار في الأشجار وامتصاص غذائها من العروق إلى الأغصان، ومن الأغصان إلى الأوراق، وخَلْقُ هذه [10/أ] الأشياء لا يمكن إلا لمن لا يَعزُب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض[1].

﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [طه: 8] أي: هو واحد بذاته، وإن افترقت عبارات صفاته، رَدٌّ لقولهم: إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى[2]، قال صاحب التحرير: لما قال سبحانه: ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ قالوا: هذا الضمير يعود على من؟ فقال له: قل لهم الذي يعود عليه الضمير الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، والحسنى: تأنيث الأحسن[3]، والقياس أن يقول: الأسماء الحسان والأحاسن، وإنما أنثها لأنَّ الجموع مؤنثة، والجماعة توصف بصفة المؤنثة الواحدة، كقوله تعالى: ﴿**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**﴾ [النمل : 60]، وقوله: ﴿**مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [طه: 18]. قال الكرماني[4]: أراد بالأسماء هاهنا

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 11/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل**،357/2.

[3] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت: دار الفكر، ط 1420هـ)، 314/7.

[4] هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني ثم البغدادي. الفقيه، الأصولي، المحدث، المفسر، توفي راجعاً من الحج في المحرم سنة 786هـ. من تصانيفه: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ضمائر القرآن، النقود والردود في الأصول، شرح مختصر ابن الحاجب. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 12 /129. الزركلي، **الأعلام**، 7 /153.

أسماء صفاته، وأراد بالحسنى هاهنا في الآذان والقلوب [1]. وقال الزمخشري: والذي فَضلَتْ به أسماؤه في الحُسْن سائر الأسماء[2]دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الحسن. انتهى [3]. قال صاحب التحرير: واختلفوا في المراد بهذه الأسماء الحسنى، فقيل: هي التي وردت في الحديث وهي قوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » [4]، أي: من حفظها. وقيل: من أقرَّ بها. وقيل: من قالها معتقداً لصحتها. وقيل: إنَّ أسماءه تعالى كلَّها حسنى. وقيل: إنَّ الله تعالى قسَّم أسماءه ثلاثة أقسام، قسم جعله للدعاء، وهي هذه التسعة والتسعون اسماً، وقسم اطلع على معانيه الخواص من عباده، وقسم استأثر به لم يُطْلِع عليه أحداً، وإليه أشار بقوله صلى الله عليه وسلم: « وباسمك المخزون الذي دعا به ذو النون، وباسمك المكنون المخزون الذي استأثرت به، ولم تطلع عليه أحداً»[5][10/ب]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنَّ ما يدل على التوحيد سيأتي من بعد، في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: 22]، وإنما ذكر هذه الآية هاهنا ليبين أنَّ الموصوف بالقدرة وبالعلم على الوجه الذي تقدم واحد لا شريك له، وهو الذي يستحق العبادة دون غيره، ثم الإمام الفاضل رحمه الله ذكر من الأبحاث المتعلقة بهذا الباب مسائل:

---

[1] أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، **لباب التفاسير**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسائل دكتوراه)، 1394.

[2] أي: باقي الأسماء. الطيبي، **حاشية الطيبي على الكشاف**، 133/10.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /53.

[4] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، (بيروت، طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، 198/3، حديث رقم:2736. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، 4 /2063، حديث رقم: 2677.

[5] **لم أجده.**

الأولى: اعلم أنَّ مراتب التوحيد أربعة، أحدها: الإقرار باللسان، والثاني: الاعتقاد بالقلب، والثالث: تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة، والرابع: أن يصير المرء مغموراً في بحر التوحيد، بحيث لا يخطر بباله شيء سوى عرفانه، أمَّا الإقرار باللسان: فإن كان مجرداً عن الاعتقاد بالقلب فهو النفاق، وأمَّا الاعتقاد بالقلب: فإن كان مجرداً عن الإقرار باللسان ففيه صور، الأولى: من نظر وعرف الله تعالى، وكما عرفه مات قبل أن يمضي عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة، فقال قوم: إنَّه لا يتم إيمانه، والحق أنَّه يتم؛ لأنَّه أدَّى ما كلِّف به، وعجز عن التلفظ به، فلا يبقى مخاطباً به. ورأيت في الكتب أنَّ ملك الموت مكتوب على جبهته: لا إله إلا الله، لكي إذا رآه المؤمن تذكر الشهادة فيلقنه ذلك التذكر[1]. الصورة الثانية: من عرف الله تعالى ومضى عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة، ولكنه قصَّر فيه، فقال قوم: إنَّه كافر، والحق أنَّه مؤمن، فإنَّ المقصود هو المعرفة، فامتناعه عن التلفظ كامتناعه عن الصلاة والزكاة. الصورة الثالثة: من أقر باللسان واعتقد بالقلب من غير دليل فهو مقلد، والاختلاف في صحة إيمانه مشهور[2][11/أ] وأما المرتبة الثالثة: وهو إثبات التوحيد بالدليل والبرهان، فالكلام فيها يُذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[3] [الأنبياء: 22].

---

[1] عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، (مصر: المطبعه الكاستلية، من دون رقم طبعة، 1283هـ)، 64/1.

[2] ذهب الماتريدية ووعامَّة السلف، وأئمة الخلف إلى صحَّة إيمان المقلد، لأنَّ مع هذا الإيمان تصديق، والتصديق هو أصل الإيمان، وذهب الأشاعرة والمعتزلة، وكثير من المتكلمين إلى عدم صحة إيمانه، ومنهم من قال أنه مؤمن إلا أنه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح. أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، **الفتح المبين بشرح الأربعين**، (جدة: دار المنهاج، ط1، 1428هـ)، 164. شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ)، 275/1.

[3] أي: أنه لو كان آلهة، وأراد أحدهم أمرا، فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا، ولم يكن إلها قادرا، وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا، والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، **قواعد العقائد**، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1405هـ)، 173.

وأما المرتبة الرابعة، وهو الفناء في بحر التوحيد، قال المحققون: هي الصفات التي هي صفات الحق بالذات المريدة بالصدق منتهية إلى الواحد القهار، ثم الوقوف، هذه الكلمات محيطة بأقصى نهايات درجات السالكين إلى حضرة الله سبحانه.

فضل التهليل

المسألة الثانية: في الأخبار الواردة في التهليل، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّه ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19][1]»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّه تعالى خَلَقَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبْلَ أن خلق السموات وَالْأَرْضَ وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مَاداً بِهَا صَوْتَهُ لَا يَقْطَعُهَا وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيهَا وَلَا يُتِمُّهَا، فَإِذَا أَتَمَّهَا أَمَرَ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ تَعْظِيماً للَّه عَزَّ وَجَلَّ»[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إلى رَبِّي وَيُشَفِّعُنِي وَأَشْفَعُ إِلَيْهِ وَيُشَفِّعُنِي حَتَّى قُلْتُ: يَا رَبِّ شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه قَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ

[1] أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني بلفظ: «ما من الذكر أفضل من "لا إله إلا الله"، ولا من الدعاء أفضل من الاستغفار، **المعجم الكبير**، باب العين، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2)، 52/13، حديث رقم: 129. وأورده أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**،كتاب الأذكار، باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ)، 84/10، حديث رقم: 16817، ضعيف.

[2] أخرجه أبو منصور في مسند الفردوس بسنده إلى عبد الله بن عباس. قال الصفدي: "هذا بهت يشهد به العقل وتكذبه أصول النقل ثم هذا يلزم منه الكفر لأنه أن ينتهي التلفظ بالشهادة إلى قوله إله فيكون قد قال لا إله وهذا نفي مطلق للإلهية وهو قول المعطلة ...". أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط1، 1439هـ)، 313/7. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 148/5.

وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَدَعُ أَحَداً فِي النَّارِ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»[1]. وقال سفيان الثوري[2]: سألت جعفر بن محمد[3]عن ﴿**حم عسق**﴾ [الشورى: 1 -2] فقال: الحاء حُكمُه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسين سناؤه، والقاف قدرته، يقول الله تعالى: بحكمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي لا أعذب بالنار من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله[4]. وعن ابن عمر[5] قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَال فِي السِّرِّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ لَهُ اللَّه أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ »[6]. وعن أبي

---

1 أخرجه أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، **السنة**، باب: في ذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1400)، 395/2، حديث برقم: 828. وأحرجه ابن خزيمة، **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، أخبار عبد الله بن مسعود، باب ذكر خبر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله من النار...، 694/2، صحيح.

2 هو سفيان بن سعيد بن مسروق، الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، وسيد زمانه في التقوى وعلوم الدين، ومات بالبصرة مستخفيا. من مصنفاته: الجامع الكبير، الجامع الصغير، كتاب في الفرائض. توفي: سنة 161هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 /386. الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، **طبقات الفقهاء**، (بيروت: دار الرائد العربي، ط1، 1970م)، 1 /84. الزركلي، **الأعلام**، 3 /104.

3 هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب الصادق، روى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وغيرهم، وكان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا وفضلاً. توفي: سنة 148هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 6 /255. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 1 /125.

4 في تفسير السمرقندي، عن السدي. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، **بحر العلوم**، 235/3.

5 هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، صحابي، نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى الله ورسوله، شهد الخندق وما بعدها، ولم يشهد بدراً ولا أحدًا لصغره، وأفتى الناس ستين سنة، وكف بصره في آخر حياته، وكان آخر من توفي بمكة من الصحابة. وهو أحد المكثرين من الحديث. توفي: سنة 73هـ. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4 /155. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 17 /197.

6 في تفسير الرازي: أن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام في السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب له الله ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة». أخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، **سنن الترمذي**، باب: ما يقول إذا دخل السوق، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ)، 491/5، حديث رقم: 3429. وأخرجه أبو عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، باب: حديث رافع بن خديج، 723/1، حديث رقم: 1976، حسن.

هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان»[1].

وعن معاذ بن جبل[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[3]. وفي حديث آخر: « مَنْ مَاتَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4]. وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَا يَوْمَ نُشُورِهِمْ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ »[5]. وقال الإمام فخر الدين: وينبغي لأهل لا إله إلا الله أن يُحصّلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا إله إلا الله:

---

[1] أخرجه أبو عبد الله البخاري، **الأدب المفرد**، باب: الحياء، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة 1، 1419 هـ)، 308/1، حديث رقم: 598. وأخرجه أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، **المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**، (المملكة العربية السعودية، ط1، 1435هـ)، 88/1، حديث رقم: 35، صحيح.

[2] هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي وأعلم الأمة بالحلال والحرام، أسلم وعمره ثماني عشرة سنة، شهد بيعة العقبة، ثم بدراً وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
جمع القرآن على عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من الذين يفتون في ذلك العهد. بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد غزوة تبوك قاضيًا لأهل اليمن، قدم من اليمن إلى المدينة في خلافة أبي بكر ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام. ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذاً. وأقرَّه عمر، فمات في ذلك العام. توفي: سنة 18. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 6 /107. الزركلي، **الأعلام**، 7 /258.

[3] أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، أبواب الجنائز، باب: في التلقين، 34/5، حديث رقم: 3116. وأخرجه البزار، **مسند البزار**، مسند معاذ بن جبل رضي الله عنه، باب: أول الخامس والعشرين، والله المعين من حديث معاذ بن جبل، 77/7، حديث رقم:2626، صحيح.

[4] أخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، **شعب الإيمان**، باب: الدعاء الى الإسلام، 99/1، حديث رقم: 94. وأخرجه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري بلفظ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، 55/1، حديث رقم: 43.

[5] أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، باب الياء، من اسمه يعقوب، (القاهرة، دار الحرمين، 1424هـ)، 181/9، حديث رقم: 9478.وأخرجه ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **القبور لابن أبي الدنيا**، باب في النشور، (مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1420هـ)، 80، حديث رقم: 69. وأخرجه البيهقي، **شعب الإيمان**، باب: الإيمان بالله عزَّ وجل، 202/1، حديث رقم: 99.وأخرجه السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، 561/1، حديث رقم:918، ضعيف.

التصـــديق والتعظيم والجلالة والحرمة، فمن ليس له تصـــديق فهو منافق، ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع، ومن ليس له الجلالة فهو مراءٍ، ومن ليس له الحرمة فهو فاجر[1]. وقال بعضـــهم في ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَـــرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَـــجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾ [إبراهيم: 24]، أنَّه لا إله إلا الله ﴿**إِلَيْهِ يَصْـــعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: 10]، لا إله إلا الله ﴿**وَتَوَاصَـــوْا بِالْحَقِّ**﴾ [العصـــر: 3]، لا إله إلا الله ﴿**إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ**﴾ [سبأ: 46]، لا إله إلا الله ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْـئُولُونَ**﴾ [الصـافات: 24]، عن قول لا إله إلا الله ﴿**بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَـدَّقَ الْمُرْسَـلِينَ**﴾ [الصـافات: 37]، هو لا إله إلا الله ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: 27]، هو لا إله إلا الله. وقال موسى بن عمران: يا رب، علمني شيئاً أذكرك [12/أ] قال: قل: لا إله إلا الله، قال: إنما أردتُ شيئاً تخصُّني به، قال: يا موسى، لو أنَّ السموات السبع وما فوقهن في كفّة، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله. المسألة الثالثة: قال بعضهم: تصَوُّرُ الثبوت مقدم على تصور السلب، فإنَّ السلب ما لم يُضَف إلى الثبوت لا يمكن تصوره، فكيف قُدِّم الســـلبُ؟ والجواب: المشـــهور لما كان هذا الســـلب من مؤكدات الثبوت لا جرم قدم عليه، والأولى أن يقال: المقصود من هذا الكلام هو نفي الغير، فكان النفي أهم، والأهم مقدم.

المسألة الرابعة: في البحث عن أسماء الله تعالى، وفيه أبحاث: الأول: قال صلى الله عليه وسلم: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا جَعَلْتُ لَكُمْ نَسَباً وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ نَسَباً، أَنَا جَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ

[1] في نفسير الرازي: ينبغي لأهل لا إله إلا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا إله إلا الله: التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية، فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراء ومن ليس له الحرية فهو فاجر.

عِنْدِي أَتْقَاكُمْ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمْ أَكْرَمَكُمْ أَغْنَاكُمْ فَالْآنَ أَرْفَعُ نَسَبِي وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ!»[1].

اعلم أنَّ الأشياء في قسمة المعقول على ثلاثة أقسام: كامل لا يحتمل النقصان: وهو الله تعالى، وذلك في حقه بالوجوب الذاتي، وبعده الملائكة، فإنَّ كمالهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ومن صفاتهم يستغفرون للذين آمنوا، وناقص لا يحتمل الكمال: وهو الجماد والنبات والبهائم، ومتوسط يحتمل الأمرين جميعاً: وهو الإنسان، تارة في الترقي، بحيث يخبر عنه بأنَّه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وتارة في التسفل، بحيث يقال فيه: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ [التين: 5]، وإذا كان كذلك استحال أن يكون الإنسان كاملاً لذاته، والكمال والنقصان أمرٌ نسبيّ، يمكن أن يكون الشيء كاملاً بالنسبة إلى شيء، وناقصاً بالنسبة إلى شيء آخر، فإذا كان كمال الشيء [12/ب] بالنسبة إلى حضرة الله تعالى وقربه منه كان ذلك الشيء في مدح ما يكون منتسباً إليه من الملائكة أو من الجن أو من الانس، ولما كان ذلك المدح لازماً أشار إليه تعالى بقوله ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: 180].

المبحث الثاني في تقسيم أسماء الله تعالى

اعلم أنَّ الاسم الواقع على الشيء، إمَّا أن يكون بحسب ذاته، وإمَّا أن يكون بحسب ما يكون داخلاً في ذاته، وإمَّا أن يكون بحسب ما يكون خارجاً عن ذاته.

---

[1] أخرجه الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، **المعجم الأوسط**، 388/4، حديث برقم: 4511. وأخرجه أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، **الزهد الكبير**، فصل آخر في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط3، 1996)، 292، حديث رقم: 765، ضعيف جداً.

أما الأول: فقد اختلفوا في أنَّه هل لله تعالى اســـم على هذا الوجه، وهذا الاختلاف مبنيٌّ على أنَّ حقيقة الله تعالى هل هي معلومة للبشـر أم لا؟ فمن قال إنها معلومة، فقد قال: أنَّ لذاته تعالى أسماء، ومن قال: بأنها غير معلومة للبشـر قال: ليس لذاته المخصـوصـة اسـم؛ لأنَّ المقصـود من الأسماء أن يُشـار به إلى المسمَّى، فإذا كانت الذاتُ المخصوصة غيرَ معلومة، امتنعت الإشارة العقلية إليها، وامتنع وضع الاسم لها. وأمَّا الثاني: فذلك مُحالٌ، وإلَّا لكانت ذاته متجزئة وكانت ممكنةً، والواجب لذاته لا يمكن أن يكون ممكناً. وأمَّا الثالث: وهو ما يكون خارجاً عن ذاته، فذلك من الصـفات الخارجة عن الذات، فالصـفاتُ: إمَّا أن تكون ثبوتيةً حقيقيَّة، أو ثبوتية إضـافية، أو سـلبيَّةً، أو ثبوتية مع إضـافية، أو ثبوتية مع سـلبية، أو إضـافية مع سـلبية، أو ثبوتية وإضـافيةً وسـلبيةً، ولما كانت الإضـافات الممكنة غيرَ متناهية والسـلوك كذلك، أمكن أن يكون للباري أسماء متباينة غير متناهية، فهذا هو التنبيه على المأخذ.

المبحث الثالث: يقال: إنَّ لله تعالى أربعة آلاف اســـم، ألفٌ لا يعلمها إلا الله تعالى، وألفٌ لا يعلمها إلا الله والملائكـة، وألفٌ لا يعلمهـا إلا الله والملائكـة والأنبيـاء، وأمَّـا الألف الرابع: فـإنَّ المؤمنين [13/أ] يعلمونها، فثلاثمائة منها في التوراة، وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، ومائة في الفرقان، تسع وتسعون منها ظاهرة، وواحد مكتوم فمن أحصـــاها دخل الجنة[1]. البحث الرابع: الأسماء الواردة في القرآن، منها ما ليس لانفراده ثناء ومدحٌ، كقوله: جاعل وفالق وصـانع، فإذا قيل: ﴿**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً**﴾ [الأنعام: 96]، صـار مدحاً، وأمَّا الاسـم الذي يكون مدحاً، فمنه ما إذا قُرِنَ بغيره صـار أبلغ، نحو قولنا:

[1] اختلف القائلون بعدد أسماء الله تعالى، فمنهم من قال: أنها ثلاثمائة اسـم، ومنهم من قال: ألف اسـم: ومنهم من زادها اسـم فوق الألف، وهي أقوال لا دليل لها ولا برهان، ومنهم من قال: أنَّ أسمائة تعالى تسـعة وتسـعين اسما فقط، وقد ورد في مسـند الإمام أحمد: "اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" فهذا يدل على أن لله أسماء أكثر من تسعة وتسعين اسما، يحصيها بعض الموحدين. محمد بن خليفة بن علي التميمي، **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1419هـ)، 68-70.

حيٌّ، فإذا قلتَ: الحيُّ القيوم، أو الحي الذي لا يموت كان أبلغ، وأيضـــاً قولنا: بديع، فإنَّك إذا قلت: بديعُ السـماوات والأرض ازداد المدح، ومن هذا الباب ما كان اسـم مدح، ولكن لا يجوز إفراده، كقولك: دليل، وكاشـف، فإذا قيل: يا دليل المتحيّرين، ويا كاشـف الضـرِّ والبلوى، جاز، ومنه ما يكون اسـم مدح مفرداً أو مقروناً، كقولنا: الرحمن الرحيم. البحث الخامس: من الأسماء ما يكون مقارنتها أحســن، كقولك: الأول الآخر المبدئ المعيد الظاهر الباطن، مثاله: قوله تعالى حكاية عن المســـيح: ﴿**وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: 118]، انتهى كلام الإمام فخر الدين[1].

﴿**وَهَلْ**﴾ [طه: 9] أي: وقد ﴿**أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾[2] [طه: 9] خبره، قفَّاه بقصة موسى عليه السلام، ليأتسى به في تحمل أعباء النبوة، والصبر على المكاره، لِينال الدرجة العليا كما نالها موسى[3]. قال صاحب التحرير: وجه ارتباط هذه الآيات بما قبلها أنَّه سبحانه وتعالى لما عظَّم حالَ القرآن، وحالَ الرسول مما كلَّفه أَتبعه بما يُقوي قلبَ رسوله من ذكر أحوال الأنبياء، تقويةً لقلبه في الإبلاغ، كقوله: ﴿**وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود: 120]، وكرّر قصَّة موسى؛ لأنَّ المحنة له، [13/ب] وفتنته كانت أعظم، ليُسَلِّي قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ويُصبّره على حمل المكاره، ويأتسَّى بموسى عليه السـلام بما ناله من قومه من الأذى، فقال: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾، ﴿**وَهَلْ**﴾ هاهنا فيها أقوال: الأول: أنها استفهام بمعنى التقرير، فإنَّه سبحانه أراد أن يقرر في ذهنه من قصة موسى ما يكون

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 11/22الى 14.

[2] قال أبو السعود: استئنافٌ مَسوقٌ لتقرير أمر التوحيد، وبيانِ أنه أمرٌ مستمرّ فيما بين الأنبياء، وقد خوطب به موسى عليه الصلاة والسلام، وبه ختَم عليه الصلاة والسلام مقالَه، وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم في الائتساء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباءِ النبوة والصبرِ على مقاساة الخطوبِ في تبليغ أحكامِ الرسالة فيأباه أنَّ مَساقَ النظمِ الكريمِ لصرفِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن اقتحام المشاقِّ. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، من دون ذكر طبعة وتاريخها)، 6/6.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 53/3.

سبباً لتسلِّيه، وقيل: التقدير: أليس قد أتاك؟. الثاني: قيل: هو استفهام يتضمن الحث على الإصغاء إلى ما يخبر عنه. الثالث: قال الكلبي: معنى الكلام: لم يأتك، فهو استفهام بمعنى النفي، تقديره: ما أتاك حديث موسى، قال الكلبي: لم يكن أتاه حديثه بعد ثم أخبره به[1]. الرابع: قال الكلبي: (هل) بمعنى قد، أي: وقد أتاك حديث موسى[2]، قال: ولم يكن أتاه حديثه بعد، وإنما عَرّفه في وقته تسلية له؛ لأنَّه كان في حال ضيِّقة فوسّعها الله عليه، وفي حال وحشة فآنسه الله، وحال وحدة فكثّر جمعه، واعتصم بالصبر، ففاز بالنصر[3]. قال صاحب التحرير: وهذه السورة مكيَّة بلا خلاف، والظاهر أنَّه سبحانه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا، والظاهر أنَّ الاستفهام بمعنى التقرير لا بمعنى التحقيق، وموسى: هو موسى بن عمران عليه السلام بلا خلاف، والحديث والقصة بمعنى واحد، وكان من حديثه أنَّه لما قضى أكملَ الأجلين وسار بأهله، وهو مقبل من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى رجلاً غيوراً، يصحب الناس بالليل، ويفارقهم بالنهار غيرة منه، لئلا يروا امرأته، فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله، وكانت ليلة مظلمة. وقال مقاتل: ليلة الجمعة في الشتاء[4]. وقال وهب بن منبه: [14/أ] استأذن موسى شعيباً في الرجوع إلى والدته فأذن له، فخرج بأهله وغنمه، فولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مُثلِجة، وقد حاد عن الطريق، وتفرقت ماشيته، فقدح موسى النار، فلم يؤثر القدح شيئاً، إذ بَصُر بنارٍ من بعيد على يسار الطريق، فقال لأهله: امكثوا، أي: أقيموا بمكانكم، إني آنست ناراً، أي: أبصرت. وقال ابن عباس: فلما تَوَجَّه نحو النار فإذا النار في شجرة عُنّاب، فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدَّةُ حرِّ النار تُغَيِّرُ خضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة تُغَيِّرُ حسن

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 171/11.

[2] ذكر ابن هشام: هل تأتي بمعنى "قد"، وبالغ الزمخشري فزعم أنها أبدا بمعنى قد. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985)، 460.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 15/22.

[4] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، 22/3.

ضـوء تلك النار[1]. وذكر المهدوي[2]: فرأى النار فيما روي وهي في شـجرة من العليق[3]، فقصـدها فتأخرت عنه فرجع وأوجس في نفســه خيفة ثم دنت منه، وكلَّمه الله عزَّ وجلَّ من الشــجرة. قال الماوردي[4]: كانت عند موســـى ناراً وكانت عند الله نوراً[5]. كذا قاله القرطبي[6]. قال في التحرير: قال وهب: ولد له ابن في الطريق، قال وهب: فلمَّا قضى موسى الأجل خرج، ومعه غنمه، ومعه زَنْدُه[7] وعصاً في يده يَهُشّ بها على غنمه نهاراً، فإذا أمسى اقتدح ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح سار بأهله وغنمه يتوكأ على عصاه، فلمَّا كانت الليلة التي أراد الله تعالى بموسى كرامته، أخرج زَنْده ليقدح ناراً لأهله؛ ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله، فقدح حتى أعيا فلم يوقد، فلاحت النار فرآها، فقال لأهله: ﴿**إِنِّي آنَسْتُ ناراً ولم تكن ناراً، وإنما كانت نوراً، وخيل له أنها ناراً**﴾[طه: 10][8]. قال الإمام فخر الدين: والصـــحيح [14/ب] أنَّه رأى ناراً، ليكون صــادقاً، في خبره إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء. انتهى[9]. وقال في زهرة الرياض: يقال: لما قضى موسى الأجل، وسار بأهله، وضع موسى الرَّحل على بقرة عند خروجه، وأركب امرأته على بقرة، وجعل الغنم قُدَّامه، وكان معها صبي صغير، وكان بامرأة موسى حَبَلٌ، فأخذها الطلق في

---

[1] أخرجه الطبري بنحوه، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 19/16.

[2] هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي المغربي، نحوي، مفسـر، لغوي، مقرئ، أصـله من بلاد إفريقية. من تصـانيفه: التفصـيل الجامع لعلوم التنزيل، الهداية في القراءات السبع، توفي: سنة 440هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 2 /27. الزركلي، **الأعلام**، 1 /184.

[3] أخرجه الطبري بنحوه، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 242/18.

[4] هو علي بن محمد بن حبيب الماوردي، نسبته إلى بيع ماء الورد. ولد بالبصرة، إمام في المذهب الشافعي، أول من لقب بـ أقضي القضاة في عهد القائم بأمر الله العباسـي، وكانت له مكانة رفيعة عند خلفاء وملوك بغداد. اتهم بالاعتزال، توفي في بغداد سـنة 450هـ. من تصـانيفه: الحاوي في الفقه، الأحكام السلطانية، أدب الدنيا والدين، قانون الوزارة. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، **طبقات الشافعيين**، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، من دون طبعة، 1413هـ)، 1 /418. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 7 /189.

[5] أبو الحسـن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصـري البغدادي، الشـهير بالماوردي، **تفسـير الماوردي = النكت والعيون**، (بيروت: دار الكتب العلمية، من دون رقم وتاريخ طبعة)، 396/3.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 171/11-172.

[7] الزَّنْدُ: العودُ الذي تقدح به النار. ابن منظور، **لسان العرب**، 195/3.

[8] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 19/16.

[9] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 16/22.

الطريق، وساروا من أوّل النهار إلى آخره، فضلُّوا الطريق، وكانت المرأة قالت: لو أخذني الطلق في الطريق ماذا نعمل؟ فقال لها موسى: لا تتفكري، فإنَّا نحمل معنا القَدَّاحة والحجر والحُرَّاقة[1]، ونوقد النار، وأجْمَعُ الغنم، وأُصلح شأنك، فلمَّا أقبل الليل اشتد بها الوجع، فقالت: الغياث يا موسى، فأخرج موسى القداحة وحجر الزَّند والحُرَّاقة، فأمر الله الريح فهبّت، وذهبت الحُرَّاقة من جانب، والزند من جانب، والقداحة من جانب، وهربت الغنم كلُّها في المفاوز، وهربت البقر الذي كان عليه الرَّحل، وأخذ الصبي في البكاء، وأخذت المرأة في الولادة، وضاق الأمر على موسى عليه السلام، وأوحى الله إلى نار الدنيا كلِّها في تلك الليلة أنْ لا توقِد في العالم شيئاً في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها ولا سراج ولا شمع، فلمَّا عجز موسى عليه السلام عن حبل العبودية أظهر الرب كرم الربوبية، فآنس من جانب الطور ناراً، فلمَّا انتهى رأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك، ويقال: إنها العوسجة[2]، ويقال: العنَّاب[3]، فتحيَّر موسى وارتعدت فرائصه، حيث رأى ناراً لا دخان لها تلتهب من جوف [15/أ] شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا عظماً، ولا الشجرة إلا خُضرة، فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، أن يا موسى، فنظر فلم ير أحداً، فنودي ﴿**إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ**﴾ [القصص: 30]، فلمَّا سمع النداء ورأى تلك الهيبة، خفق قلبُه وكَلَّ لسانه، وصار حيَّاً كالميِّت، إلا أنَّ روح الحياة تتردَّدُ فيه، وأرسل الله تعالى ملكاً يشدُّ ظهره، ويُقوي قلبه، فلمَّا ناب إليه عقلُه، قيل له: ﴿**إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ** ﴾ [طه: 12]، فلمَّا قيل له: ﴿إِنِّيٓ﴾، نظر إلى الأسفل، فلمَّا نودي ﴿أَنَا﴾ نظر إلى الأعلى، فلم ير في الأسفل ولا في الأعلى شيئاً، قيل له: دع الأعلى والأسفل وانظر إليَّ فإِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ. وفي الأخبار: أنَّ موسى سئل: بمَ عرفت أنَّ المتكلم كان هو الله؟ قال: لأنَّ كلام المخلوقين يُسمع من جانب واحد، فلمَّا قيل: يا موسى سمعتُ من الأسفل والأعلى والقدَّام

---

[1] الحُرَّاقة: ما تقع فيه النار عند القدح. الرازي، **مختار الصحاح**، 70.

[2] العوسج: شجر من شجر الشوك، وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق. ابن منظور، لسان العرب، 324/2.

[3] العنَّاب: شجر من شجر الشوك وهو أحمر حلو لذيذ الطعم. **المصدر نفسه**، 354/4.

والخلف جميعاً دفعة واحدة، فعلمتُ أنَّ الرب هو المتكلم، ثم قال له: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12]. وقيل: كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ، وقيل: كي تمسَّ راحةُ قدميه الأرض الطيبة، ولأنَّ الحَفْوة من أمارة التواضع، وقيل: النعل عبارة عن المرْأَةِ، يعني: أخرج هَمَّ امرأتك وولدك من قلبك، يا موسى إذا وجدتني فيما تصنع بالأهل والمال؟ جعلتُ الذئاب حارسةَ غنمك، والحورَ العين قابلةَ أهلك، والملائكةَ حارسةَ أولادك، من كان لي كنتُ له[1]. وفي كتاب العرائس[2]: قال كعب[3]: كان بين موسى وبينه ألف حجاب، فرفعها كلها إلا حجاباً واحداً، فاستجلَى موسى كلام ربه واشتاق إلى رؤيته، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: 143]، فقال الله تعالى: [15/ب] لن تراني ولن تطيق ذلك، وليس لبشـــر أن يطيق النظر إليّ في الدنيا، من نظر إليّ مات، فقال: إلهي ولَأَن أنظر إليك وأموت أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك، فقال الله له: ﴿انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْـتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَـوْفَ تَرَانِي﴾[الأعراف: 143] الآية. وقيل: إنَّ موسى لما استلذَّ الكلام حَمَلَهُ لذةُ الكلام على سؤال الرؤية، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾[الأعراف: 143] الآية، لطيب كلامه وغلبة شـوقه لأن الحق قرَّبه وشـوَّقه، فلما غلب عليه الشـوق قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾الآية. ويقال: مكث موسـى بعدما غشـيه نور الرب لا يراه أحد إلا مات حتى اتخذ بُرقُعاً لا يُبْدِي وجهه لأحد مخافة أن يموت[4]. اعلم أنَّ عشـرة نفر خرجوا إلى طلب عشـرة أشـياء، فوجدوا بدلها عشرة أخرى: أصحاب الكهف طلبوا الفرار من صحبة دقيانوس[5] فوجدوا صحبة الرب، ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ

---

[1] سليمان بن داوود ، **زهرة الرياض**، اللوحة 177/أ

[2] أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **قصص الأنبياء المسمى بالعرائس**، (القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، اهداءات 2000م)، 213.

[3] في زهرة الرياض والعرايس: قال وهب بن كعب. سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 129/أ.الثعلبي، **قصص الأنبياء**، 213.

[4] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 128/ ب- 129/أ.

[5] هو الملك الذي كان يحكم في زمن أصحاب الكهف ويجبر الناس عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، ويقال اسمه دِقْيُوسْ، وقد هرب أصحاب الكهف خوفاً منه. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412 هـــ)، 2/ 152. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 1 /325، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ).

الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّـــمَالِ﴾ [الكهف: 18]، أي: نحولهم من جنب إلى جنب كما يحرك الصـــبيَّ أمُّه في المهد. والثاني: طالوت[1]، خرج لطلب الجهاد، فوجد المُلك من الجبار، قوله: **﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾** [البقرة: 247] الآية، القصـــة بطولها. والثالث: خرج داود لطلب إخوته فوجد دليلاً على نبوته، وهو قول الحجر: ﴿خُـذْنِي﴾ إلى أن قـال: **﴿وَقَتَـلَ دَاوُدُ جَـالُوتَ﴾** [البقرة: 251]، ﴿وقتـل داودُ جالوت﴾. والرابع: خرج يوســـف على نية اللعب، فوجد الجُبَّ والســـجن، وبعد ذلك مملكة مصـــر. والخامس: خرجت بلقيس لنظارت ملك سليمان عليه السلام، فوجدت المعرفة مع سليمان لرب العالمين، ولكل واحد قصة في التفسير. والسادس: خرج إسماعيل إلى وادٍ غير ذي زرع فوجد الكعبة. والسابع: خرج محمد صـلى الله عليه وسـلم إلى جبل حراء لرعاية غنم خديجة[2]فوجد الرسـالة، قوله: **﴿اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ﴾** [العلق: 1]. والثامن: خرج عمر[3] لقتل [16/أ] محمد صلى الله عليه وسلم فوجد الإسلام، قوله: **﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْـقَىٰ﴾**. والتاسـع: سـحرة فرعون خرجوا ليبطلوا معجزة موسـى عليه السـلام فوجدوا الإسلام، قوله: **﴿وَأُلْقِيَ السَّـحَرَةُ سَـاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾** [الأعراف: 120-إلى122]. والعاشر: خرج موسى لطلب النار، فوجد النور، وخرج للاصطلاء[4]، فوجد

---

[1] هو طالوت بن قيس من نسـل يعقوب بن إسـحاق بن إبراهيم الخليل، كان سـقاء، وقيل كان دباغاً، ولهذا {قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سـعة من المال} [البقرة: 247]. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسـلم بن قتيبة، **المعارف**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992 م)، 1 /44، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، (بيروت: دار هجر، ط1، 1418 هـ)، 2 /292.

[2] هي أمُّ المؤمنين، خديجة بنت خويلد بن أسـد بن عبد العزى، زوجة رسـول الله صلّى الله عليه وسـلم الأولى، ولدت بمكة، ونشـأت في بيت شـرف ويسـار، تزوجها رسـول الله، قبل النبوة، فولدت له القاسـم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وهي أول من أسـلم من الرجال والنساء، توفيت بمكة سنة: 3 ق هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4 /1817. الزركلي، **الأعلام**، 2 /302.

[3] هو عمر بن الخطاب، أبو حفص الفاروق، وأمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشـدين. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، فأظهر المسلمون دينهم. ولازم النبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وكان أحد وزيريه، وشـهد معه المشـاهد. بايعه المسـلمون خليفة بعد أبي بكر، ففتح الله في عهده الفتوح، وضـع التاريخ الهجري. ودون الدواوين. قتله أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصـلي الصبح سنة23هـ. 1 /38. ابن حجر العسـقلاني، **الإصـابة**، 4 /484. الزركلي، **الأعلام**، 5 /54.

[4] الاصطلاء: افتعال من صلا النار والتسخن بها، ابن منظور، لسان العرب، 467/14.

الاصـــطفاء، قوله تعالى: ﴿**إِنِّي آنَسْـــتُ ناراً**﴾ [طه: 10] الآية. قال الله: يا موســـى، كيف تراني على البســاط الفاني، اصـبر حتى أجعلك باقياً حتى تراني، يا موسـى منذ عشـر سـنين صـرت راعياً لشـعيب، والقلنسـوة[1]على رأسـك، والعصـى في يدك لأجل بنت شـعيب، وصـرت أجيراً عشـر سـنين حتى وجدتها، وصُمت أربعين يوماً تطلب مني الرؤية، يا موسى، سألت مني بالأمس نصفَ رغيف، قوله: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[القصـــص: 24] الآية، فالآن تســأل مني الرؤية، والرؤية غاية الكرامة، وغاية الكرامة هي لأكرم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، يا موسى، جعلتَ هارون واسطة بينك وبين قومك، فقلت: ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**﴾ [الأعراف: 142] الآية، وجعلتُ الجبلَ بيني وبينك واســـطة لتنظر إلى الجبل، يا موســـى، جوابُك في ســـؤالك الرؤية مكتوب في فص خاتمك، وكان مكتوبٌ على فص خاتمه: ﴿**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾ [الرعد: 38] [2]، ولما رجع موســـى عن الجبل رأى الجبل قد تحول عقيقاً، قال: يا جبل ما لك حين مررت بك كنت حجراً، فالآن صـرت عقيقاً؟ قال الجبل: يا موسـى مالك حين مررت بي كنتَ راعياً والآن صرت نبيَّاً وكليماً؟ انتهى كلام زهرة الرياض [3].

﴿**إِذْ رَأَى ناراً**﴾ [طه: 10] يجوز أن ينتصب "إذ" ظرفاً لـ "حديث"؛ لأنَّه حَدَثٌ، أو بمضمرٍ، أي: حين رأى ناراً كان كيت وكيت، أو مفعولاً لـــــ "اذْكُر"[4]، قال [16/ب] في التحرير والتحبير: قيل: النار أربعة أقســام: نار تأكل ولا تشــرب، وهي نار الدنيا، ونار تشــرب ولا تأكل وهي النار التي في القدَّاحة، ونار تأكل وتشرب، وهي نار الآخرة، ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار موسى عليه السلام. وقيل: النار أيضاً أربعة أقسام: أحدها: نار لها نور بلا حرقة، وهي: نار موسى عليه السلام. وثانيها: نار لها حرقة بلا

---

[1] القَلَنْسُوة والقُلَنْسِيَة والقَلَنْساة جمعها: قَلانِسُ وقَلاسٍ وقَلَنْسٍ، وهي من ملابس الرؤوس. المصدر نفسه، 181/6.

[2] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 130، أ/ب.

[3] المصدر السابق، اللوحة 131/أ.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /53.

نور، وهي: نار جهنم. وثالثها: نار لها حرقة ونور، وهي: نار الدنيا. ورابعها: نار لا حرقة لها ولا نور، وهي: نار الأشـــجار، فلمَّا رأى النَّار توجه نحوها[1]. قال في المدارك: إذ رأى ناراً في زعمه فكان نوراً[2]، ﴿**فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا**﴾ [طه: 10] أقيموا في مكانكم، ولم يقل: أقيموا؛ لأنَّ الإقامة تقتضـــي المبيت، والمكثُ يطلع على القليل والكثير. قال في التحرير: قيل: خاطب بذلك زوجته وولده والخادم الذي معهما، ويجوز أن يكون خاطب بذلك المرأة وحدها، لكن خرج على ظاهر لفظ الأهل، فإنَّ الأهل تقع على الجميع، وأيضـاً فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تعظيماً له[3]﴿**إِنِّي آنَسْتُ**﴾ [طه: 10] أبصـرت ﴿**ناراً**﴾ [طه: 10] والإيناس رؤية شـيء يؤنس به[4]، وقال الزمخشـري: الإيناس الإبصـار البَيِّن الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين لأنَّه يَتَبَيَّنُ به الشيء والإنس لظهورهم، كما قيل: الجن، لاستتارهم، انتهى[5].

﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا**﴾ [طه: 10] قال الزمخشري: لما وجد منه الإيناس[6] وكان مقطوعاً متيقناً، حققه لهم بكلمة "إنَّ"؛ ليوطنوا أنفسـهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهُدى مُتَرَقَّبين مُتَوَقَّعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع، وقال: "لعلَّ"، ولم يقطع، فيقول: "إني آتيكم"، لِئَلَّا يَعِدَ ما ليس يســتيقن الوفاءَ به [17/أ]. ﴿بقبس﴾ شـــعلة من نار، قال الزمخشـــري: القبس النار المقتبســـة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما. ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ [طه: 10]، قال الفرَّاء[7]: هادياً، فذكره بلفظ المصـــدر. قال

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 16/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /355.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 16/22.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /355.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /53.

[6] قال الطيبي:" يُروى "وجد" معروفاً ومجهولاً، والأولُ أوجه لمطابقة "خيفةً" لهم، أي: لما وجد موســى من نفســه الإيناس حققهُ للأهل بأن قال: (إِنِّي آنَسْتُ) بكلمة التحقيق" الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، 135/10.

[7] هو محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران، أبو أحمد الفرّاء النيسابوري. من وجوه مشايخ نيسابور، وثقه مسلم، وذكره ابن حبان في الثقات. توفي: سنة 272 هـ. ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 9 /319. 109. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، 2 /599.

الزمخشري: هدى أي: قوماً يَهدونني الطريق، أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين، وذلك لأنَّ أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم، لا يشغلهم عنها شاغل، والمعنى: ذوي هدى، أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى[1]. قال البازري[2]: ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ أي: على مصلى النار أهلَ هدى يدلونني على الطريق. قال النسفي: فكأنه قال: أجد على النار ما أهتدي به من دليل أو علامة[3].

ومعنى الاستعلاء[4] في (عَلَى النَّارِ): أنَّ أهل النار يستعلون المكان القريب منها ،كما قال سيبويه[5]في: "مررت بزيد" أنَّه لُصُوقٌ بمكان يَقْرُب من زيد، أو لأنَّ المُصطلين بها والمُستمتعين إذا تَكَنَّفُوها قياماً وقعوداً كانوا مُشْرفين عليها، ومنه قول الأعشى: وبات على النار الندى والمُحَلِّقُ[6].

﴿**فَلَمَّا أتاها**﴾ [طه: 11] أي: النار وجد ناراً بيضاء تتوقد من شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العُنَّاب، وقيل: العوسج، وقيل: كانت من العُلَّيْق، ولم يجد عندها أحداً، وروي أنَّه

---

1 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /53.

2 هو إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن البازري، الحموي، الشافعي، قاضي حماة، تفقه بدمشق، درَّس معرة النعمان، ثم في حماة، توفي: سنة 669هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 1 /112. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، مال الدين، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، من دون طبعة، 1984م)، 1 /176، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 6 /94.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 16/22.

4 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /53.

5 هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، الملقب بسيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، صنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه "في النحو، توفي سنة: 180هـ، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. الزركلي، **الأعلام**، 5 /81. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 8 /10.

6 ورد في هامش المخطوط "المُحَلِّقُ": اسم رجل. والبيت من قصيدة للأعشى يمدح فيها المحلِّق، وهو من بنى عكاظ، كان فقيرا ولديه عشر بنات، فانعزل بهن إلى بعض الفقار، فنزل به الأعشى ضيفاً، فنحر له ناقته ولم يكن عنده غيرها، فعظم عند الأعشى، فلما أصبح وأراد المسير قال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أن تسير بذكرى في بنى عكاظ، لعل أحداً يرغب في بناتي، فمدحه في عكاظ فلم يلبث حتى خطبت بناته. ومطلعها:

لعمري لقد لا حت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار في يفاع يحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أم تقاسما ... بأسحم داج عوض لا تتفرق

أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، (بيروت، دار الجيل، ط1401،5هـ)، 48/1.

كُلَّما طلبها بَعُدت عنه، فإذا تركها قرُبت منه[1]، فوقف متعجباً من حسن تلك النار، وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدة حر النار تُغيّر حسن خضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة ولا الخضرة تغير حسن ضوء النار[2]. قال البغوي[3]في المعالم: قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى ناراً، بل كان نوراً، ذُكر بلفظ النار؛ لأنَّ موسى عليه السلام حَسِبَه ناراً. وقال أكثر المفسرين: إنَّه نور الربّ، وهو قول ابن عباس [17/ب] وعكرمة وغيرهما. وقال سعيد بن جبير[4]: هي النار بعينها، وهي إحدى حجب الله تعالى، يدلُّ عليه ما روي عن أبي موسى الأشعري[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[6]، وفي القصة أنَّ موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس، وقصد الشجرة، فكان كلَّما دنا نأتْ منه النار، وإذا نأى دنت فوقف متحيراً، وسمع تسبيح الملائكة، وأُلقيت عليه السكينة. انتهى[7]. قال البرهان النسفي: ورأى نوراً عظيماً فظنَّ موسى أنها نار، فأخذ من دِقَاق الحطب ليقتبس من لهبها، فمالت إليه كأنَّها تريده، فتأخر عنها ثم دنا منها فتأخرت عنه، ثم لم يكن أسرع من خمودها كأنَّها لم تكن، ثم رمى موسى ببصره إلى فرعها، فإذا خضرتها ساطعة في السماء، وإذا نور من السماء إلى الأرض تكِلُّ عنه الأبصار، فلمَّا رأى موسى ذلك وضع يديه على عينيه،

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /358.

[2] من قول ابن عباس. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 171/11.

[3] هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي. فقيه شافعي، محدث ومفسر، كان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين. من تصانيفه: التهذيب في الفقه، شرح السنة في الحديث، معالم التنزيل في التفسير، الجمع بين الصحيحين، مصابيح السنة، شمائل النبي المختار. توفي سنة: 510هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 /136. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 11/ 259. الزركلي، **الأعلام**، 2/ 259.

[4] هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، من كبار التابعين. أخذ عن ابن عباس وأنس وغيرهما من الصحابة. خرج على الأمويين مع ابن الأشعث، فظفر به الحجاج فقتله سنة: 95هـ. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 11/4. الزركلي، **الأعلام**، 3 /93.

[5] هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، من أهل زبيد باليمن، صحابي جليل، قدم مكة فأسلم وهاجر إلى الحبشة، واستعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على زبيد وعدن. وولاه عمر بن الخطاب البصرة، وأقره عثمان عليها، وكان أحد الحكمين في التحكيم بين علي ومعاوية، ثم رجع إلى الكوفة وتوفي بها سنة: 44هـ. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 4/ 181. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 5/ 362. الزركلي، **الأعلام**، 4/ 114.

[6] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، 1 / 161 – 162، حديث رقم: 179.

[7] البغوي، **معالم التنزيل = تفسير البغوي**، 3/ 257.

فنودي يا موسى. قال القاضي: تأخير النَّار لا يمكن إلا بعد النبوة، إذ هو معجزة له أو لغيره، وفي قوله: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه: 13] دلالة على أنَّه في هذه الحالة أوحى الله تعالى إليه وجعله نبيَّاً، وعلى هذا الوجه يَبعد ما ذكروه من تأخير النار عنه، وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى**﴾ يدلُّ على فساد التأخر، لأنَّه لو صحَّ لما بقي لفاء التعقيب فائدة، والقاضي نفى هذا الاعتراض على مذهبه في أنَّ الإرهاص[1] غير جائز عند أهل السنة، وأمَّا فاء التعقيب فالتخلل بين المجيء والنداء بالزمان القليل لا يقدح[2]، انتهى كلام النسفي[3]. [18/أ] قال في التحرير والتحبير: من المتشابه في هذه السورة قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَىٰ نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[طه: 10]، وفي النمل: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾[النمل: 7]، وفي القصص: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾[القصص: 29]، هذه الآيات الثلاث تشتمل على ذكر رؤية موسى النار، وأمره أهله بالمكث، وإخباره إياهم أنه آنس ناراً، وإطماعه إياهم في أنْ يأتيهم بنار يصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق الذي ضلوا عنه، لكنه نقص من النمل ذكر رؤية موسى النار وأمْرُه إياهم بالمكث اكتفاء بما تقدم، وزاد في القصص: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ**﴾ [القصص: 29] المضروب، وسيرَه بأهله إلى مصر؛ لأنَّ الشيء قد يُجمل ثم يفصَّل، وقد يفصَّل ثم يُجمل، وفي طه فصَّل، وأجمل في النمل، ثم فصَّل في القصص وبالغ فيه، وقوله في هذه السورة: ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ**

---

[1] هو ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة من أمر خارق للعادة، أي: تقديم المعجز على وقت الدعوى. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، 16.

[2] أي في فاء التعقيب. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/16-18.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/17-18.

هُدًى﴾ أي: من يخبرني بالطريق فيهديني إليه، وإنما أخّر ذكر الخبر فيها وقدمه في غيرها مراعاة لفواصل الآي في السور جميعاً، وكرَّر"لَعلِّي" في القصص وهنا لفظاً، وفي النمل معنى، لأنَّ قوله: ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[طه: 10]، نائب عن لعل، و(آتيكم) بمعنى لعل، وفي القصص ﴿**أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ**﴾ [القصص: 29]، وفي النمل: ﴿**بِشِهَابٍ قَبَسٍ**﴾ [النمل: 7]، وفي هذه السورة: ﴿بِقَبَسٍ﴾ [18/ب] لأنَّ الجذوة من النار خشبة في رأسها قَبَسٌ له شهاب، فهي في هذه السور الثلاث عبارة عن معنى واحد، وهذا برهان لامع، وأيضاً من المتشابه، قال في هذه السورة: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا**﴾ [طه: 11]، وفي النمل: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهَا**﴾ [النمل: 8]، وفي القصص: ﴿أَتَاهَا﴾[القصص: 30]، وأتاها وجاءها بمعنى واحد، لكن لفظ الإتيان في طه كثير، نحو: ﴿**أْتِيَاهُ**﴾ [طه: 47]، ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ**﴾ [طه: 58]، ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾[طه: 60]، ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفاً﴾[طه: 64]، ﴿**حَيْثُ أَتَى**﴾[طه: 69]، ولفظ جاء في النمل أكثر، نحو: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ**﴾ [النمل: 13]، ﴿**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ**﴾[النمل: 22]، ﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ**﴾[النمل: 36]، فألحق القصص بطه لقرب ما بينهما، وقال في هذه السورة: ﴿**فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ**﴾[طه: 40]، وفي القصص: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ**﴾[القصص: 13]، لأنَّ الرجع أَلْطف، فخصَّ طه به، وخصَّ القصص بقوله: ﴿**فرددناه**﴾[القصص: 13]، تصديقاً لقوله سبحانه: ﴿**إِنَّا رادوه إليك**﴾[القصص: 7]. انتهى كلام صاحب التحرير[1]. وقال البازري في أسئلة القرآن: قد وقع اختلاف الألفاظ في هذه السور، وقد أخبر الله تعالى أنه: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفاً كَثِيراً**﴾ [النساء: 82] فما وجه هذا الاختلاف في الإخبار عن قصة واحدة؟ مرَّة قال لأهله: ﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ [طه: 10] ومرة قال: ﴿سَآتِيكُم﴾ إلى غير ذلك، فوقع الاختلاف فيما قال لأهله، وفيما

[1] لم أجده كونه مخطوط، ووجدته لدى محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، (دار الفضيلة، من غير رقم طبعة وتاريخ)، 173-174.

خوطب به، والجواب: أنَّ الله تعالى لم يخاطب موسى عليه السلام باللغة العربية حتى يؤدّي اختلاف الألفاظ إلى اختلاف المعاني، ولا أخبر بمجموع القصة في كل سورة، بل أخبر بالبعض في البعض، وبالبعض الآخر في البعض الآخر، وليس يدفع بعضُه بعضاً، وأما قوله: ﴿**نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾ [طه: 11-12] الآية، فمما جرى ولم يُخبِر به في غير هذه السورة، وكذلك القول في العصا [19/أ]، وسؤاله وتقريره على وصف حالها، انتهى كلامه[1]. ﴿**نُودِيَ**﴾ [طه: 11] موسى من الشجرة ﴿**يَامُوسَى إِنِّي**﴾ [طه: 11-12] بكسر الهمزة، أي: نودي، فقيل: يا موسى إني؛ لأنَّ النداء ضرب من القول، فعُومل معاملته. وبالفتح[2] مكي وأبو عمرو أي: نودي أني، وفي سورة القصص: نودي من الشجرة أي: من جهتها وناحيتها. ﴿**أَنَا رَبُّكَ**﴾ [طه: 12] أنا: مبتدأ أو توكيد أو فَصْل، وكرَّر الضمير في: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشُّبهة. روي أنَّه لما نودي يا موسى، قال: من المتكلم؟ فقال الله تعالى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وأَنَّ إبليس وسوس إليه لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: أنا عرفت أنه كلام الله تعالى، فإني أسمعه من جميع جهاتي الست، وأسمعه بجميع أعضائي[3]، وقال وهب: نودي من الشجرة فقيل: يا موسى، فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه، فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك [19/ب] ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك،

---

[1] لم أجد الكتاب.

2 البغدادي، **كتاب السبعة في القراءات**، 417.

3 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 54/3.

فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل، فأيقن به[1]. قال حافظ الدين في العقيدة: ثمَّ عند الأشـــعري[2] كلامُه مسموع، وقال الشيخ أبو منصور[3]رحمه الله: غير مسموع لاستحالة سماع ما ليس بصوت، وعند الشيخ أبي منصور: إنَّ موسى عليه السلام سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، وخُصَّ موسى بكونه كليم الله؛ لأنَّه بغير واسطة الكتاب والملك. انتهى[4]. قال البرهان النسفي: قال الأشعري: إنَّه تعالى أسمعه الكلام القديم الذي ليس بحرف ولا صوت، وأمَّا المعتزلة[5] فإنهم أنكروا وجود ذلك الكلام، وقالوا: إنَّه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الأجسام كالشجرة أو غيرها، وأمَّا أهلُ السنة من أهل ما وراء النهر فقد أثبتوا الكلام القديم، إلا أنهم زعموا أنَّ الذي سمعه موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة، واحتجوا بالآية: على أنَّ المسموع هو الصوت الـمُحْدَث، قالوا: إنَّ الله تعالى رتَّب النداء على أنَّه أتى النار، والمرتَّبُ على المحدث محدث، فالنداء محدث[6]. واختلفوا في أنَّ موسى عليه السلام كيف عرف أنَّ المنادي هو الله تعالى؟

---

[1] أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبان، **الزهد**، أخبار موسى عليه السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1420هـ)، 54، حديث رقم: 342. وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ)، 9/ 2844، وعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، 555/5.

[2] هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، ولد بالبصرة وسكن بغداد، إمام المتكلمين، شافعي المذهب، رد على المعتزلة والشيعة وغيرهم، من تصانيفه: التبيين عن أصول الدين، خلق الأعمال، كتاب الاجتهاد. توفي سنة: 324هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 /284. الزركلي، **الأعلام**، 4 /263.

[3] هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، نسبته إلى ما تريد بسمرقند، أصولي وإمام من أئمة المتكلمين. من تصانيفه: كتاب التوحيد، مآخذ الشرائع في الفقه، الجدل في أصول الفقه. توفي سنة: 333هـ. ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، (كراتشي: مير محمد كتب خانه، من دون طبعة وتاريخ النشر)، 2 /130. أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، (مصر: دار السعادة، ط1، 1324هـ)، 1 /195. الزركلي، **الأعلام**، 7 /19.

[4] النسفي، **شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى الاعتماد في الاعتقاد**، 192 إلى 194.

[5] المعتزلة : إحدى الفرق الإسلامية الكبيرة، مؤلفة من عشرين فرقة، وكلها تجتمع على القول بالأصول الخمسة، وهي: "التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". الأشعري، **مقالات الإسلاميين** ص ١٥٥ –٢٧٨ الأسفراييني، **الفرق بين الفرق** 18. الشهرستاني، **الملل والنحل**، 43/1.

[6] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، **معالم أصول الدين**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ)، 68.

فقال أهل السنة: يجوز أن يخلق الله له علماً ضرورياً بذلك، ويجوز أن يعرِّفه بالمعجزة، ثم اختلفوا في ذلك المعجز، فمنهم من قال: نحن نعلم قطعاً أنه تعالى عرَّفه ذلك بواسطة المعجزة، ولا حاجة لنا أنْ نعرف أنَّ ذلك المعجز ما هو، وقيل: إنَّ موسى عليه السلام لما شاهد النور الساطع من السماء إلى الشجرة، وسمع تسبيح الملائكة وضع يديه على عينيه ونودي يا موسى، فقال: لبيك إني أسمع صوتك [20/أ] ولا أراك، فأين أنت؟ فقال: أنا معك وأمامك وخلفك ومحيط بكَ وأقرب إليك منك، ثم إنَّ أبليس أخطر بباله ما يدريك أنك تسمع كلام الله، فقال: لأني أسمعه من قدامي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي كما أسمع من قدامي، فعلمت أنه ليس من كلام المخلوقين، فسمعته بجميع أجزائي وأبعاضي، كأنّ كلَّ عضو منه صار أذناً. وقيل: أنَّه عليه السلام رأى النار في الشجرة الخضراء الرطبة الطرية، وهذا مما لا يقدر عليه أحد إلا الله، وقيل: لأنَّه سمع النداء من جماد، كالحصى مثلاً، فيكون ذلك معجزة. انتهى كلام النسفي[1]. قال السلمي: قال جعفر: قيل لموسى عليه السلام: كيف عرفت أنَّ النداء هو نداء الحق؟ قال: لأنَّه أفناني وشملني، فكأنَّ كل شعرة مني كانت مخاطبة بنداء من جميع الجهات، وكأنها تعبِّر عن نفسها بجواب، فلمَّا شملتني أنوار الهيبة، وأحاطت بي أنوار العزة والجبروت، علمت أني مخاطب من جهة الحق، فلمَّا كان أول الخطاب "إني" ثم بعده "أنا"علمت أنَّه ليس لأحد أن يخبر عن نفسه باللفظين جميعاً متتابعاً إلا الحق، فأُدْهِشْتُ وهو كان محل الفناء، فقلت: أنت أنت الذي لم تزل ولا تزال، وليس لموسى معك مقام ولا له جُرأَةُ الكلام، إلا أنْ تبقيه ببقائك، وتنعته بنعوتك، فتكون أنت المخاطِب والمخاطَب جميعاً، فقال: لا يَحْمِل خطابي غيري، ولا يجيبني سواي، أنا المكَلِّمُ وأنا المكلَّم، وأنت في الوسط شيخ يقع بك محل الخطاب. انتهى كلام السلمي[2].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 17/22-18.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 436/1.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: 12] انزعهما [20/ب]، ومن ثَم طاف السلف بالكعبة حافِين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه، وكان إذا ندر منه الدخول متنعلاً تصدَّق، والقرآن يدلُّ على أنَّ ذلك احترام للبُقعة وتعظيم لها وتشريف لقُدْسها. والخلعُ: النزع، والنعل: ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض. واختلف العلماء في السبب بعدم ذكر هذا الذي من أجله أُمر بخلع نعليه، فقيل: كانتا نجستين لكونهما من جلد حمار ميت؛ فلذلك أمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس، ولذلك قال عَقِبَهُ: إنك بالوادي المقدس، وهذا[1] قول علي ومقاتل والكلبي والضحاك وقتادة[2]والسدي. وروى الترمذي[3] عن عبد الله بن مسعود[4]عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَان عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكَمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ»[5]، قال: هذا حديث غريب. والكُمَّة: القلنسوة الصغيرة، وقيل: إنما أمر بخلعهما لتنال قدماه بركة الوادي، قاله الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد[6]. قال في التحرير: ويشكل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: « ليسمعون خفق نعالكم»[7]. وقيل: أمر وبعدم معنى هذا أيضاً: بخلع النعلين للتواضع والخشوع عند مناجاة الله تعالى. وقيل: وبعدم ذكر هذا أيضاً

---

[1] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، 22/3.

[2] هو قتادة بن دِعَامة بن قتادة السَّدوسي، أبو الخطّاب البصري، ثقة ثبت، روى عن أنس وابن المسيب وعنه روى أيوب وحميد الأوزاعي وجماعة، توفي سنة: 171هـ، وقيل: 118هـ. ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، 453.

[3] هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضرير، إمام، حافظ، بارع، مصنف (الجامع)، و(العلل) ، وغير ذلك، توفي سنة: 279هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 270/13. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 678/3.

[4] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابي. من أكابرهم، من السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، قال عمر فيه: وعاء ملئ علما، ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة، له: 848 حديثا، توفي في المدينة سنة: 32هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 381/3. الزركلي، **الأعلام**، 137/4.

[5] أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ما جاء في لبس الصوف، 224/4، حديث رقم: 1734. وأخرجه الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 81/1، حديث رقم: 76، ضعيف جداً.

[6] مجاهد، **تفسير مجاهد**، 460.

[7] لدى مسلم بلفظ: "إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا". مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، 2201/4، حديث رقم: 2870. أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند أنس بن مالك، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ)، 118/21، حديث رقم: 13446.

إعظاماً لذلك الموضع عن أن يطأه إلا حافياً؛ ليكون معظماً له، يؤيده قوله عقبه: ﴿**إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾، وهذا يفيد التعليل كأنَّه قال: اخلع نعليك لأنَّك بالوادي المقدس، كما أنَّ الحرم لا يُدخل بنعلين إعظاماً له. قال سعيد بن جبير: قيل له: طَإِ الأرض حافياً[1] كما يدخل إلى الكعبة حافياً، والعُرف عند الملوك أن يخلع النعال عند ملاقاتهم، ويُبلِغ الإنسان إلى غاية التواضع [21/أ]، وكان موسى أُمر بذلك، ولا يبالي كانت نعلاه من ميتة أو غيرها. وقد كان مالك[2] رحمه الله لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة النبوية إعظاماً لتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة والجثة الكريمة، وقال أرباب الإشارات: المراد بالنعلين هنا الزوجة والولد؛ لأنَّ النعل في النوم يعبَّر عنه بالزوجة والولد، فهو إشارة إلى ألا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد. وقيل: المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنَّه أمرَه بأن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى، ولا يلتفت بخاطره إلى ما سوى الله تعالى، وعلى هذا القول يكون المراد بالوادي المقدس قُدسَ جلال الله تعالى، كأنَّه قال: إذا وصلت إلى الوادي المقدس فلا تلتفت إلى المخلوقات. قاله في التحرير[3]. قال السلمي: قال أبو سليمان[4]: اخلع نعليك ليُصيبَ قدمَك بركةُ الوادي، والواديَ بركةُ قدمك، وقال الشبلي[5]: اخلع الكل منك، تصل إلينا بالكلية، فتكون ولا تكون، فتتحقق في غير الجمع، فيكون إخبارك عنا وفعلك فعلنا. وقيل: اخلع نعليك فإنك بعين موجِدِك. وقال جعفر: اقطع عنك

---

[1] مجاهد، **تفسير مجاهد**، 460.

[2] هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الأنصاري إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، أخذ العلم عن نافع مولى ابن عمر، والزهري، وربيعة الرأي وغيرهم. اشتهر في فقهه باتباع الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة. من تصانيفه: الموطأ، تفسير غريب القرآن، المدونة، الرد على القدرية، الرسالة إلى الليث بن سعد. توفي بالمدينة سنة: 179هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 135/4. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 5/10. الزركلي، **الأعلام**، 257/5.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 18/22.

[4] في تفسير السلمي: أبو سفيان.

[5] هو دلف بن جحدر الشبلي، أبو بكر البغدادي، خرسانيُّ الأصل، من النسَّاك، ولِيَ دنباوند، ثم الحجابة للموفق العباسيّ، فترك كلَّ شيء وعكف على العبادة، له أشعار سلك بها مسالك الصوفية. توفي في بغداد ستة: 334هـ. الزرالصفدي، **الوافي بالوفيات**، 14 /18. كلي، **الأعلام**، 2 /341. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 11 /544.

العلائق فإنك بأعيننا. وقال ابن عطاء: اخلع نعليك أي: أسقط عنك محل الفصل والوصل، فقد حصلت في وادي المقدس[1]، وهو الذي يُطهِّرك عن الأحوال أجمع، ويَرُدك إلى مُحولها عليك. وقيل: في قوله تعالى: ﴿**بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ أي اطو عنك بساط المخالفات فمن حصل في هذا الوادي طويى عن قلبه ما لا يكون مقدساً، قال ابن عطاء: ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾ انزع عنك قوة الاتصال والانفصال إنك بالوادي المقدس، أي: بوادي الانفراد معي ليس معك أحد سواي [21/ب][2].

قال القرطبي: ويحتمل أن موسى أُمر بخلع نعليه، وكان ذلك أول فرض عليه، كما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ [المدثر: 2إلى5]، والله أعلم بالمراد من ذلك. قال القرطبي: وفي الخبر أنَّ موسى عليه السلام خلع نعليه، وألقاهما من وراء الوادي، وقال أبو الأحوص[3]: زار عبد الله أبا موسى في داره فأقيمت الصلاة، فقال أبو موسى لعبد الله: تقدَّمْ، فقال له عبد الله: تقدم أنت في دارك، فتقدم ونزع نعله، فقال عبد الله: أبالوادي المقدس أنت؟ وفي صحيح مسلم[4]عن سعيد بن زيد قال: « قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي النَّعْلَيْنِ؟

---

[1] السلمي، **حقائق التفسير**، 437/1.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 436/1-437.

[3] هو محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد، أبو عبد الله الثقفي البغدادي أبي الأحوص، قاضي عكبرا، ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، روى عنه ابن ماجه وموسى بن هارون الحافظ وغيرهم. توفي: سنة 279هـ. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 9 /498. الزركلي، **الأعلام**، 7 /132.

[4] هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري. من المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الشام ومصر والعراق طلباً للحديث، وأخذ عن الإمام أحمد بن حنبل، ولازم البخاري واقتفى أثره. من تصانيفه: صحيح مسلم، المسند الكبير مرتب على الرجال، العلل، سؤلات أحمد، أوهام المحدثين. توفي: سنة 261هـ. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 10 /126. الزركلي، **الأعلام**، 7 /221.

قَالَ: نَعَمْ »[1]. ورواه النسائي[2]عن عبد الله بن السائب[3]«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمَ الْفَتْحِ فَوَضَعَ نَعْلَيْهِ عَنْ يَسَارِهِ»[4]. وروى أبو داود[5]من حديث أبي سعيد الخدري[6]رضي الله عنه قال: « بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ ذلك خَلَعُوا نِعَالَهُم، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَراً، وَقَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَراً أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»[7]. صححه أبو محمد بن عبد الحق[8]، وهو يجمع بين الحديثين قبله ويرفع بينهما

---

[1] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعال، 86/1، حديث رقم:286، ومسلم،**صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز الصلاة في النعلين، 391/1، حديث رقم: 555.

[2] هو أحمد بن علي بن شعيب، النسائي الإمام المحدث، أصله من قرية" نسا "بخراسان، جال الأمصار يسمع الحديث ويلقى الشيوخ، ومات في الرملة بفلسطين سنة: 303هـ. من تصانيفه: السنن الكبرى، المجتبى وهو السنن الصغرى، الضعفاء، خصائص علي، فضائل الصحابة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 77/1. الزركلي، **الأعلام**، 171/1.

[3] هو صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، أبو عبد الرحمن القرشي، المخزومي، المكي، مقرئ مكة، وله صحبة ورواية، من صغار الصحابة، قرأ القرآن على أبي بن كعب، وحدث عنه أيضاً، توفي في إمارة ابن الزبير. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 3 /254. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 915/3. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 413/4.

[4] النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المجتبى من السنن = **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**، كتاب القبلة، باب: أين يضع الإمام نعليه إذا صلى بالناس، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406)، 74/2، حديث رقم:776. وأخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد**، مسند المكيين، عبد الله بن السائب، 113/24، حديث رقم: 15392، صحيح.

[5] هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه، من أصحاب الإمام أحمد. روى عنه المسائل، توفي في البصرة سنة: 275هـ. من مصنفاته: السنن، المراسيل، البعث. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 196/4. الزركلي، **الأعلام**، 122/3.

[6] هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، من صغار الصحابة. وهو من المكثرين للرواية، ممن بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا تأخذهم في الله لومة لائم. شهد الخندق وما بعدها. توفي: سنة 74هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 151/6. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 602/2. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 322/17.

[7] أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، (بيروت: الكتبة العصرية، ط1، 1430هـ)، 175/1، حديث رقم:650/، صحيح.

[8] هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي ابن الخراط، الفقيه الحافظ، عالم بالحديث وعلله، من تصانيفه: المعتل من الحديث، الرقاق، الأحكام الصغرى، الأحكام الوسطى. توفي سنة: 581هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 368/15.

التعارض، ولم يختلف العلماء في جواز الصـــلاة في النعال إذا كانت طاهرة مذكى، حتى لقد قال بعض العلماء: الصـلاة فيهما أفضـل[1]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْـجِدٍ**﴾ [الأعراف: 31]، على ما تقدم. وعن إبراهيم النخعي[2]في الذين يخلعون نعالهم: وددتُّ أنَّ محتاجاً جاء وأخذها[3]. قال القرطبي [22/أ] فإنْ خلعتهما فاخلعهما بين رجلك، فإنَّ أبا يزيد[4] قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «إِذَا صَـلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَخْلَعْ نَعْلَيْهِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ»[5]، وقال أبو هريرة لِلْمَقْبُرِيِّ: «اخْلَعْهُمَا بَيْنَ رِجْلَيْكَ وَلَا تُؤْذِ بِهِمَا مُسْلِماً»[6]، وما رواه عبد الله بن السائب«أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَلَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ»[7]فإنَّه كان إماماً، فإن كنتَ إماماً، أو وَحْدك فافعل ذلك إنْ أحببت، وإن كنت مأموماً في الصـــف، فلا تؤذ بهما من على يســـارك، ولا تضـــعهما بين قدميك فيشـــغلاك، ولكن قُدَّام قدميك، وروي عن جبير بن

---

[1] قال الشـوكانيّ: حديث: "خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصـلون في نعالهم، ولا في خفافهم" أقلُّ أحواله الدلالة على الاسـتحباب. محمد بن علي بن آدم بن موسـى الإتيوبي الولوي، **البحر المحيط الثجاج في شـرح صـحيح الإمام مسـلم بن الحجاج**، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ)، 392/12.

[2] هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأســـود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن ســـعد بن مالك النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام، إمام، حافظ، فقيه العراق، كان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، توفي سنة: 96هـ. محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبير**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1421هـ)، 401/8. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 520/4.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 174/11.

[4] لدى القرطبي: "أبو هريرة". **المصدر نفسه**.

[5] أخرجه الحاكم على شرط البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الطهارة، 391/1، حديث رقم: 957.صحيح.

[6] أخرجه أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، **الضعفاء الكبير**، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ط1، 1404هـ)، باب العين، عبد الله بن زياد بن سليمان، 261/2.

[7] أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند المكيين، عبد الله بن السائب، 113/24، حديث رقم: 15392. وأبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، 175/1، حديث رقم: 648، صحيح.

مطعم[1] أنَّه قال: وَضْـعُ الرجل نعليه بين قدميه بدعة[2]، قال القرطبي: فإنْ تحقق فيهما نجاسـة مجمع على تنجسـها، كالدم والعذرة من بول بني آدم لم يُطهرها إلا الماء عند مالك والشـافعي[3]وأكثر العلماء[4]، وإن كانت النجاسـة مختلفاً فيها، كبول الدواب وأرواثها الرطبة، فهل يطهرها المسـح بالتراب من النعل والخف أم لا؟ قولان عندنا[5]، وقال أبو حنيفة[6]رحمه الله: يزيله الحك والفرك، والرطب لا يزيله إلا الغَسـل، ما عدا البول فلا يجزئ فيه عنده إلا الغَسلُ[7]، وقال الشافعي: لا يطهر شيء من ذلك كله إلا بالماء[8]. انتهى كلام

---

[1] هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا محمد، وقيل أبا عدي. كان من علماء قريش وسـادتهم ونسَّـاباتهم، كان يقول: "أخذت النسـب عن أبي بكر الصـديق رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ"، أسـلم بين الحديبية والفتح، وله 60 حديثًا. توفي سـنة: 58هـ. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 570/1. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 515/1. الزركلي، **الأعلام**، 112/2.

[2] يحتمل أن تكون السنة لبسهما حالَ الصلاة كما كان النبي –صلى الله عليه وسلم –يفعل أحياناً، ويحتمل أنَّ السنة وضعهما أمام القدمين لا بينهما. ابن السبكى الزبيدي العِراقي، **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، (الرياض: دار العاصـمة للنشـر، ط1، 1408هـ)، 458/1، برقم: 525.

[3] هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شـافع بن السـائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشـم بن عبد المطلب بن عبد مناف، أبو عبد الله الشـافعي. أحد أئمة المذاهب الأربعة. قال عنه الإمام أحمد: " ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشـافعي عليه منة "، توفي في مصـر سـنة: 204 هـ. من تصـانيفه: الأم في الفقه، الرسـالة في أصـول الفقه، أحكام القرآن، اختلاف الحديث، وغيرها. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 265/1. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، 192/1، الزركلي، **الأعلام**، 26/6.

[4] أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم–**،(لندن: مؤسـسـة الفرقان للتراث الإسـلامي، ط1، 1439هـ)، 217/6. أبو عمر يوسـف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصـم النمري القرطبي، **الاستذكار**، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1، 1421)، 171/1.

[5] ويقصد بها لدى مذهب المالكية، لأنَّ المسألة منقولة عن النقرضبي، وهو مالكي المذهب. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ)، 154/1.

[6] هو النعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز، أحد أئمة المذاهب الأربعة، قيل: أصـله من أبناء فارس، ولد ونشـأ بالكوفة، كان يبيع الخز ويطلب العلم، ثم انقطع للدرس والإفتاء. قال فيه الإمام مالك: رأيت رجلا لو كلمته في هذه السـارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته، وقال الإمام الشـافعي عنه: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. من تصـانيفه: مسـند في الحديث، المخارج في الفقه، وتنسـب إليه رسـالة الفقه الأكبر في الاعتقاد، رسـالة العالم والمتعلم. توفي: سـنة 150هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 405/5. الصـفدي، **الوافي بالوفيات**، 89/27. ابن أبي الوفاء، **الجواهر المضية**، 26/1. الزركلي، **الأعلام**، 36/8.

[7] كمال الدين محمد بن عبد الواحد السـيواسـي ثم السـكندري، المعروف بابن الهمام الحنفي، **فتح القدير على الهداية**، (القاهرة: مطبعة مصـفى البابي الحلبي وأولاده بمصـر، ط1، 1970م)، 195/1. عبد الله بن محمود بن مودود الموصـلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضـل الحنفي، **الاختيار لتعليل المختار**، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ط1، 1937م)، 33/1.

[8] أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، (جدة: دار المنهاج، ط1، 1421هـ)، 97/2. أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ)، 217/6.

القرطبي[1]. ﴿**إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ**﴾ [طه: 12] المطهَّر أو المبارك. قال القرطبي: والأرض المقدسة المطهرة سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ الله أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين. قال القرطبي: وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض، ولبعض الحيوان كذلك، ولله أن يفعل ما يشاء، وعلى هذا فلا اعتبار بكونها مقدسة بإخراج [22/ب] المشركين، وإسكان المؤمنين فقد شاركه في ذلك غيره[2]. ﴿**طُوىً**﴾ [طه: 12] حيث كان منونٌ شامي[3]وكوفي[4]، لأنَّه اسم علم للوادي، وهو بدل، وغيرهم[5]بغير تنوين بتأويل البقعة، وقرأ أبو زيد[6]بكسر الطاء بلا تنوين[7]. قال الجوهري[8]: وطوى: اسم موضع بالشام تُكسَر طائه وتُضم، يُصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان، وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة، وجعله معرفة، وقالوا في قوله: ﴿الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ طُوِيَ مرتين، أي: قدِّس. وقال الحسن: ثُنِّيت فيه البركة والتقديس مرتين، أي: قُدِّسَ الوادي كرة بعد كرة[9].

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 174/11.

[2] المصدر نفسه، 175/11.

[3] هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر، أبو عمران، الشامي، اليحصبي، أحد القراء السبعة، كان إمام الشام في القراءة، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بها، وكان إمام الجامع بدمشق، أخذ القراءة عرضا عن أبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب وغيرهما. توفي: سنة 118هـ. ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، 423/1. الزركلي، **الأعلام**، 95/4.

[4] المقصود بكوفي: عَاصِم وَحَمْزَة والكسائى. أبو بكر البغدادي، **السبعة في القراءات**، 671.

[5] أي: ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو. المصدر نفسه.

[6] هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري أبو زيد، نحوي ولغوي، من تصانيفه: لغات القرآن، اللَّامات، الجميع والتثنية، النوادر، غريب القرآن. توفي سنة: 215. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 4 /3. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 125/15. الزركلي، **الأعلام**، 92/3.

[7] عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، **جامع البيان في القراءات السبع**، (الإمارات: جامعة الشارقة، ط1، 1428)، 1687/4. أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، **كتاب السبعة في القراءات**، 417.

[8] هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، لغوي، ومن أشهر كتبه "الصحاح". وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أول من حاول الطيران، ومات في سبيله سنة: 393هـ. الزركلي، **الأعلام**، 313/1.

[9] الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 2416/6.

وذكر المهدوي عن ابن عباس رضـي الله عنهما أنَّه قيل له: طِوَى؛ لأنَّ موسـى طواه بالليل، فكان المعنى: بالوادي المقدس الذي طويته طيًّاً، أي: قطعته حتى ارتفعت إلى أعلاه[1].

﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**﴾ [طه: 13] اصطفيتك للنبوة والرسالة، ﴿**وَإِنَّا اخترناك**﴾ حمزة[2]، قال النسفي: معناه اخترتك للرسالة، والكلام المخصوص لك، وهذه الآية تدلُّ على أنَّ ذلك المنصب العالي إنما حصل؛ لأنَّه تعالى اختاره له ابتداء[3]، وقال السلمي في تفسيره: قال الواسطي: قوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ المختار من جهة من هو مصطنعه ومصطفيه ومربيه على يدي أعدائه، والملقي محبته في قلوب عباده، فلم يستطيعوا له إلا محبة، والمطلق لسانه بحل العقدة والميسر له أمره، فلا يعسر عليه مطلوب بحال، كل هذا يُقدَّم إليه ويُمَنّ به عليه؛ ليكون ثابتاً عند مكافحة الخطاب ومواجهة الوحي والكلام[4].﴿**فَاسْـتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه: 13] إليك، ما: موصـولة، أي: للذي يوحى، أو مصـدرية، أي: للوحي، واللام تتعلق"باسـتمع"، أو "باخترتك"، قوله: ﴿**فَٱسْـتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ**﴾ [طه: 13]، نهاية الهيبة والجلالة، كأنَّه قال: لقد جاءك أمر عظيم، نهاية الرجاء، ومن الثاني نهاية الخوف، قاله البرهان النسـفي[5]. وقال في التحرير: قوله: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه: 13] تقرير الكلام: وأنا اخترتك لوحيي ورسالتي فاستمع لما يوحى إليك من كلامي. قال ابن عطية[6]: وحدثني أبي رحمه الله قال: سمعت أبا الفضل الجوهري[7] رحمه الله يقول:

---

[1] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 280/18.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 417.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/19.

[4] السلمي، **حقائق التفسير**، 437/1.

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 19/22.

[6] هو عبد الحق بن غالب بن عطية، أبو محمد المحاربي، من أهل غرناطة. أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، عالماً بالأحكام والحديث والتفسير، من تصانيفه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. توفي: سنة 542هـ. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات **المفسرين العشرين**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1396هـ)، 60/1. الزركلي، **الأعلام**، 282/3.

[7] لم أقف عنده.

لما قيل لموسى عليه السلام: استمع لما يوحى وقف على حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفاً[1]. قال القرطبي: حُسْنُ الاستماع كما يُحِبُّ الله قد مدحه الله تعالى فقال: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ**﴾ [الزمر: 18]، ولذلك ذمّ على خلاف هذا الوصف فقال: ﴿**نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ**﴾ [الإسراء: 47] الآية. فمدح المنصِتَ لسماع كلامه مع حضور العقل، وأمر عباده بذلك أدباً لهم فقال: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا**﴾ [الأعراف: 204]، وقال هنا: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ لأنَّ بذلك يُنال الفهم عن الله تعالى، روي [23/أ] عن وهب بن منبه أنَّه قال: من أدب الاستماع سكونُ الجوارح وغضُّ البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يُشغِلها بغيره، فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم، وقال سفيان بن عيينة[2]: أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العلم، ثم النشر[3]، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب وجعل له في قلبه نوراً. انتهى كلام القرطبي[4]. ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ [طه: 14] وحّدني وأطعني، وقد جاءت العبادة بمعنى التوحيد في قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ معناه ليوحدون.

---

[1] ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ)، 39/4.

[2] هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد، الهلالي، الكوفي. سكن مكة، أحد الثقات الأعلام، أجمعت الأمة على الاحتجاج به. وكان يدلس، لكن المعهود منه أنه لا يدلس إلا عن ثقة. وكان قوي الحفظ ، وقال الشافعي : ما رأيت أحدا من الناس فيه جزالة العلم ما في ابن عيينة ، وما رأيت أحدا فيه من الفتيا ما فيه ولا أكفَّ عن الفتيا منه، توفي سنة: 198هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 391/2.

[3] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، باب: الإنصات للعلماء، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، 217/1.البيهقي، **شعب الإيمان**، فصل: قال: وينبغي لطالب العلم أن يكون تعلمه وللعالم أن يكون تعليمه لوجه الله تعالى، 289/2، رقم: ١٧٩٧.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 176/11. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 170/2.

قال صـــاحب التحرير: وقوله: ﴿**فَاعْبُدْنِي**﴾ لفظ عام يتناول جميع ما كلفه الله به من عبادته، فبدأ منها بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لأنَّها أفضلُ الأعمال إلى الله وأحبها له وأنفعها للعبد في الآخرة[1].

قال البرهان النسفي: وقوله: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ يدلُّ على أنَّ علم الأصول مقدَّم على علم الفروع إذ التوحيد من الأصـول والعبادة من الفروع، وأيضـاً الفاء في قوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ تدل على أنَّ عبادته لازمة لإلهيته، أمره بالتوحيد أولاً، ثم بالعبادة ثانياً، ثم بالصـــلاة ثالثاً، أمره بالعبادة ولم يبين كيفية العبادة، وأمر بالصـــلاة ولم يبين كيفيتها، وهذا يدلُّ على أنَّ تأخير البيان عن الخطاب جائز [23/ب].

قال القاضي: لا يمتنع أنَّ موسى عليه السلام قد عرف الصلاة، وهي الصلاة التي أمر الله تعالى بها شعيباً وغيره من الأنبياء، والجواب: أنَّ حمل مثل هذا الخطاب العظيم على فائدة جديدة أولى من حمله على الذي كان من قبل[2]. قال السـلمي: قوله: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا**﴾ قال الواسـطي: لا تشـغِل قلبك بغيري قولاً وفعلاً، ولا تكن من أبناء الأفعال والإحصـــاء والأعمار والدهور، كن من أبناء الأزل والأبد مطالعاً لما ســبق في الأولية، وجرى لك في الآخرية، وإن كان كلاهما واحداً. وقال ابن عطاء: إشـــارة إلى حقيقة الحق، إذ الأزل والأبد علة، وذكر الأوقات والدهور علة. وقال الواسطي: أظهر الله تعالى هذا الخلق في شموخ وعلو في أنفسـهم، وأمرهم لعلّة الفاقة لا لعلة الاستغناء، تنسُّماً لرؤية الاضـطرار، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ أَحبَّ أن يريه عجزه. قيل للواسـطي: بالعبرانية خاطب موسـى، ثم وصــف لمحمد صــلى الله عليه وســلم بقوله: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾، هل تَلَوَّنَت الصــفة بذلك؟ قال: لو لوَّنَتْها اختلاف اللغات لتلونت في اختلاف الأوامر والنواهي. وقال الحسن: لا إله إلا الله تنظيف البشــر عن الآلهة، وإذا خلا الســر عن تعظيم غيره فلا وجه لهذا القول. وقال الواســطي في هذه

---

[1] لم أجده.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 18/22-19.

الآية: ابتدأه بالتوحيد وخَتَم بلســـان الطاعة. انتهى كلام الســـلمي[1]، وفي التحرير: قال: أولاً: أنا ربك، وثانياً: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ**﴾ لتوكيد المضمر توكيداً للربوبية، وتحقيقاً للألوهية، وبياناً للوحدانية. انتهى[2].

﴿**وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: 14] أي: لِتَذكُرَني فيها؛ لاشـتمال الصـلاة على الأذكار، أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، أو لذكري خاصة [24/أ] لا تشوبه بذكر غيري، أو لتكون لي ذاكراً غير ناسٍ، أو لأوقات ذكري، وهي مواقيت الصـــلاة، كقوله: ﴿**إِنَّ الصَّـــلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾ [النســاء: 103]، وقد حمل على ذكر الصـلاة بعد نسـيانها، وذا يصـح بتقدير حذف مضـاف، أي: لذكر صـلاتي، لقوله صـلى الله عليه وسـلم: « مَنْ نَامَ عَنْ صَـلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: 14] » رواه مالك وغيره[3]، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: في الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال: «كَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَـلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»[4]، وروى الدارقطني عن أبي هريرة عن النبي صـلى الله عليه وسـلم قال: «مَنْ نَسِـيَ صَـلَاةً، فَوَقْتُهَا إِذَا ذَكَرَهَا»[5]، وقوله: "لِيُصَـلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا" دليل على وجوب القضـاء على النائم والغافل كثرت الصـلاة أو قلّت، وهو مذهب عامة العلماء، وقد حكي خلاف شـاذ لا يعتد به[6]، أنَّ ما زاد على

---

[1] السلمي، **حقائق التفسير**، 437/1-438.

[2] لم أجده.

[3] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، **موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني**، أبواب الصلاة، باب: الرجل ينسى الصلاة أو تفوته عن وقتها، (بيروت: المكتبة العلمية، ط2)، 78، حديث رقم: 184. مسلم، صحيح **مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، 471/1، حديث رقم: 680.

[4] النسائي، **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**، باب: فيمن نام عن الصلاة، 293/1، حديث رقم:614. أحمد، **مسند الإمام أحمد**، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، 34/19، حديث رقم:11972. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[5] أخرجه الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، **سنن الدارقطني**، كتاب الصلاة، باب: وقت الصلاة المنسية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1424 هـ)، 298/2، حديث رقم:1565. وأخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **السنن الكبرى**، أَبْوَابِ صِفَةِ الصَّلَاةِ، باب: باب لا تفريط على من نام عن صلاة...، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، 1424 هـ).310/2، حديث رقم:3183، ضعيف.

[6] وهم بعض الظاهرية.

خمس صلوات لا يلزمه قضاؤه[1]. قال القرطبي: أمر تعالى بإقامة الصلاة، ونصَّ على أوقاتها معينةً، فقال: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ [الإسراء: 78] الآية، وغيرها من الآي، ومن أقام بالليل ما أُمر بإقامته بالنهار أو بالعكس، لم يكن فعله مطابقاً لما أمر به، ولا ثواب له على فعله، وهو عاص، وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فات وقته، ولولا قوله صلى الله عليه وسلم: « لْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» لم ينتفع أحد بصلاة وقعت في غير وقتها، وبهذا الاعتبار كانت قضاء لا أداء؛ لأنَّ القضاء بأمر متجدد وليس بالأمر الأول، فأمَّا من ترك الصلاة متعمداً[2] فالجمهور على وجوب القضاء عليه[3]، وإن كان عاصياً، إلا عند داود[4]. قال القرطبي: وقوله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن صلاة أو نسيها» الحديث يخصُّ عموم [24/ب] قوله صلى الله عليه وسلم: « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»[5]والمراد بالرفع هنا رَفع المأثم لا رَفع الفرض عنه، وليس هذا من باب قوله: وعن الصبي حتى يبلغ، وإن كانا جاءا في أثر واحد فقف على هذا الأصل، انتهى كلام القرطبي[6]. وقال صاحب التحرير: اختصت الصلاة بالذكر دون سائر

---

[1] أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، (القاهرة: دار الحديث، بدون طبعة، 1425هـ)، 192/1.

[2] الفرق بين المتعمد والنائم، حط الإثم عن الناسي، المتعمد مأثوم، وجميعهم قاضون، ودليل الجمهور قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 43]، ولم يفرق أن يكون في وقتها أو بعدها. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 178/11-179.

[3] أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، **المجموع شرح المهذب**، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، بدون طبعة، 1347هـ)، 71/3. محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين المعروف بـ «بدر الدين العيني»، **البناية شرح الهداية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ)، 582/2. أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، **بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير**، (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1952م)، 131/1. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، **المغني**، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ط1، 1388هـ)، 439/1.

[4] هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري، ينسب إليه مذهب الظاهرية، كان موصوفاً بالزهد والورع، أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور والشافعي وغيرهم، وافته المنية في بغداد سنة: 270 هـ. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 115/2. القرطبي، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، 192/1. الزركلي، **الأعلام**، 333/2.

[5] أخرجه أبو داوود، **سنن أبو داود**، كتاب الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا، 139/4، حديث رقم: 4398. وأخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب: الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، 32/4، حديث رقم: 1423، صحيح.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 178/11.

العبادات؛ لأنَّها أفضـــلها، وأوَّل ما يحاســـب العبد عليها، ولا يســـقط أداؤها بحال، ولأنَّها جمعت جميع عبادات الملائكة، ولأنَّ المصلي يناجي ربه، وأمور أخر يتميز بها على سائر الطاعات. انتهى[1].

﴿**إِنَّ السَّـــاعَةَ آتية**﴾ [طه: 15] لا محالة ﴿**أَكَادُ**﴾[2] [طه: 15] أريد، قاله الأخفش. وقيل: صـلة، أي: السـاعة آتية أخفيها ﴿**أُخْفِيهَا**﴾ [طه: 15] قيل: هو من الأضـداد أي: أظهرها، أو معناه: أســـترها عن العباد، فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة، وهي أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم، كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرتك به، قال الزمخشـــري: وقيل: معناه: أكاد أخفيها من نفســـي، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف، ومحذوفٌ لا دليل عليه مُطَّرَحٌ، والذي غرَّهم منه أنّ في مصـــحف أُبَيّ[3]: "أكـاد أخفيهـا من نفســـي"، وفي بعض المصاحف: "أكاد أخفيها من نفسي، فكيف أظهركم عليها"[4]. قال في التحرير: الساعة هاهنا يوم القيامة

---

[1] لم أجده.

[2] ذكر في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: ذكر ابن جرير أنَّ المراد أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليه أحد، وقال: أنه قول أكثر أهل العلم وهو الراجح لديه، وضعفه الزمخشري؛ لأنَّه لا دليل على المحذوف (من نفسي). القول الثاني: ذكر الزمخشري: أنها من الأضداد والمعني أكاد أظهرها، وقد ذكره ابن عطية والرازي زالقرطبي، وضعفه ابن جرير. القول الثالث: ذكره الرازي والقرطبي والبغوي: أن أكاد: بمعنى أريد أخفيها، وقد ضعفه ابن جرير. القول الرابع: أن الخبر في هذه الآية ينتهي عند قوله تعالى: أكاد، ثم ابتدأ بقوله تعالى: أخفيها، وعليه يكون المعنى: ولكنني أخفيها، وقد ضـــعف هذا القول ابن جرير والرازي وغيره. القول الخامس: أكاد تأتي بمعنى الصـلة، وهي زائدة، وقد ذكره الرازي والقرطبي وغيرهم. القول السـادس: المعنى: أكاد اخقيها فلا أخبر أنها واقعة لفرط إرادتي اخفاءها، وقد رجح هذا القول ابن عطية، وذكره الزمخشـــري وغبره ووهو الراجح والله واعلم، وذلك؛ لأن الله تعالى ذكر الســـاعة في هذه الآية ولم يذكر الوقت، وعليه يكون المعنى كما ذكر والله اعلم. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 182/11. البغوي، **معالم التنزيل**، 258/3. .ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيز**، 355/2. لرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/2. الزمخشري، **الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 55/3. أبو السعود، **إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 8/6.

[3] أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، كان قبل الإسـلام حبرا من أحبار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصـلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشـترك في جمعه، مات سـنة: 21هـ. ابن سـعد، **الطبقات الكبير**، 378/3. الزركلي، **الأعلام**، 82/1.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 56/3.

بلا خلاف، وإنما سمي يوم القيامة ساعة لسرعة الفراغ من الحساب والقضاء، وقد جرت عادة العرب بالتعبير عن الواقع بالوقوع في ساعة، وأراد زمان الوقوع على ساعة زمانية، وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها أنَّه تعالى لما خاطب موسى بقوله: ﴿**فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: 14]، أتبعه بقوله: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ [طه: 15] وما أليَق هذا بتأويل من تأوَّل قوله: ﴿**لِذِكْرِي**﴾ أي: [25/أ] لأذكُرَك بالإنابة والكرامة، فقال عقِبَهُ: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**﴾ لأنَّها وقت الإنابة ووقت المجازاة. انتهى[1]. قال القرطبي: قيل: معنى قول من قال: "أكاد أخفيها من نفسي"، أي: إنَّ إخفاءها كان من قِبَلِي ومن عندي، لا من قبل غيري. انتهى[2]. قال الإمام فخر الدين: فإن قلتَ: ما الحكمة في إخفاء الساعة وإخفاء وقت الموت؟ الجواب عنه: بأنَّه تعالى وعد قبول التوبة، فلو عُرِف وقت الموت لاشتغل بالمعصية إلى قريب من ذلك الوقت، فتعريف وقت الموت كالإغراء لفعل المعصية، وهو لا يجوز. انتهى[3]. ﴿**لِتُجْزَى**﴾ [طه: 15] اللام متعلقة بـ ﴿**آتِيَةٌ**﴾ إنَّه تعالى لما حَكَمَ بمجيء يوم القيامة ذكر الدليل عليه وهو أنَّه لولا القيامة لما تميَّز المطيع عن العاصي، والمحسن عن المسيء ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [طه: 15] بسعيها من خير أو شر ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ**﴾ [طه: 16] خطاب لموسى عليه السلام، والمراد: أتباعه على قول جمهور المفسرين. وحكى النَّقَّاش[4]: أنَّه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه بُعد. وأمَّا الضمير في قوله: ﴿**عَنْهَا**﴾ [طه: 16] وفي قوله: ﴿**بِهَا**﴾ على ماذا يعود؟ فيه أقوال، قيل: على الساعة وهو الذي يدل عليه سياق الآية، أي: فلا يصرفنَّك عن العمل للساعة، وقيل: عائد على الصلاة في قوله: ﴿**أقم**

---

[1] لم أجده.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 185/11.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/22.

[4] هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المعروف بالنقَّاش، الموصلي الاصل البغدادي المولد والمنشأ، كان عالماً بالقرآن والتفسير، وقال البرقاني: كل حديث النقاش مناكير، وليس في تفسيره حديث صحيح. من مصنفاته: سماه شفاء الصدور، الإشارة في غريب القرآن، والموضح في القرآن ومعانيه /د العقل، المناسك، فهم المناسك، أخبار القصاص. توفي سنة: 351هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 298/4. الذهبي، **ميزان الاعتدال**، 520/3. الزركلي، **الأعلام**، 81/6.

الصـــلاة لذكري﴾، فعلى الأوَّل يكون المراد بذلك منكري الســـاعة، وعلى الثاني منكري دين الإســـلام وشرائعه؛ لأنَّها التي تحصل بسببها الجزاء في يوم الساعة بدليل قوله: ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [طه: 15] والصلاة أكبر المساعي. وقيل: المعنى: فلا يصدنَّك عن الإيمان بالقيامة ﴿**مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا**﴾ [طه: 16] لا يصدق بها. قال النسفي: المقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث، ولكنَّ ظاهر اللفظ [25/ب] يقتضي نهي من لم يؤمن عن صدِّ موسى عليه السلام، والآية تدل على أنَّ تعلم الأصول واجب لأنَّ قوله: ﴿فَلَا يَصُـدَّنَّكَ﴾ يرجع معناه إلى صـلابته في الدين، وتلك الصـلابة إنْ كان المراد بها التقليد لم يتميز المبطل فيه من المحق، فلا بدَّ أنْ يكون المراد بها كونه قوياً في تحقيق الأحكام الدينية، وتقرير الدلائل عليها[1]. ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ [طه: 16] في مخالفة أمره يعني هوى نفســـه، وهوى النفس مقصـــور وتثنيته هويان، وكتابته بالياء، وأمَّا الذي بين الفضاء ممدود وتثنيته هواءان، وكتابته بالألف، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ إنكارهم للساعة أو للصلاة إنما كان من قِبَلِ أنفسهم. وقيل: أغراضهم لا بدليل قام عليه ولا لحجة اتضـــحت، وهذا من أعظم الدلائل على فســـاد التقليد لأنَّ المقلد متَّبعٌ للهوى لا للحجة[2]. ﴿**فَتَرْدَى**﴾ [طه: 16] فتهلك هو منصـوب جواب النهي، والردى الهلاك، أي: فتردى إن صـدُّوك فقبلت فليس إلا الهلاك بالنار. قال في التحرير: وليس موسى عليه السلام مراداً بمضمون هذا الخطاب لأنَّ منصبه وعصمته لا يليق معها أن يوصـف بهذا الوصـف، والخطاب إذا ورد على من ليس أهلاً له انصـرف إلى من هو له أهل، فعلى هذا يكون المراد بالآية أمته صلى الله عليه وسلم، وهذا مثلُ قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿**لَئِنْ أَشْـــرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: 65]، الخطاب للنبي، والمراد أمته[3]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أن المتوغلين في أســرار المعرفة قالوا: المقام على قســمين: أحدهما: مقام المحو والفناء عما ســوى الله

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 18/22.

[2] **المصدر نفسه**، 23/22.

[3] لم أجده.

تعالى. والثاني: مقام البقاء والأول مقدم على الثاني؛ لأنَّ من أراد أن يكتب شيئاً في لوح مشغول بكتابة أخرى لا يمكنه إلا بإزالة تلك الكتابة، والحق سبحانه راعى [26/أ] هذا الترتيب الحسن في هذا الباب؛ لأنَّه تعالى قال لموسى أولاً: ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾، وهذا إشارة إلى تطهير السرِّ عما سوى الله، ثم بعد ذلك أمره بتحصيل ما يجب تحصيله، وأصول هذا الباب ترجع إلى ثلاثة: علم المبدإ، وعلم الوسط، وعلم المعاد، فعلم المبدإ: هو معرفة الحق سبحانه، وهو المراد بقوله: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا**﴾[طه: 14]، وأما علم الوسط: فهو علم العبودية وهو الأمر الذي يجب أن يشتغل به الإنسان في هذه الحياة الجسمانية، وهو المراد بقوله: ﴿**فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[طه: 14]، فقوله: ﴿**فاعبدني**﴾ إشارة إلى الأعمال الجسمانية، وقوله: ﴿**لِذِكْرِي**﴾ إشارة إلى الأعمال الروحانية، وأما علم المعاد فقوله: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**﴾. ثم اعلم أنَّه تعالى افتتح هذه التكاليف بمحض اللطف، وهو قوله: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ**﴾، واختتمها بمحض القهر، وهو قوله: ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا**﴾ تنبيهاً على أنَّ رحمته تعالى سبقت غضبه، وإشارة إلى أنَّ العبد لا بُدَّ له في العبودية من الرغبة والرهبة والرجاء والخوف، وعند الوقوف على هذه الجملة يعرف أنَّ هذا الترتيب في غاية الحسن، وأنَّ ذلك لا يتأتى إلا من العالم بجميع المعلومات. انتهى كلام الإمام فخر الدين[1].

﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى**﴾ [طه: 17] ما: مبتدأ، وتلك خبره، وهي بمعنى هذه، وبيمينك حال عمل فيها معنى الإشارة، أي: قارة أو مأخوذة بيمينك، أو تلك موصول صلته بمينك[2]. اعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ**﴾ إشارة إلى العصا، وقوله: ﴿**بِيَمِينِكَ**﴾ إشارة إلى اليد، وفيه نكت، منها: أنَّه تعالى [26/ب] لما أشار إليها جعل كل واحد منهما من-العصا واليد -معجزاً قاهراً وبرهاناً باهراً، ونقله من

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/ 23-24.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض** التنزيل، 110/4.

حد الجمادية إلى مقام الكرامة، والله سبحانه ينظر إلى قلب العبد كل يوم ثلاثمئة وستين مرة، فأيُّ عجب لو صار القلب العاصي بنظر واحد مطيعاً. ومنها: أنَّ العصا كانت في يمين موسى، فببركة يمينه انقلبت ثعباناً وبرهاناً، وقلبُ المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، فلا يبعُدُ أن ينقلب من ظلمة التمرد إلى نور التعبد. ثم هنا سؤالان: السؤال الأول: قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ استفهام، والاستفهام إنما يكون لطلب الفهم وذلك على الله محال، والجواب: أنَّ هذا الاستفهام معناه التقرير والإيناس والإفهام، لا سؤال استكشاف ولا استعلام؛ لأنَّ موسى يعلم ما هي والله أعلم بحقيقتها. وقيل: استفهام معناه التقرب والتعجب، والمعنى: ما التي هي كائنة في يمينك؟. وقيل: إنَّه سؤال توطين وتسكين، لئلا يهوله انقلابها حيَّة[1]. وقال حافظ الدين في المدارك: والسؤال للتنبيه؛ ليقع المعجز بها بعد التثبت منها، أو للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية، أو للإيناس ورفع الهيبة في المكالمة، انتهى[2]. قال في التحرير والتحبير: وفي المعنى الذي سأله الله تعالى عنها وهو أعلم وجوه: الأول: أن يقرر المخاطب به ليقيم الحجة عليه، ويؤاخذه بإقراره، ولا يمكنه بعد ذلك إنكاره، ومثل هذا أن تقول لصاحبك: ما في وعائك؟ فيقول: ماء، فلا يمكنه بعد ذلك أن يقول غير ماء، فعلى هذا تكون الفائدة أنَّه قرَّر موسى أنها عصا لما أراد ربه من قدرته في انقلابها حية، [27/أ] فوقع المعجز هنا بعد التثبت في أمرها. الثاني: أنَّه لما اطَّلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يؤانسه لمخاطبته ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، وهذا القول ضعيف؛ لأنَّ الله تعالى آنسه في ذلك بقوله: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ [طه: 11-12] إلى قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه: 17] فذلك كاف في التأنيس. الثالث: من أراد أن يظهر من الشيء الحقير

---

[1] بتصرف لدى الرازي، **مفاتيح الغيب**، 24/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 360/2.

شيئاً شريفاً فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين، ويقول لهم: هذا ما هو؟ فيقولون: ذلك الشيء الفلاني، ثم إنَّه بعد إظهار صنعته الفائقة يقول لهم: خذوا منه كذا وكذا، فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة،-كانقلابها حية وضربها البحر حتى انفلق- عرضه أولاً على موسى عليه السلام، وكأنه قال: يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي في يدك؟ فإنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنَّه قلَبَه ثعباناً عظيماً، فيكون بهذا الطريق قد نبَّه العقول على كمال قدرته ونهاية حكمته، من حيث إنَّه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده. الرابع: أنَّه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار الصاعدة من الأرض إلى السماء، وأسمعه تسبيح الملائكة، ثم أسمعه كلام نفسه، ثم مزج اللطف بالقهر تَلَطُّفَهُ بقول: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**﴾، ثم قهره بإيراد التكليف الشاق عليه، وإلزامه على المبدإ والوسط والمعاد، ثم ختم الكل بالتهديد العظيم، فقال: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**﴾ فتحيَّر موسى عليه السلام ودَهشَ، فلمَّا غلبت الحيرة [27/ب] والدهشة عليه تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الحيرة والدهشة، فقال: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾. الخامس: أنَّه تعالى لما عرَّف موسى كمالَ الهيبة أراد أن يعرفه نقصان البشرية، فسأله عن منافع العصا، فذكر بعضها، فعرَّفه الله تعالى أنَّ فيها من المنافع أعظم مما ذكرت، تنبيهاً على أنَّ العقولَ قاصرةٌ عن معرفة خواص الشي. السادس: فائدة هذا السؤال أن يقرر عليه أنَّ العصا خشبة، حتى إذا قلبها ثعباناً لا يخافها. السؤال الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾ خطاب من الله تعالى مع موسى بلا واسطة، ولم يجعل ذلك لمحمد، فيلزم أن يكون موسى أفضل من محمد! والجواب: أنَّه تعالى كما خاطب موسى عليه السلام فقد خاطب محمداً صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ إلا أنَّ الفرق بينهما أنَّ الذي ذكره مع موسى أفشاه إلى الخلق، والذي ذكره مع محمد كان سرَّاً لم يستأهل له أحد من الخلق[1]. قال القرطبي: قيل: كان قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾ خطاباً من الله لموسى وحياً؛ لأنَّه

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 27.

قال: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾، ولا بدَّ للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه، فأراه في العصا وفي نفسه ما أراه لذلك، ويجوز أن يكون ما أراه من الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد وبرهاناً يلقى بها قومه، وفي بعض الآثار أنَّ الله تعالى عتب على موسى إضافة العصا إلى نفسه في الموطن، فقيل له: أَلقها لترى منها العجب، فتعلم أنَّه لا ملك لك عليها، ولا تضاف إليك. انتهى كلامه[1]. [28/أ] ثم إنَّه تعالى لما سأل موسى عن ذلك، أجاب موسى عليه السلام بأربعة أشياء، ثلاثة على التفصيل، وواحدة على الإجمال، الأول قوله: ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ**﴾ [طه: 18] ثم إنَّه عليه السلام لما قال: "هي عصاي"، قال تعالى: ﴿**أَلْقِهَا**﴾، فلمَّا ألقاها فإذا هي حية تسعى، ليعلم أنَّ كلَّ ما سوى الله تعالى، فالالتفات إليه شاغلٌ، وهو كالحية المهلكة لك، ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الشعراء: 77]، وأيضاً أنَّه عليه السلام لما قال: ﴿**هِيَ عَصَايَ**﴾ فقد تمَّ الكلام، إلا أنَّه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر؛ لأنَّه كان يحب المكالمة مع ربه. الثاني: قوله: ﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**﴾ [طه: 18]، أعتمد عليها إذا أُعييت أو وقفت على رأس القطيع، وعند الطفرة، أي: الوثبة. الثالث: قوله: ﴿**وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي**﴾ [طه: 18] أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكله، المعنى: أخبط بها فاضرب أغصان الشجر؛ ليسقط ورقها، فيأكله الغنم، قال الشاعر:

أهُشُّ[2] بالْعصَا على أغْنامِي مِنْ ناعِمِ الأرَاكِ والبَشامِ[3]

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،186/11.

[2] قال الزجاج: واشتقاقه من أني أُحيلُ الشيء إلى الهشاشة والإمكان. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ)، 354/3.

[3] البشام: نبات مثل الأراك شجر طيب الريح يستاك به. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، **272/6**.

واعلم أنَّ غنمَه رعيتُه، فبدأ بمصالح نفسه في قوله: ﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**﴾، ثم بمصالح رعيته في قوله: ﴿**وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي**﴾؛ لأنَّ رعاية مصالح الرعية مفتقرة إلى قوة نفسه، فكذلك في القيامة يبدأ بنفسه، فيقول: نفسي نفسي، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل إلا بإصلاح الأمة[1]. قال السلمي في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ الآية، قال فارس: سمع موسى كلاماً لا يشبه كلام الخلق، فلمَّا سمع ذلك الكلام كاد أن يَهِيمَ، فمرَّة أضاف العصا إلى نفسه، ومرة أجاب عمَّا لم يسأل، كذلك الهيمان، وقال: لما غلب عليه لذعات الصفات رَدَّه الحق إلى المخلوق ليَسكُن ما به فقال: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ شغَلَه بالإجابة عما يملكه [28/ب]، ولولا ذلك لتفسَّخ عند ورود الخطاب عليه. وقال الواسطي: استلذَّ بالخطاب فأخذه عن التمييز، فأجاب عما سُئل وعما لم يسأل ، فقيل له: وما تلك بيمينك عندك، فقال: عصاي، قال: فألقها، فإنَّ لك فيها آيات، هي عندك عصاً، وهي عندنا حية تسعى. قال ابن عطاء في قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ انفرد الله تعالى بعلم الغيب، فللخلق من الأشياء ظواهرها، وحقيقتها عند الله تعالى، كان عند موسى عليه السلام أنها عصاً، وعند الحق تعالى أنها حية، فقال: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾؛ ليعرِّفه بذلك مقدار علمه، وأن يعلم أنَّ حقائق الأمور لا يعلمها إلا الله، فقال: "عصاي"، فقال: بل محلاًّ لإظهار قدرتنا فيه. قال الحسن في قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾، قال: أثبته بالصفة، فقال له: أعد النظر إليه فأعاد النظر حتى تيقن أنها عصاه، فقال: عصاي، فلمَّا أجاب بالحقيقة أنَّه عصا قلب عينها فأحالها عن حالها فأعجزه ذلك، فقيل: إعجازها للأمة. وسمعت منصور بن

[1] بتصرف، الرازي، **مفاتيح الغيب**، 26/22.

عبد الله[1]يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر[2]يقول في قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ قال: انبسط إليه في السؤال ليربط على قلبه لعلمه بما يبتدهُه في شهود الكبرياء. وقال أيضاً: أحب الله تعالى أن ينبسط موسى في الكلام كي لا يحتشم في السؤال. قال الجنيد في قوله: ﴿**عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**﴾ فقال له: ألق كلما يعتمد عليه قلبك أو تسكن إليه نفسك، فإنَّ الكل محل العلل، وإنَّ كلَّ ما تسكن إليه سَتَهْرُب منه عن قليل إلا تراه. [29/أ] قال: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً**﴾ قال الحسين: عدَّ موسى منافع العصا على ربه وسكونه إليها وانتفاعه بها، فقال: ﴿**أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾ أي: ألق من نفسك السكون إلى منافعها، واقلبها حية ليزول عنك الأنس بها، فأوجس منها خيفة، فقال حين قطعه عنها بالفرار منها: خذها ولا تخ،ف وارجع إليها وراجع إلينا. وقيل: إنَّ الحكمة في انقلاب العصا حية في وقت الكلام: أنَّه جعل بيِّنته ومعجزته إلقاءها بين يدي فرعون، ولو ألقاها بين يدي فرعون ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شاهد لهرب منه كما هرب فرعون حين بَدَهته رؤيته. سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن نصير[3]يقول: سمعت الجنيد[4]يقول في قوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ فقال: انفرد الحق بعلم الغيوب، فللخلق من

---

[1] هو منصور بن عبد الله بن إبراهيم أبو نصر الأصبهاني الصوفي، سمع من أبي علي الروذباري، وموسى بن عيسى البسطامي المعروف بعمي وغيرهم، وروى عنه السلمي وغيره. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ دمشق**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ)، 320/60. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف الشيباني، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، (إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1416 ه)، 416/6.

[2] هو أبو بكر طاهر الأبهري اسمه عبد الله بن طاهر بن حاتم الطائي، من أجل المشايخ، من أقران الشبلي، عالماً ورعا، قال مهلب بن أحمد المصري: ما نفعني صحبة شيخ من المشايخ الذين لقيتهم كما نفعني صحبة أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري، توفي سنة: 330هـ. السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، **طبقات الصوفية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 295/1. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412ه)، 324/6.

[3] هو جعفر بن محمد بن نصير، شيخ الصوفية في بغداد، وأعلمهم بالحديث في زمانه، كان من خيار عباد الله، مرجعاً في علوم القوم. وكان يبيع الخوص فسمي الخواص، وهو ورق النخل، من كلامه:" المحب يجتهد في كتمان محبوبه، وتأبى المحبة إلا اشتهارا، وكل شيء ينم على المحب حتى يظهره "، مولده ووفاته ببغداد سنة: 348هـ. حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، 415/1. الزركلي، **الأعلام**، 128/2.

[4] هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، صوفي، من العلماء بالدين. ولد ونشأ وتوفي في بغداد، عدَّه العلماء شيخ مذهب الصوفية، لأنه ضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا

الأشياء ظواهرها وله الحقائق منها، وكان عند موسى أنها عصى فقط، فذكر كلما يَعْرِف من علمها، فأراه الله فيها من العلم ما انفرد به وجعلها حية، والحكمة فيه أنَّه لو لم ير ما فيها من الآيات لراعه في وقت الانقلاب، فأراه ذلك لئلا يفزع ولا يَجزع، ﴿**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً**﴾ [النمل: 10] أي: ولَّى ظهره إليه وأقبل على ربه ولم يعقب، فقيل له: أقبل عليه ولا تخف أن يقطعك النظر إليه عني. وقال السلمي: قوله: ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**﴾ [طه: 18] قال فارس: ذكر كلَّ ما فيها من وجوه المنافع؛ لئلا يكون معاودة إلى ذلك فاستلذ بخطاب سيده. قال أبو بكر الوراق[1]: قوله ﴿**عَصَايَ**﴾ جواب، والذي بعده ذكر ما أنعم الله عليه بالعصا من المنافع [29/ب] وكان ما بعد قوله: ﴿**عَصَايَ**﴾ لسان الشكر. قال ابن عطاء في قوله: ﴿**عَصَايَ**﴾ أضافها بالملك إلى نفسه، ولم يكن يجب له في الحقيقة أن يرى لنفسه ملكاً وهو بين أيدي الحق، فلمَّا أضافها إلى نفسه قال: ألقها، فألقاها فإذا هي حية تسعى، قال: خذها أي خذ عصاك ولا تهرب مما ادعيت فيه من الملك لنفسك، وخاف وتبرأ من إضافتها إلى نفسه ملكاً، فتعطف الحق عليه، فقال: خذها ولا تخف فإنها لن تضرك. انتهى كلام السلمي [2].

﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**﴾ [طه: 18] جمع مأربة بالحركات الثلاث، وهي الحاجة ﴿**أُخْرَى**﴾ [طه: 18] والقياس أُخر، وإنما قال: أخرى رداً إلى الجماعة، أو لنسق الآي، وكذا الكبرى. قال في التحرير: وفي قوله: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: 18] الآية، لعلماء التفسير أقوال:

يقتدى به. من مصنفاته: رسائل، دواء الأرواح، توفي: سنة 297هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 373/1. الذهبي، **ميزان الاعتدال**، 520/3. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 162/3. الزركلي، **الأعلام**، 141/2.

[1] هو أبو بكر البلخي، محمد بن عمر الوراق الحكيم، من ترمذ، أقام ببلخ وأسند الحديث، له الكتب في المعاملات، توفي سنة: 240. أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 10 /235. ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **صفة الصفوة**، (القاهرة: دار الحديث، ط: 1421هـ)، 2 /343.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 438/1-439.

الأول: أن هذا الكلام جواب لســـؤال آخر، وهو ما حكاه المفســـرون أنَّ الله تعالى لما قال له: ﴿**هِيَ عَصَايَ**﴾ [طه: 18]، قال: فما تصنع بها؟ قال: ﴿**أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ**﴾ [طه: 18]، قالوا: أتى بالجواب وزاد عليه بالإضـــافة إلى نفســـه، وكان الجواب أن يقول: هي عصـــاً، ثم زاد عليه بيان ما تعلق بها تفصـــيلاً وإجمالاً، التفصـــيل في قوله: ﴿**أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ**﴾، والإجمال قوله: ﴿**وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَى**﴾. الثاني: أنَّ الله تعالى سأله عن شيئين، سأله عن العصا بقوله: ﴿**وَمَا تِلْكَ**﴾ فأجابه بقوله: ﴿**هي عصـــاي**﴾، وعن قوله: ﴿**بِيَمِينِكَ**﴾، فأجاب بقوله: ﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [طه: 18]. الثالث: أنَّه قال ذلك زيادة في البيان، والزيادة في الجواب جائزة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن ماء البحر: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ [30/أ] مَيْتَتُهُ»[1]. وسألته المرأة عن الصغير حين رفعته إليه، فقالت: «أَلِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»[2]. الرابع: أنَّه إنما زاد على الجواب؛ ليطول مناجاته لله تعالى ومكالمته له، فيزداد تلذذاً من سماع الخطاب. الخامس: أنَّه إنما أظهر فوائدها وبيَّن حاجته إليها؛ خوفاً من أن يأمره بإلقائها. السادس: أنَّه إنما زاد على الجواب؛ تعداداً للنعم، وشكراً واعترافاً بشكر مواقع المنن، وشكراً لإحسان ربه إليه في السر والعلن[3]. قال الزمخشري: ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنَّه أحسَّ بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يُحْدِثُه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصاً لا تنفع إلا منافع بنات جنسها، وكما تنفع العيدان، وليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد

---

[1] أخرجه أبو داود، **سنن أبي داوود**، باب: الوضوء بماء البحر، 21/1، حديث رقم: 83. وأخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، 1/ 100، حديث رقم: 67. وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، أبواب الطهارة وسننها، باب: الوضوء بماء البحر، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ)، 250/1، حديث رقم:386، صحيح.

[2] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب: صحة حج الصبي وأجر من حج به، 974/2، حديث رقم: 1336.

[3] لم أجده، لان المصدر مخطوط، ووجدته لدى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، 15/3.

موسى عليه السلام المرافق الكثيرة التي علَّقها بالعصا، ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة، كأنَّه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى، والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنتَ تعتد بها، وتحتفل بشأنها. وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله ربه عن تلك المآرب، فيزيد في إكرامه. وقالوا: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل. وقالوا: اسم العصا نبعة[1]. والمآربُ الأخر التي أجملها فصلها المفسرون، فقالوا: كانت ذات شعبتين ومحجن، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسْرَه لَوَاه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه، فعلَّق بها [30/ب] إِدَاوَتَهُ من القوس والكنانة والحلاب وغيرها، وإذا كان في البرّيّة ركزها، وعرض الزندين على شعبتيها، وألقى عليها الكساء واستظلَّ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه. وقيل: كان فيها من المعجزات أنَّه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلواً، وتكونان شمعتين بالليل تضيء له في الليالي المظلمة، وإذا ظهر عدوٌّ حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، وكان يحمل عليها زاده وسقاءه، فجعلت تماشيه، أي: تمشي معه عليه السلام، ويركزها فينبع الماء، وإذا رفعها نَضَب، وكانت تقيه الهوام. انتهى كلام الزمخشري[2]. وزاد غيره أنها كانت تماشيه وتحدِّثه، وأنها كانت تحارب عنه العدوَّ والسباع وتناضل عنه، وأنَّه كان يضرب بها الأرض، فيخرج منها ما يأكل يومه ذلك، وأنَّه كان يرد بها غنمه وإن بعدوا، وأنَّه كان إذا اشتهى ثمرة فركزها تَغَصَّنَتْ غُصن تلك الشجرة وأورقت وأثمرت[3]. وقال في التحرير: ومنها خصائص لم يعلمها موسى، منها: انقلابها ثعباناً، ومنها: أنها تلقَّفُ جميع ما خيّل به السحرة من عصيهم وحبالهم، ومنها: أنَّه ضرب بها البحر فانفلق، ومنها: أنَّه كان إذا أصابه الحرُّ غرسها فتصير شجرة يستظل بها. قال المؤرخون: هذه العصا التي كانت مع موسى هي العصا التي أخذها من بيت عِصِيِّ الأنبياء حين كانت

---

[1] من قول مقاتل بن سليمان. مقاتل، **تفسير مقاتل**، 25/3.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 57/3-58.

[3] البغوي، **معالم التنزيل**، 259/3.

عند شعيب عليه السلام، فقال له شعيب: خذ عصاً [31/أ] من ذلك البيت، فوقعت بيده تلك العصا، وكانت عصا آدم عليه السلام، هبط بها من الجنة. وقيل: إنها كانت من آس الجنة. وقيل: أتاه جبريل عليه السلام بها، وكان طولها عشرة أذرع. وقيل: كان طولها اثني عشر ذراعاً بذراع موسى على ما حكاه المفسرون[1]. قال صاحب التحرير والتحبير: وهذا الذي حكاه المفسرون من تفصيل المآرب، وجنس العصا وطولها لم يرد منها شيء في الكتاب العزيز، ولا في الحديث الصحيح، وإنما الصحيح من ذلك أنَّه كان له فيها مآرب وكان يعلمها، فإن وجد نقل بخبر هذه الأمور تيقنا صحتها، وإلا فالعهدة فيها على ناقلها. انتهى[2]. قال القرطبي: عن ابن عباس[3]قال: إمساك العصا سنَّة الأنبياء عليهم السلام، وعلامة للمؤمن[4]. وقال الحسن البصري: فيها ست خصال: سنَّة الأنبياء، وزينة الصلحاء، وسلاح على الأعداء، وعون الضعفاء، وغم المنافقين، وزيادة في الطاعات. ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان، ويخشع منه المنافق والفاجر، وتكون قبلته إذا صلى، وقوّتَه إذا أعيا. ولقي الحجاج[5]أعرابياً فقال: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من البادية، قال: وما في يدك؟ قال: عصاي، أركزها لصلاتي، وأُعدّها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمد بها في مشيي؛ ليتسع بها خطوي، وأَسْبُرُ بها النَّهْر، وتؤمنني العَثَر، وأُلقي عليها كسائي، فتقيني الحر، وتدفيني من القر، وتُدنيني إلى ما بعُد مني، وهي تحمل سُفرتي، وعلاقة أدواتي، أعصي بها عند الضراب، وأقرعُ بها الأبواب، وأتَّقي بها عقوق الطُّلَّاب [31/ب]

---

[1] ينظر:الرازي، **مفاتيح الغيب**، 528/3. البغوي، **معالم التنزيل**، 532/3. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 190/11.

[2] لم أجده.

[3] ورد بتفسير القرطبي مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ وليس ابن عباس.

[4] أ خرجه الديلمي، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس المسمى «زهر الفردوس»**، (دبي: جمعية دار البر، ط1، 1439هـ)، 129/1، موضوع.

[5] هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، بنى مدينة واسط. كان سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. مات بواسط سنة: 95هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 32/2. الزركلي، **الأعلام**، 168/2.

وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران، وورثتها عن أبي، وأُورثها بعدي ابني، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، كثرةً لا تحصى. قال القرطبي: منافع العصا كثيرة، ولها مدخل في مواضع من الشريعة، منها: أنها تُتخذ قبلة في الصحراء، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزةٌ[1] تركز له فيصلي إليها كما ثبت في الصحيح[2]، والحربة والعنزة شيء واحد، وكان له محجن وهي عصاً معوجة الطرف، يشير بها إلى الحجر الأسود إذا لم يستطع أن يقبله ،كما ثبت في الصحيح أيضاً[3]. وفي الصحيحين: «أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ لَهُ مِخْصَرَةٌ »[4]. والإجماع منعقد على أنَّ الخطيب خطب متوكئاً على سيف وعصاً، والعصا مأخوذة من أصل كريم ومعدن شريف، ولا ينكرها إلا جاهل، وقد جمع الله لموسى في عصاه البراهين العظام، والآيات الجسام، ما آمن به السحرة المعاندون، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته، وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته، وكان يخطب بالقضيب، وكفى بذلك فضلاً على شرف حال العصا، وعلى ذلك الخلفاء وكبراء الخطباء، وعادة العرب العرباء اللُّسن البلغاء أخذ المخصرة والعصا والاعتماد عليها عند الكلام في المحافل والخطب،

---

[1] العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا وفيها سنان مثل سنان الرمح. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 308/3.

[2] أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركز له الحربة فيصلي إليها». البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب: الصلاة إلى الحربة، 1/ 106، حديث رقم: 498. ومسلم بلفظ: عن ابن عمر، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج يوم العيد، أمر بالحربة فتوضع بين يديه، فيصلي إليها. والناس وراءه. وكان يفعل ذلك في السفر. فمن ثم اتخذها الأمراء» مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب: الصلاة إلى الحربة والعنزة، 1/ 359، حديث رقم: 501.

[3] أخرج مسلم عن معروف بن خربوذ قال: سمعت أبا الطفيل يقول « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَيَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ مَعَهُ، وَيُقَبِّلُ الْمِحْجَنَ ». مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب: جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب، 68/4، حديث رقم: 1275.

[4] المخصرة: ما يتوكأ عليه من عصا وغيرها. أخرجه البخاري، صحيح **البخاري**، كتاب الجنائز، باب: موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، 2/ 96، حديث رقم: 1362. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، 4/ 2039، حديث رقم: 2647.

وأنكرت الشـعوبية[1]على عظماء العرب أخذ المخصـرة والإشـارة بها في المعاني، والشـعوبية تبغض العرب وتفضل العجم، قال مالك رحمه الله: كان عطاء بن السائب[2] يمسك المخصرة فيستعين بها[3]. وقال مالك: والرجل إذا كبر لم يكن مثل الشاب يقوى بها عند قيامه[4][32/أ]. قال القرطبي: وفي مَشْيه أيضاً كما قال بعضهم[5]: وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ مُعْتَمِداً فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الْخَشَبِ

وقال مالك رحمه الله: وقد كان الناس إذا جاءهم المطر خرجوا بالعصـيّ يتوكؤون عليها، حتى لقد كان الشباب يحتسون عصيهم، وربما أخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس إليه حين يقوم[6]. ومن منافع العصا: ضَرْب الرجل نساءه فيما يصلحهم، ويُصلح حاله وحالهم معه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « أَمَّا أَبُو جَهْمٍ[7]فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ»[8] في أحد التأويلات، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه قال لرجل

---

[1] فرقة تتعصّب على العرب وتحتقرها، وكانت ظاهرة الشعوبية كنتيجة طبيعية للصدام السياسي والحضاري بين العرب والموالي. زاهية قدوره، **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول**، (بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط1، 1988م)، 23. الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 56/1.

[2] عطاء بن السائب الثقفي، أبا زيد، ثقة، كثرت عنه الرواية من المتقدمين. وقد كان تغير حفظه أخر حياته، واختلط في آخر عمره توفي سنة: 130هـ. البغدادي، **الطبقات الكبرى**، 328/6.

وكان ثقة. وقد روى عنه المتقدمون. وقد كان تغير حفظه بآخره واختلط في آخر عمره

[3] سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، (دمشق: دار النوادر، ط1، 1429هـ)، 647/28.

[4] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ)، 195/18.

[5] من قول أبي حيّة النميري. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **الحيوان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1422هـ)، 579/6.

[6] أبو الوليد القرطبي، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، 195/18.

[7] هو عَامِر، وقيل: عُبَيْد بن حذيفة بن غانم بن عَامِر بن عبد الله القرشـي العدوي، أسـلم عام الفتح، وصـحب النَّبِيّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وَكَانَ معظما فِي قريش مقدما فيهم، قَالَ الزبير: كَانَ أبو جهم بن حذيفة من مشـيخة قريش، عالماً بالنسـب، وَكَانَ من المعمرين من قريش، شـهد بنيان الكعبة مرتين، مرة فِي الجاهلية حين بنتها قريش، ومرة حين بناها ابن الزبير. وهو أحد الَّذِينَ دفنوا عثمان رضي الله عَنْهُ، توفي أيام معاوية. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 56/6. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1623/4.

[8] أخرجه مسـلم، **صـحيح مسـلم**، كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، 1114/2، حديث رقم: 1480. النسـائي، **سـنن النسائي**، كتاب النكاح، باب: إذا استشارت المرأة رجلا فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم، 75/6، حديث رقم: 3245.

أوصاه: «لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ أَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ»[1]، أخرجه النسائي عن عبادة بن الصامت[2] [3]. ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «عَلِّقْ سَوْطَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ»[4]، وقد تقدم هذا في سورة النساء. ومن فوائد العصا: التنبيه على الانتقال من هذه الدار، كما قيل لبعض الزهاد: ما لك تمشي على عصاً، ولست بكبير ولا مريض؟ قال: إني أعلم أني مسافر وأنها دار بُلغة، وإنَّ العصا من آلة السفر فأخذه بعض الشعراء فقال[5]:

حَمَلْتُ الْعَصَا لَا الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا عَلَيَّ وَلَا أَنِّي تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ

ولكنّني أَلْزَمْتُ نفسي حَمْلَها لِأُعْلَمَها أنّي مقيمٌ على السفرْ

انتهى كلام القرطبي[6].

---

[1] لم يرد العصا التي يُضرب بها، ولا أمر أحداً قط بذلك، ولكنه أراد الأدب. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، **غريب الحديث**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1404هـ)، 3/ 359.

[2] هو عبادة بن الصامت بن قيس، أبو الوليد، الأنصاري الخزرجي. صحابي جليل، شهد بدراً والمشاهد كلها، آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد فتح مصر. وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، مات بالرملة أو بيت المقدس. روى 181 حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة منها. وكان من سادات الصحابة. توفي سنة: 34هـ. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 158/3. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 807/2. الزركلي، **الأعلام**، 258/3.

[3] لم أجده لدى النسائي. أخرجه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله من حديث أبي الدرداء، صحيح **الأدب المفرد للإمام البخاري**، باب: بر والديه ما لم يكن معصية، (دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418هـ)، 39، رقم: 18، وذكره الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب الوصايا، باب: وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414 هـ)، 217/4، حديث رقم: 394، حسن.

[4] أخرجه الطبراني، **المعجم الكبير**، علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه، 285/10، حديث رقم: 10672. وأخرجه أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي، **البر والصلة**، باب بر الوالدين والأبناء والنفقة عليهم والصدقة وأدبهم، (الرياض: دار الوطن، ط1، ١٤١٩هـ)، 98، حديث رقم: 187، ضعيف.

[5] البيت من قول: محمد بن وشاح بن عبد الله. شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ)، 248/19. محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1436هـ)، 118/6.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11/ 188-189.

﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾ [طه: 19] يجوز أن يكون القائل له ذلك الملكُ بإذن الله تعالى، فيكون من باب الوحي، بدليل قوله: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه: 13]، ويجوز أنَّ الله تعالى [32/ب] كلمه بذلك كفاحاً، بدليل قوله في غير هذه السورة: ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً** ﴾ [النساء: 164]، وهذا الذي عليه الأكثرون. قال في المدارك ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾ اطرح عصاك لتَفْرُغ مما تَتَّكئ عليه، فلا تسكنُ إلا بِنا، وترى كُنْه ما فيها من المآرب، فتعتمد علينا في المطالب. انتهى[1]. وفي التحرير والتحبير: قال أصحاب التحقيق: لما ذكر موسى اعتماده عليها واحتياجه إليها أمره بإلقائها وأراه فيها من آياتها ما يَفِرُّ به عنها، وعن الاعتماد عليها حتى لا يَعْتمد على غير الله، ولا يرى قضاء الحاجات إلا من الله، ولا تطمئن نفسه إلا إليه، ولا يطلب مآربه إلا لديه. انتهى[2]. قال البرهان النسفي: في قوله: ﴿**أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾ من النكات وجوه، أحدها: أنَّه عليه السلام لما قال: ﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [طه: 18] أراد الله تعالى أن يعرفه أنَّ فيها من المآرب ما لا يعرفها، فقال: ﴿**أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾، ﴿**فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾. وثانيها: كان في رجله شيء وهو النعل، وفي يده شيء، وهو العصا، والرِّجل آلة الهرب، واليد آلة الطلب، فقال أولاً: ﴿**فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾، وإنه إشارة إلى ذلك الهرب، ثم قال: ﴿**أَلْقِهَا يَا مُوسَى**﴾، وهو إشارة إلى ذلك الطلب، كأنَّه قال: إنك ما دمت في مقام الهرب والطلب كنت مشتغلاً بنفسك وطالباً لحظك، فلا تكون خالصاً لمعرفتي، فاترك الهرب والطلب لتصير خالصاً لي. وثالثها: أنَّ موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال منصبه لما وصل إلى الحضرة لم يكن معه إلا النعلين والعصا،

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 361/2.

[2] لم أجده.

فأمره بإلقائهما حتى أمكنه الوصول إلى الحضرة، فالعبد العاصي مع جميع تعلقاته كيف يمكنه الوصول إلى جنابه؟ وفيه إشارة إلى التجريد وقطع التعلقات[1].

﴿**فَأَلْقَاهَا**﴾ [طه: 20] فطرحها ﴿**فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ [طه: 20] تمشي سريعاً. قال القرطبي [33/أ] لما أراد الله تعالى أن يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا، فألقاها موسى، فقلب الله أوصافها وأعراضها، فكانت عصاً ذات شعبتين، فصارت الشعبتان لها فماً، وصارت حية تسعى، أي: تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة[2]. قال في معالم التنزيل: قال وهب: ظنَّ موسى أنَّه يقول: ارفضها فألقاها على وجه الرفض، ثم حانت منه نظرة، فإذا هي حية تسعى صفراء من أعظم ما تكون من الحيات تمشي بسرعة على بطنها، قد صارت شعبتاها شدقين، والمحجن عنقاً وعرْفاً تهتزّ كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنار، تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الإبل فتلتقهما، وتقصف الشجرة بأنيابها، وتسمع لأسنانها صريفاً عظيماً، فلمَّا عاين ذلك موسى ولى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء، ثم نودي يا موسى أقبل، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف. انتهى[3]. قال الإمام فخر الدين: فإن قلت: ما الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت؟ الجواب عنه بوجوه، منها: أنَّه تعالى قلبها حية لتكون معجزة تدل على نبوته، وذلك؛ لأنَّه عليه السلام إلى ذلك الوقت ما سمع إلا النداء، والنداء ليس من المعجزات، والعجب أنَّ موسى عليه السلام قال: أتوكأ عليها، فصدَّقه الله تعالى وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة له. ومنها: أنَّ النداء كان إكراماً له، فقلب العصا حية في ذلك الوقت، ليكون سبباً لزوال الوحشة عن قلبه. ومنها: أنَّه عرضها عليه ليشاهدها أولاً، حتى إذا شاهدها عند فرعون لا يخافها. فإن قلت: كيف ذُكِرت بألفاظ

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 26/22.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 190/11.

[3] البغوي، **معالم التنزيل**، 269/5.

مختلفة، قال في هذا الموضـع: حية، وفي موضـع آخر: ثعبان، وفي موضـع آخر: جانّ، فما الحكمة فيه؟ [33/ب] قلت: أمَّا الحية فاسـم جنس يقع على الذكر والأنثى والصـغير والكبير، وأمَّا الثعبان والجان فبينهما تناف؛ لأنَّ الثعبان العظيمُ من الحيات والجانَّ الدقيقُ، وفي ذلك وجهان: أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقةً، ثم تتورَّم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً، فأريد بالجانّ أولُ حالها، وبالثعبان مآلُها. والثاني: أنها كانت في شـخص الثعبان، وسـرعة حركة الجانّ، والدليل عليه قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّ﴾ [القصـص: 31]. وقال الدميري في حياة الحيوان: لأنَّها كانت كالحية لِعَدْوِها، وكالجانّ لتحركها، وكالثعبان لابتلاعها، ويقال: حية لموسى، وثعبان لفرعون، وجانّ للسحرة، انتهى كلامه [1]. فإن قلت: كيف صـفة تلك الحية؟ فالجواب: قيل: لها عُرف كعُرف الفرس، وكان بين لحييها أربعون ذارعاً، تبتلع كلما مرّت به من الأشجار والأحجار، حتى سمع موسى عليه السلام صرير الحجر في فمها[2]. قال في التحرير: وفي إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان، أحدهما: لئلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون. الثاني: ليُرِيَه أن الذي أبعثك إليه دون ما أَريتُك، فلما ذلْلتُ لك الأعظم وهو الحية أُذِل لك الأدنى، انتهى[3].

﴿**قَالَ**﴾ [طه: 21] له ربُّه ﴿**خُذْهَا وَلَا تَخَفْ**﴾ [طه: 21] الضـمير في ﴿**خُذْهَا**﴾ يجوز أن يكون عائداً على العصا، وأن يكون عائداً على الحية، وقوله: ﴿**وَلَا تَخَفْ**﴾ يشعر بمحذوف تقديره: فلمَّا صارت حية خاف، فقال له تعالى: لا تخف. قال في المدارك: بلغ من ذهاب خوفه أنْ أَدْخَل يدَه في فمها وأخذ بلَحْيَيْها. انتهى[4]. قال الزمخشري: فلمَّا رآها تبتلع كل شيء خاف ونفر. وعن بعضهم [34/أ] إنما

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 27/22. الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**،265/1.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 27/22.وهذه القصص وأمثالها من الإسرائليات المنكرة..

[3] جمال الدين الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، 156/3.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 361/2.

خافها لأنَّه عرف ما لقي آدمُ عليه السلام منها [1]. وقيل: لأنَّها كانت من الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام[2]. ﴿**سَنُعِيدُهَا**﴾ [طه: 21] سنردُّها ﴿**سِيرَتَهَا الْأُولَى**﴾ [طه: 21] تأنيث الأول، والسيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة، وهي في الأصل فِعْلة من السَّيْر، كالرِّكْبة من الركوب، ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة، وانتصبَتْ على الظرْف، أي: سنعيدها في طريقها الأولى، أي: في حال ما كانت عصاً، والمعنى: نردُّها عصاً كما كانت[3]. قال في التحرير: قال المفسرون: إنَّ الله تعالى لما أمره بأخذها وضع يده عليها، فانقلبت عصاً كما كانت. وقيل: لما أمره الله بأخذها كان عليه مدرعة من صوف فلفَّها على يده، فأمره الله بكشف يده فكشفها وأدخلها في فيها. وحكى مكي[4] في تفسيره[5]: أنَّه نودي يا موسى خذها، فلم يأخذها فنودي ثانية، فلم يأخذها، ثم نودي ثالثة: ﴿**خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَى**﴾ [طه: 21]، أي: هيئتها الأولى عصاً كما كانت فأخذها[6]. وحكى البغوي في تفسيره: أنَّه كان على موسى مدرعة[7]من صوف قد خللها بعيدان، فلمَّا قال الله له: ﴿**خُذْهَا**﴾ لفَّ طرَف المِدْرعة تغني عنك شيئاً، قال: لا، ولكني ضعيف ومن ضَعْفٍ خُلقتُ، فكشف عن يده قال له ملك: أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المِدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكنِّي ضعيف ومن ضعفٍ

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 58/3.

[2] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ)، 65/3.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 361/2.

[4] مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ أبو محمد القيرواني، من أهل التبحر في علوم القراءات والعربية، من كتبه: الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره، والموجز في القراءات، والتبصرة في القراءات، توفي سنة: 437هـ. ابن العماد، العَكري عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، أبو الفلاح، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ)، 175/5.

ودفن بالربض

[5] ويسمى: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه.

[6] مكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، 4627/7.

[7] هي ثوب من صوف وجبة. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، **التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، 1996م)، 145.

خُلقتُ، فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية، فإذا هي عصاً كما كانت، ويدُه في شُعبتها في الموضع الذي يضعها إذا توكأ [1]. وأدخل السين في "سَنُعِيدُهَا" لوقوع الإعادة بعد الأمر بالأخذ، فكانت في حكم المخصِّص للاستقبال. قال الإمام فخر الدين: فإن قلت: لما نودي يا موسى، وخُص بتلك الكرامات العظيمة، وعلم أنَّه مبعوث من عند الله تعالى إلى الخلق فلِماذا خاف؟ فالجواب [34/ب] من وجوه، أحدها: أنَّ ذلك الخوف كان من نَفْرة الطبع؛ لأنَّه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط، وأيضاً فهذه الأشياء معلومةٌ بدلائل العقل، وعند الفَزَع الشديد قد يذهل الإنسان عنه. قال الشيخ أبو القاسم الأنصاري[2]رحمه الله: وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه في دعوى النبوة؛ لأنَّ السَّاحر يعلم أنَّ الذي أتى به تمويه، فلا يخافه البتة. وثانيها: قال بعضهم: خافها لأنَّه عليه السلام عرف ما لقي آدم منها. وثالثها: أنَّ مجرد قوله: "لا تخف" لا يدل على حصول الخوف، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ**﴾ [الأحزاب: 48]، لا يدلُّ على وجود تلك الطاعة، لكن قوله: ﴿**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً**﴾ [النمل: 10] يدلُّ عليه، وذلك الخوف إنما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم، فما أظهر الرغبة في الجنّة ولا النفرة من النار. فإن قلت: متى أخذها؟ أبعد انقلابها عصاً أو قبل ذلك؟ فالجواب: روي أنَّه أدخل يده في لسانها فانقلبت خشبة، وكما أنَّ انقلاب العصا حية معجزةٌ، فكذلك إدخال اليد من موسى عليه السلام وانقلابها خشبة أيضاً معجزة. فإن قلت: كيف أخذها مع ثوبه أو بدونه؟ فالجواب: روي مع الثوب، وهذا بعيد، فإنه عليه السلام أعلمه الله تعالى أنها عند الأخذ يعيدها

---

[1] البغوي، **معالم التنزيل**، 5/ 270.

[2] هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن يزيد بن زياد بن ميمون بن مهران أبو القاسم الأنصاري الصوفي الإمام الدّين الورع الزاهد، أصولي مفسر، صنف كتاب "الغنية" في فقه الشافعية، و "شرح الإرشاد لإمام الحرمين"، توفي سنة: 511هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 412/19. الزركلي، **الأعلام**، 112/3.

سيرتها الأولى، فكيف يستمر خوفه؟ وقال بعضهم: لما قال له ربه: لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أنْ أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها. انتهى[1].

﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ**﴾ [طه: 22] إلى جنبك تحت العضد، وجناحاه جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر، سُمِّيا جناحين؛ لأنَّه يُجْنِحُهما عند الطيران [35/أ]، دلَّ على ذلك قوله: ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**﴾ [طه: 22]، والسوء: الرداءة والقبح في كل شيء، فكُنِي به عن البرص، كما كُنِي عن العورة بالسَّوءة، وكان جذيمة صاحب الزَّبَّاء[2]أبرشَ[3]، فكنَوا عنه بالأبْرص، والبَرَص أبغض شيء إلى العرب، وبِهِمْ عنه نَفْرةٌ عظيمةٌ، وأسماعهم لاسمه مَجَّاجَةٌ، فكان جديراً بأن يُكْنى عنه، ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أَحَزَّ للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه. كذا في الكشاف[4]. هذا هو المعجزة الثانية، وقال في الآية الأخرى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ**﴾ [النمل: 12]، وقال مجاهد: الجناح العضد[5] ﴿**تَخْرُجْ بَيْضَاءَ**﴾ [طه: 22] لها شعاع كشعاع الشمس يُغْشِي البصر[6]. قال في التحرير: لما أراه الله سبحانه تلك الآية، وأعلمه بأنها معجزة كبرى، يقوم له بها الحجة على فرعون وقومه إذا أذن له في دعائهم إليه، وكان في سابق علمه أنهم لا يقنعون بآية واحدة ولا باثنتين ولا بثلاث، فأمَدَّه الله تعالى بتسع آيات، أحدها: العصا، وقد كان فيها من المعجزات ما قدمنا ذكره، ثم أتبعها باليد البيضاء؛ لأنَّها مقارِبة لها في الإعجاز، فإنَّه عليه السلام آدم اللون، وكان إذا أدخل يده في جيبه وأخرجها تخرج بيضاء نقية، لها شعاع

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/27-28.

[2] جذيمة: ملك من ملوك الحيرة، والزباء: ملكة الجزيرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **نزهة الألباب في الألقاب**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ)، 55/1. الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 142/1.

[3] البرش: لون مختلط بنقطة حمْراء وأُخرى سَوْداء، أو غَبْراء، أو نحو ذلك، وسُمّي جَذيمة الأبرش الذي أصابه حَرْق فبقي فيه من أثر الحَرْق نقطٌ سُودٌ وحُمْرٌ، فقيل: جَذيمة الأبْرش.الفراهيدي، **كتاب العين**، 260/6.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 59/3.

[5] العضد هو ما بين المرفق إلى المنكب. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،157/1.

[6] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 59/3.

كشعاع الشمس والقمر، وظهور هذا النور من يد مكوّنةٍ من لحم ودم وعظم وأعصاب، وغير ذلك في غاية ما يكون من الإعجاز، فلذلك جعلها تعالى آية أخرى، وقد سمى الله تعالى هاتين الآيتين برهانان في قوله: ﴿**فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**﴾ [القصص: 32] انتهى[1]. ﴿**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**﴾ [طه: 22] من غير برص، وهذا عند أرباب علم اللسان يقال له: الاحتراس، فإنه لو اقتصر على قوله: ﴿**بَيْضَاءَ**﴾ لأوهم أن يكون ذلك من برص، فاحترز بقوله: ﴿**غَيْرِ سُوءٍ**﴾ وهو [35/ب] كناية عن البرص والبهق، فأجمل الخطاب كما أجمله في قوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾ [البقرة: 187][2] ﴿**آيَةً أُخْرَى**﴾ [طه: 22] لِنُبُوَّتك، آية: منصوب على البدل من بيضاء، و"بيضاء وآية": حالان معاً، و"من غير سوء" من: صلة بيضاء، كما تقول: ابيضَّت من غير سوء، وفي نصب آيةً: وجهٌ آخر، وهو أن يكون بفعل مضمر تقديره: خذ، أو دونك، وما أشبه ذلك، حذف لدلالة الكلام، وقد تعلق بهذا المحذوف لام. ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا**﴾ [طه: 23]، ﴿**الآيةُ الْكُبْرَى**﴾ [طه: 23] أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية؛ لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى، أو لنُرِيَك بهما الكبرى من آياتنا، والمعنى: فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى، وأخرى: وصف آية، بمعنى آية مع الآية التي تقدمت وهي العصا. قال النسفي: يُروى أنَّه عليه السلام كان شديد الأُدْمة، فكان إذا أدخل يديه اليمنى في جيبه فأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها فكانت تبرُق مثل البرق. وقيل: مثل الشمس من غير برص، ثم إذا ردَّها عادت إلى لونها الأول بلا نور. انتهى[3]. فإن قيل: الكبرى من نعت الآيات، فلِمَ لم يقل الكُبَر؟ فنقول: بل هي نعتُ الآية، والمعنى: لنريك الآية الكبرى، ولئن سلمنا ذلك، فهو كما قدمنا في قوله: ﴿**مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ والأسماء الحسنى، فإن قلت: أيُّ آية هي الموصوفة بالكبرى؟ اليد أم العصى؟ قيل: قال الحسن: اليد أعظم في

---

[1] لم أجده.

[2] بتصرف. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**،225/7.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/ 28.

الإعجاز من العصـــا[1]؛ لأنَّه تعالى ذكر ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾ [طه: 23] عقب ذكر البلد، وهذا ضـعيف لأنَّه ليس في اليد إلا تغيير اللون، وأما العصـا ففيها تغيير اللون [36/أ] وخلق الزيادة في الجسـم وخلق الحياة والقدرة والأعضـــاء المختلفة وابتلاع الشـــجر والحجر وتغيّر الجمادية بالحيوانية، وتغير العجز بالقدرة، ثم لما عادت عصـــاً بعد ذلك فقد وقع التغير مرة أخرى في جميع هذه الأمور، فكانت العصـــا أعظم، وأما قوله: ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾ فقد بينا أنَّه عائد إلى الكل، وأنَّه غير مختص باليد. وقيل: إنَّ هذا وصـــف الآيات التســـع التي آتاه الله إياها، وإنَّ كل واحدة منها كبرى، وعلى هذا يجوز أن تكون "من" للتبعيض، وأن تكون للجنس[2].

﴿**اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه: 24] جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية، إنَّه تعالى لما أظهر له هذه المعجزات عقّبها بأنْ أمرَه بالذهاب إلى فرعون، وبيّن العلة في ذلك وأنَّه طغى، وإنما خصَّ فرعون بالذكر مع أنَّ موســـى عليه الســـلام كان مبعوثاً إلى الكل؛ لأنَّه ادعى وتكبر وكان مبتدعاً متبوعاً، وكان ذكرُه أَولى[3]. قال في التحرير: قال وهب بن منبه: قال الله تعالى لموســـى: اسمع كلامي، واحفظ وصـــيتي، وانطلق برســـالتي، أرعاك بعيني وسمعي، فإنَّ معك يدي وبصـــري، وألبِســـك جُنّة من ســـلطاني تســـتكملْ بها القوة في أمري، أَبعثك إلى خلق ضـــعيف من خلقي بَطِر نعمتي، وأمن مكري، وغرّته الدنيا حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي، أُقْسِمُ بعزتي لولا الحجة والقدر التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشْتُ به بطشـــة جبار، ولكن هان عليّ وســـقط من عيني، فبلّغه رســـالتي، وادعه إلى عبادتي، وحذِّره نقمتي

[1] قال أبو حيان: "ويبعد ما قيل من أن اليد أعظم في الإعجاز من العصـا؛ لأنه ليس في اليد إلا تغيير اللون، وأما العصـا ففيها تغيير اللون، وخلق الزيادة في الجسـم، وخلق الحياة، والقدرة، والأعضـاء المختلفة، وابتلاع الشـجر والحجر ثم عادت عصـا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارًا فكانت أعظم من اليد". أبو حيان، **البحر المحيط**، 326/7.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 28/22-29.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 28/22-29.

[36/ب]، وقل له قولاً ليّناً لا يغترّ بلباس الدنيا، فإنَّ ناصيته بيدي، لا يُطْرِف ولا يتنفس إلا بعلمي، في كلام طويل، قال: فسكتَ موسى سبعة أيام، ثم جاءه ملك، فقال: أجب ربك فيما أمرك فعنده[1].

﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ [طه: 25] وسِّعه ليحتمل الوحي والمشاق ورَدِيَّ الأخلاق من فرعون وجنده[2]. قال الزمخشري: لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنَّه كُلِّف أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط، وصدْر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليماً حمولاً، يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبْر الصابر بجميل الصبر، وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه، وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون، ومقاساة جلائل الخطوب. انتهى[3]. قال في معالم التنزيل: وكان موسى يخاف فرعون خوفاً شديداً؛ لشدة شوكته وكثرة جنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق، حتى يعلم أنَّ أحداً لا يقدر على نصرته إلا بإذن الله تعالى، وإذا علم ذلك لم يَخَفْ فرعون، انتهى[4]. سأل موسى من ربه أموراً ثمانية، ثم ختمها بما جرى مجرى العلة لها، الأول: قوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾. قال في التحرير: وإنما بدأ بشرح الصدر لما حُمِّل به من دعاء فرعون ومكالمته لما يعرفه من جبروته وفرعنته وتمرده، فسأل الله تعالى أن يوسّع صدره عند مكالمة فرعون ومعاودته. وقيل: إنَّه عبَّر بالصدر عنا عن القلب؛ لأنَّ الصدر محله، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ**﴾ [37/أ] ﴿**وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46]، قال النسفي: السبب في هذا السؤال ما حكى الله عنه في موضع آخر: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: 13]، فسأل الله تعالى حتى تبدل ذلك الضيق بالسعة.

---

[1] المصدر نفسه، 29/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 362/2.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 60/3.

[4] البغوي، **معالم التنزيل**، 270/5.

وقيل: اشرح لي صدري فأَفْهَم عنك ما أنزلت عليّ من الوحي. وقيل: شخصي، لأجترئ به على مخاطبة فرعون[1]. قال الإمام فخر الدين: ثم الكلام فيه متعلق بأمور: أحدها: فوائد الدعاء وشرائطه. وثانيها: ما السبب في أنَّ الإنسان لا يذكر وقت الدعاء من أسماء الله تعالى إلا الرب. وثالثها: ما معنى شرح الصدر. ورابعها: بماذا يكون شرح الصدر؟. وخامسها: كيف كان شرح الصدر في حق موسى عليه السلام؟. وسادسها: صدر موسى هل كان منشرحاً أو لم يكن؟ ولا وجه لكل واحد منهما. أما الأول فظاهر، وأما الثاني فلإظهار الكرامات والتشريفات في حقه كما مر، ولأنَّه إذا لم يكن منشرح الصدر لا يكون لائقاً بمنصب الرسالة، وقد فوض الله الرسالة إليه، أما البحث الأول، وهو فوائد الدعاء وشرائطه، فقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[البقرة: 286]، إلا إنا نذكر منها نبذة الفوائد المتعلقة بهذا الموضع، فنقول: اعلم أنَّ للكمال مراتب ودرجات، وأعلاها أن يكون كاملاً في ذاته ومكملاً لغيره، أمَّا كونه كاملاً في ذاته فكل من كان كاملاً في ذاته كان كماله من لوازم ذاته، لكنه لا يكون مكملاً في الأزل إلا بالتكميل في لا يزال، إذ المكمل عبارة عن جعل الشيء كاملاً وذلك ممتنع في الأزل، إذا ثبت هذا فنقول: إنَّه تعالى لما قصد إلى التكوين، وكان المقصود منه تكميل الناقص لما أن الممكن قابلٌ [37/ب] للوجود والعدم، وصفة الوجود صفة الكمال فاقتضت قدرة الله تعالى على التكميل وصح فائدة الكمال للممكنات، إذا عرفت هذا فهذا الوجود الفائض من نور رحمته على جميع الممكنات، وهو المراد بقوله: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[الأعراف: 156]، ثم الموجودات منقسمة إلى الجمادات وإلى غير الجمادات، نحو: الحيوانات، والجماد بالنسبة إلى الحيوان كالعدم بالنسبة إلى الوجود، وكالعبد بالنسبة إلى مولاه، فإنَّ الحيوان يستعمل الجمادات في أغراض لنفسها، فكانت الحياة أفضل من الجمادية، والحياة بالنسبة إلى الجمادية كالنور بالنسبة إلى الظلمة، ثم قالت الأحياء عند ذلك:

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 29/22.

يا رب الأرباب، إنا وجدنا خلعة الوجود وخلعة الحياة، لكنا نحتاج إلى طلب الملائم ودفع المنافي، فإن لم يكن لنا قدرة على الطلب والهرب والجذب والدفع، لبقينا كالزمن المقعَد على الطريق عرضـــةً للآفات والبليَّات، فأعطنا من خزائن رحمتك القدرة والقوة التي بها نتمكن من الطلب تارة والهرب أخرى، فاقتضت الرحمة التامّة تخصـيص بعض الأحياء بالقدرة كما اقتضـت تخصـيص بعض الموجودات بالحياة تخصـيص بعض المعدومات بالوجود، فقال القادرون عند ذلك: إلهنا الكريم الرحيم إنّ الحياة والقدرة بلا عقل لا تظهر إفادتهما كما ينبغي، فأفض علينا من العقل الذي هو أشـــرف مخلوقاتك وأعزُّ مبتدعاتك، فأعطاهم الله تعالى العقل، ونفث في أرواحهم نور البصـــيرة وجوهر الهداية، فعند هذه الدرجة فازوا بالخِلَع الأربع: الوجود، والحياة، والقدرة، والعقل، فالعقل خاتم الكل، والخاتم يجب أن يكون أفضل، ألا ترى أنَّ الإنسان خاتم المخلوقات الجِسمانية، فكان أفضلها، وأنَّ محمداً [38/أ] خاتم النبيين، فكان أفضلهم، وذلك العقل لما كان خاتم الخلع الفائضة من حضرة ذي الجلال كان أفضل الخلع وأكملها، ثم نظر العقل في نفسه، فرأى نفسه كالشمس يظهر بنورها الأشياءُ النفيسة والخسيسة، ويتميز بعضها عن البعض، فلمَّا نظر العقل إلى تلك الأشياء، رأى رقم الحدوث على حياة تلك الأشياء، فاستدل بتلك الأرقام على الراقم، وعرف أنَّ الرقم غير الراقم فانفتح له من أعلى عالم المحدثات طرائق إلى أنوار عالم القِدَم ولوائحها، وطالع تلك الألواح الأزلية وعجائبها، فبقي متحيراً فالتجأ بطبعه إلى مُفيض الأنوار، فقال: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي**﴾ [طه: 25]، فإن البحار عميقة، والظلمات متكاثفة، وفي قطاع الطريق من الأعداء الداخلة والخارجة وشياطين الإنس والجن كثرة، فإن لم تشرح لي صدري، ولم تكن عوناً لي في جميع الأمور، انقطعت وصارت هذه الخِلَعُ سبباً لنيل الآفات، لا للفوز بالدرجات، فهذا هو المراد بقوله: ﴿**رَبِّ اشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي**﴾، ثم قال: ﴿**وَيَسِّرۡ لِي أَمۡرِي**﴾[طه: 26]، وذلك لأنَّ كلَّ ما يصدر من العبد من الأفعال والأقوال والحركات والسكنات، فلمَّا لم يصر العبد مريداً، استحال أن يصير فاعلاً لذلك، فهذه الإرادة صفة محدثة، فلا بدَّ

لها من فاعل، وفاعِلُه إن كان هو العبد افتقر في تحصيل تلك الإرادة إلى إرادة أخرى، ولزم التسلسل، بل لا بدَّ من الانتهاء إلى إرادة خالقها مدبر العالم، فيكون في الحقيقة هو الميسّر للأمور، وهو المتمِّم لجميع الأشياء، وتمام التحقيق: أنَّ حدوث الصفة لا بد له من قابل وفاعل، فعبَّر عن استعداد القابل بقوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾، وعبَّر عن حصول الفاعل بقوله: ﴿**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾، وفي التيسير على أنَّه سبحانه هو الذي يعطي [38/ب] القابل قابليته، والفاعل فاعليته، ولهذا كان السلف يقولون: يا مبتدئ النعمة قبل استحقاقها، ومجموع هذين الكلامين كالبرهان القاطع، على أنَّ جميع الحوادث في هذا العالم واقع بقضائه وقدره، ويمكن أن يقال أيضاً: كأنَّ موسى عليه السلام قال: إنني لا أكتفي بشرح الصدر، ولكن أطلب منك تنفيذ الأمر وتحصيل الغرض، ولهذا قال: ويسر لي أمري، ويمكن أن يقال: لما كان أمره مع العدو كان محتاجاً إلى الشجاعة والقدرة والقوة، فكأنه عليه السلام طلب الشجاعة بقوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ وطلب القدرة والقوة قوله: ﴿**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ فإنَّ الشجاعة بدون القدرة لا تفيد.

الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ اعلم أنَّ الدعاء سبب القرب من الله تعالى فإنما اشتغل موسى عليه السلام؛ طلباً للقرب فيفتقر إلى بيان أنَّ الدعاء سبب القرب، ثم إلى بيان أنَّه عليه السلام طلب بهذا الدعاء القرب، أما الأول: فلأنَّه تعالى ذكر السؤال والجواب في كتابه في عدة مواضع، منها أصولية، ومنها فروعية، أمَّا الأصولية: فمنها قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ [البقرة: 189]، ومنها: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[الإسراء: 85]، ومنها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه: 105]، ومنها: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ [الأعراف: 187]، وأما الفروعية: فمنها: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ**﴾[البقرة: 215]، ومنها: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾[البقرة: 217]، ومنها: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير**﴾[البقرة: 219]، ومنها:

﴿وَيَسْـــأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219]، [39/أ] ومنها: ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْـــلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 220]، ومنها: ﴿يَسْـــأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222]، ومنها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1]، ومنها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَـأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [الكهف: 83]، ومنها: ﴿وَيَسْـتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: 53]، ومنها: ﴿يَسْـتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النســاء: 127]، ومنها: ﴿وَإِذَا سَـــأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186] إذا عرفت هذا فنقول: هذه الأســئلة والأجوبة على صـور مختلفة، فالأغلب فيها أنَّه تعالى لما ذكر السـؤال قال لمحمد: قل، وفي صـورة واحدة قال: فقل، بفاء التعقيب، وفي الصــورة الثالثة ذكر السـؤال ولم يذكر الجواب، وهو قوله: ﴿يَسْـأَلُونَكَ عَنِ السَّـاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: 187]، وفي الرابعة ذكر الجواب ولم يذكر لا لفظ: قل، ولا لفظ: فقل، وهو قوله: ﴿وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، ولا بدَّ لهذه الأشـياء من الفائدة، فنقول: أمَّا الأجوبة الواردة بلفظ: قل، فلا إشــكال فيها؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿قل﴾ كالتوقيع المجرد في إثبات نبوة محمد صـلى الله عليه وسـلم، وكالتشـريف المجدد في كونه مخاطباً من الله تعالى بأداء الوحي والتبليغ. أما الصـورة الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِـفُهَا﴾ فالسـبب أنَّ قولهم: ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ سـؤال، إمَّا عن قِدَمها، وإمَّا عن وجوب بقائها، وهذه المسـألة من أمهات مسـائل أصـول الدين، فلا جرم أمر الله تعالى محمداً صـــلى الله عليه وســـلم أن يجيب بلفظ الفاء المفيد للتعقيب، كأنَّه ســـبحانه قال: أجب عن هذا السـؤال في الحال لئلا يقعوا في الشـك، فإنَّ الشـك فيه كفر، ثم كيفية الجواب أنَّه قال: ﴿فَقُلْ يَنسِـفُهَا رَبِّي﴾، ولا شك أنَّ النسف ممكن؛ لأنَّه ممكن في كل جزء من أجزاء الجبل، فيكون ممكناً في الكل، وذلك يدلُّ على أنَّه ليس بقديم، فإن قيل: إنهم قالوا: أخبرنا عن إلهك أهو ذهب [39/ب] أم فضـة أم حديد؟ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: 1]، ولم يقل: فقل، مع أنَّ هذه المسألة من المهمات، فنقول: إنَّه

تعالى لم يحك في هذا الموضع سؤالهم، وحرف الفاء من الحروف العاطفة، فيستدعي سبق كلام، فلمَّا لم يوجد فقد ترك الفاء، بخلاف هذه الصورة. وأمَّا الصورة الثالثة: وهي أنَّه تعالى لم يذكر الجواب في قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾[الأعراف: 187]، فالحكمة فيه أنَّ معرفة الساعة على التعيين مشتملة على المفاسد التي مر ذكرها فيما سبق، فلهذا لم يذكر الجواب، وذلك يدلُّ على أنَّ من الأسئلة ما لا يجاب عنها. وأما الصورة الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿**فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ ولم يذكر فيه لا: قُل، ولا: فَقُل، ففيه وجوه، أحدها: أنَّ ذلك يدل على تعظيم حال الدعاء، وأنَّه من أعظم العبادات، فكأنه تعالى يقول: يا عبدي أنت لا تحتاج إلى الواسطة في مقام الدعاء، فكأنَّه سبحانه قال: إذا سئلتَ عن غيري فقل: أنت، وإذا سئلت عني فاسكت أنت. وثانيها: أن قوله: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي**﴾ فإنه يدلُّ على أنَّ العبد له، وقوله تعالى: ﴿**فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ يدل على أنَّه للعبد. وثالثها: لم يقل: فالعبد مني قريب، بل قال: أنا منه قريب، وفيه سر، فإن العبد ممكن الوجود، فهو من حيث هو في مركز العدم وحضيض الفناء، فكيف يكون قريباً؟ بل القريب هو الحق سبحانه، فإنه بفضله وإحسانه جعله موجوداً وقرَّبه من نفسه، فالقرب منه لا من العبد. ورابعها: أنَّ الداعي ما دام خاطره مشغولاً بغير الله تعالى، فإنَّه لا يكون داعياً لله، فإذا فني عن الكل صار مستغرقاً بمعرفة الله تعالى، وفي هذا المقام رُفعت الواسطة [40/أ] من البين، فما قال: فقُل: إني قريب، بل قال: فإني قريب، ثم من شأن العبد أنَّه إذا سأل من حضرة الله شيئاً أظهر عجزه عن تحصيل ما يطلبه منه، فإنَّ إظهار العجز في الحضرة الإلهية من أعظم العبادات، فلا جرم أظهر موسى عليه السلام عجزه عن إتمام ما أمر به، فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ [طه: 25-26].

الوجه الثاني في بيان فضل الدعاء: اعلم أنَّ من الدلائل ما يدل على أنَّ الدعاء نوع من أنواع العبادة، فكما أنَّه سبحانه أمر بالصلاة والصوم، فكذلك بالدعاء، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: 186]، وقوله: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: 60]، و ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ**

تَضَـرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: 55]، فهذه الآيات وأمثالها تدلُّ على أنَّ الدعاء عبادة، ويدلُّ عليه أيضـاً من الأخبار قوله صـلى الله عليه وسـلم: « الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ »[1]، ومخ الشـيء خلاصـة ذلك الشـيء، فيكون الدعاء خلاصـة العبادة، وأمَّا قول من قال: إنَّ الدعاء على خلاف العقل، فذلك ضـعيف جداً، وإن احتج عليه بوجوه، أحدها: أنَّه علام الغيوب يعلم السـر وأخفى، فأي حاجة إلى الدعاء؟ وثانيها: أنَّ المطلوب إن كان معلوم الوقوع فلا حاجة إلى الدعاء، وإن كان معلوم اللاوقوع فلا فائدة فيه. وثالثها: أنَّ الدعاء يشبه الأمر والنهي، وذلك من العبد في حق المولى ترك الأدب. ورابعها: أنَّ المطلوب من الدعاء إن كان من المصـالح فالحكيم لا يُهمله، وإن لم تكن من المصـالح لم يجز طلبه. وخامسـها: أنَّ أعظم مقامات الصـدِّيقين الرضـا بقضـاء الله والدعاء ينافي ذلك، وسـادسـها: قال صـلى الله عليه وسـلم رواية عن الله سبحانه: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ»[2]، فدلّ [40/ب] أنَّ الأولى ترك الدعاء. وسابعها: أنَّ إبراهيم عليه السلام لما ترك الدعاء واكتفى بقوله: حسبي من سؤالي علمه بحالي اسـتحق المدح، وذلك يدلُّ على أنَّ الأولى ترك الدعاء. فيقال في الجواب عن الأول: إنَّه ليس الغرض من الدعاء الإعلام، بل نوع تضرع كسائر التضرعات. وعن الثاني: أنَّه يجري مجرى قول الجائع: إن كان الشبع معلوم الوقوع فلا حاجة إلى الأكل، وإن كان معلوم اللاوقوع فلا فائدة، وهذا في جملة ما مر الكلام فيه، أنَّ فعل العبد على حسـب ما يعلمه في الظاهر، لا بحسـب ما لا يعلمه من الوقوع واللاوقوع. وعن الثالث: أنَّ الصيغة وإن كانت صيغة الأمر، إلا أنَّ صورته صورة التضرع والخشوع، فيصرفه ذلك. وعن

---

[1] أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، **الدعاء**، باب تأويل قول الله عز وجل {ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} [غافر: 60]، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ)، 24، حديث رقم: 8. الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: منه، 456/5، حديث رقم: 3371. ضعيف.

[2] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، **التاريخ الكبير**، باب: بُكَيْرٍ، (الرياض: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1440هـ)، 2/ 519، حديث رقم: 1871. والبيهقي، **شعب الإيمان**، فصل: في إدامة ذكر الله تعالى، 2/ 96، حديث رقم: 569، ضعيف.

الرابع: يمكن أن يصير من المصالح بشرط سبق الدعاء. وعن الخامس: أنَّه إذا دعا إظهاراً للتضرع، ثم رضي بما قدَّره الله فذلك أعظم المقامات، وهو الجواب عن الوجوه الباقية. واعلم أنَّ الوجوه الدالة على فضيلة الدعاء متعددة غاية التعداد، والله تعالى بالغ في بيان هذه الفضيلة لما بين أنَّه يغضب إذا لم يُسأل، فقال: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنعام: 43] الآية، ثم إنَّه تعالى جعل العباد على أقسام كثيرة، منها: أن يكون عند العصمة ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الإسراء: 64]، ومنها: عند الصفوة ﴿**وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾[النمل: 59]، ومنها: عند البشارة ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ**﴾[الزمر: 17]، ومنها: عند الكرامة ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ [الزخرف: 68]، ومنها: عند القربة ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾[البقرة: 186]، وكان موسى عليه السلام مخصوصاً بالعصمة ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ ومخصوصاً بالصفوة ﴿**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ**﴾[الأعراف: 144]، ومخصوصاً بالبشارة ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ**﴾[طه: 13]، ومخصوصاً [41/أ] بالكرامة ﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه: 46] ومخصوصاً بالقربة ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً**﴾[مريم: 52] فأراد موسى عليه السلام مزيدَ العصمة والصفوة والبشارة والكرامة والقربة، فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾[طه: 26-27].

الفصل الثالث في قوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾

وفيه وجوه: أحدها: أنَّ الله تعالى لما خاطبه بالأشياء الستة، وهي معرفة التوحيد ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا**﴾ العبادة ﴿**فَاعْبُدْنِي**﴾ معرفة الآخرة ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**﴾ حكمة أفعاله في الدنيا ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾ عَرْضُ المعجزات القاهرة ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا**﴾ إرساله إلى أعظم الناس عُتوّاً ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾ فكانت هذه التكاليفُ الشاقة سبباً للقهر، فأراد موسى عليه السلام جَبْرَ هذا القهر بفَخْرِ

القرب منه، فقال: ﴿**رَبِّ اشْـرَحْ لِي صَـدْرِي**﴾. وثانيها: أراد الذهاب إلى فرعون، فأراد أن يقطع طمع الخلق عن نفسه بالكلية، فعرف أنَّ من دعائه قربة له وهدية لديه، فحينئذ قطع الطمع عن الخلق، فقال: ﴿**رَبِّ اشْـرَحْ لِي صَـدْرِي**﴾. وثالثها: الوجود كالنور والعدم كالظلمة، وكلُّ ما سوى الحق فهو في حكم العدم ﴿**كُلُّ شَـيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: 88] فالكل كأنهم في ظلمات العدم، فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ حتى يسكن قلبي في بَهْوِ ضوء المعرفة ووسادة شرح الصدر، والسَّاكنُ في الضوء لا يرى من كان ساكناً في الظلمة، فلا يَرى أحداً في الوجود فلهذا عقبه بقوله: ﴿**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾، فإنَّ العبد في مقام الاستغراق لا يتفرغ لشيء من المهمات. ورابعها: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ فإنَّ عين العقل ضعيفة فأطْلِع يا إلهي شمس التوفيق حتى أرى كل شيء كما هو، وهذا في معنى قول محمد صلى الله عليه وسلم: «أَرِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ »[1]. وخامسها: قال موسى عليه السلام [41/ب] ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾، وقال محمد: «أرنا الأشياء كما هي»، وشرحُ الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الإلهية في القلب، والاستماعُ مقدمة للفهم الحاصل من سماع الكلام، فالله تعالى أعطى موسى المقدمة، وهي قوله: ﴿**فَاسْـتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ**﴾، فلا جرم نسج موسى عليه السلام على ذلك المنوال، فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾، وهذا طلبٌ للمقدمة، ولما آل الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم قيل له: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ والعلم هو المقصود من شرح الصدر، فلما كان موسى كالمقدمة لمقصود محمد صلى الله عليه وسلم لا جرم أُعطي نبيُّنا المقصود، فسبحانه ما أدقَّ حكمتَه في كل شيء. وسادسها: للداعي صفتان، أحدهما: أنْ يكون عبد القرب ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: 186]، والثاني: أن يكون الرب له ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: 60]، أضاف نفسه إلينا وما أضافنا إلى نفسه، فالمشتغل بالدعاء

[1] لم أقف على حديث باللفظ المذكور، وورد في صيد الخاطر قال:" قد جاء في الأثر: اللهم! أرنا الأشياء كما هي! وهذا كلام حسن غاية...." ابن الجوزي ، **صيد الخاطر**، فصل: اللهم أرنا الأشياء كما هي، 429/1، حديث رقم: 1393.

قد صار كاملاً من هاتين الصفتين، فأراد موسى عليه السلام أن يرتع في هذا البستان فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾. وسابعها: أنَّ موسى شرّفه الله بقوله: ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً**﴾ [مريم: 52] فكأنّ موسى عليه السلام قال: إلهي لما قلت ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً**﴾ صرت قريباً منك، ولكني أريد قربك مني، فقال تعالى: يا موسى أما سمعت قولي: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ فادعُني حتى أصير قريباً منك، فعند ذلك قال موسى: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾، وقال لمحمد: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾[الإنشراح: 1]، ثم إنَّه تعالى ما تركه على هذه الحالة، بل قال: ﴿**وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾[الأحزاب: 46] فانظر إلى التفاوت بين محمد وموسى كالتفاوت بين الآخذ والمعطي، ثم نقول: إلهنا، كلمة لا إله إلا الله نور، والتوفيق نور، والصلاة نور، والصبر نور، والجنة نور، فبحق [42/أ] أنوارك التي أعطيتنا لا تحرمنا أنوار فضلك وإحسانك يوم القيامة. الفصل الرابع في قوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرْحِ الصَّدْرِ فَقَالَ: نُورٌ يُقْذَفُ فِي الْقَلْبِ، فَقِيلَ: وَمَا أَمَارَتُهُ فَقَالَ: التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ النُّزُولِ»[1]، ويَدُلّ على أنَّ شرح الصدر عبارة عن النور قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ [الزمر: 22]. واعلم أنَّ الله نور ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور، أحدها: وصف ذاته بالنور ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [النور: 35]. وثانيها: الرسول ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾[المائدة: 15]. وثالثها: القرآن ﴿**وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ**﴾[الاعراف: 175]. ورابعها: الإيمان ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ**﴾[التوبة: 32]. وخامسها:

---

[1] أخرجه البيهقي من طرق عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام} قال «إذا أدخل الله النورَ القلبَ انشرحَ وانفسحَ. قالوا: فهل لذلك من آية يعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت». البيهقي، **شعب الإيمان**، باب: الزهد وقصر الأمل، 13/ 133، حديث رقم: 10068. وابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **قصر الأمل**، باب المبادرة بالعمل، (بيروت: دار ابن حزم، ط2، 1417هـ)، 99، حديث رقم: 131.الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الرقائق، 4/ 346، حديث رقم: 7863، ضعيف.

عدل الله ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾ [الزمر: 69]. وسادسها: ضياء القمر ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نوراً**﴾[نوح: 16]. وسابعها: النهار ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ [الأنعام: 1]. وثامنها: البيّنات ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾[المائدة: 44]. وتاسعها: الأنبياء ﴿**نّورٌ عَلَىٰ نُورٍ**﴾[النور: 35]. وعاشرها: المعرفة ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾[النور: 35]، إذا ثبت هذا فنقول: كأنّ موسى عليه السلام قال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ باتباع وحيك وامتثال أمرك ونهيك، رب اشرح لي صدري بنور الإيمان بك، والإيقان بعظمة حضرتك، رب اشرح لي صدري بالاطلاع على أسرار عدلك في تحكمك، رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك إلى نور جلال عزتك، رب اشرح لي صدري من مطالعة نهارك وليلك إلى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك، رب اشرح لي صدري بالاطلاع [42/ب] على مجامع آياتك ومعاقد بيّناتك في أرضك وسماواتك، رب اشرح لي صدري في أن أكون خَلَف صدق الأنبياء المتقدمين، ومتشبهاً في الانقياد لحكم رب العالمين، رب اشرح لي صدري بأن تجعل سراج الإيمان في قلبي كالمشكاة التي فيها المصباح. واعلم أنَّ شرح الصدر عبارة عن إيقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج، وذلك النور كالنار، ومعلوم أنَّ من أراد أن يستوقد سراجاً احتاج إلى سبعة أشياء: زَنْد، وحجر، وحُرّاق، وكبريت، ومِسْرجة، وفتيلة، ودُهن، فالعبد إذا طلب النور الذي هو سراج الصدر، فلا بد له من زَنْد المجاهدة ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**﴾[العنكبوت: 69] ومن حجر التضرع ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾[الأعراف: 55] ومن حُرّاق منع الهوى ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[النازعات: 40]، ومن كبريت الإنابة ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ**﴾[الزمر: 54]، ومن مِسْرجة الصبر ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة: 45]، ومن فتيلة الشكر ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[إبراهيم: 7]، ومن دُهن الرضا ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**﴾[الطور: 48]، أي: ارض بقضائه، فإذا حصّلت هذه الأدوات فلا تعوّل عليها، بل ينبغي ألا تطلب المقصود إلا من الله تعالى ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ**

رَحْمَةٍ﴾ [فاطر: 2] ثم اطلبها بالخشوع والخضوع ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْساً**﴾[طه: 108]، فعند ذلك ترفع يد التضرع، وتقول: رب اشرح لي صدري، فهنالك تسمع قد أوتيت سؤلك يا موسى. ثم اعلم أن هذا النور المسمى بشرح الصدر أفضل من نور الشمس بوجوه عشرة، أحدها: الشمس يحجبها غمامة وشمس المعرفة لا يحجبها شيء. وثانيها: الشمس تغيب ليلاً وشمس المعرفة لا تغيب أصلاً. وثالثها: [43/أ] الشمس تتغير ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ [التكوير: 1]، وشمس المعرفة لا تتغير. ورابعها: الشمس إذا قابلها القمرُ انكسفت، وشمس المعرفة إذا قابلها نور العبادة أشرقت. وخامسها: الشمس تسوّد الوجوه، وشمس المعرفة تبيضها ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران: 106]. وسادسها: الشمس تصَدِّع والمعرفة تصعَد ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: 10]. وسابعها: الشمس في السماء زينة لأهل الأرض، والمعرفة في الأرض زينة لأهل السماء. وثامنها: الشمس تنفع للأعداء وغير الأعداء، والمعرفة لا تنفع إلا للأولياء، وتاسعها: الشمس فانية، والمعرفة باقية. وعاشرها: الشمس تُعَرِّف صفات الخلق، والمعرفة تُعَرِّف صفات الخالق. ولنقتصر على هذا القدر، فإن المرجحة كثيرة في هذا الباب، والبيان يفضي إلى الإطناب، ثم المعرفة لما كانت متصفة بهذه الصفات النفيسة توجه إليها موسى، وقال: ﴿**رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾. وأما النكت فكثيرة أيضاً، منها: أنَّ الشمس سراج استوقدها الله تعالى في السماء لِتُزيل الظلمة عن الشك مع بُعدها عنك، والمعرفة سراج أوقدها الله تعالى في قلب المؤمن، أفلا تزيل ظلمة المعصية والكفر عن القلب مع قربها منك. ومنها: من استوقد سراجاً فإنه لا يزال يتعهده ويُمِدُّه، والله تعالى أوقد سراج المعرفة ولكن الله حبب إليكم الإيمان، أفلا يمده؟ وهو معنى قوله: رب اشرح لي صدري. ومنها: السراج يدفع ضرراً للصوص، فسراج المعرفة أفلا يدفع ضرر الشياطين، فلهذا قال: رب اشرح لي صدري. ومنها: أن المجوس أوقدوا ناراً لمصلحة هي على وفق اعتقادهم فلا يريدون إطفاءها [43/ب]، فالملك القدوس أوقد سراج المعرفة في قلب المؤمن لحكمة بالغة ومصلحة سابغة،

فكيف يريد إطفاءها ويرضى بذلك؟. واعلم أنَّه تعالى أعطى قلب المؤمن عشر كرامات، أحدها: الحياة ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام: 122]، فلما رغب موسى عليه السلام في الحياة الروحانية، قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾. وثانيها: الشفاء ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾[التوبة: 14]، فلما رغب موسى عليه السلام في الشفاء رفع الأيدي، وقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾[طه: 25]. وثالثها: الطهارة ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**﴾[الحجرات: 3]، فلمَّا رغب موسى في ازدياد طهارة التقوى قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، وعلى هذا قال في الرابع منها، وهو الهداية: ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابن: 11]. وفي الخامس: وهو الكتابة: ﴿**أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾[المجادلة: 22]، وفي السادس: وهو السكينة ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح: 4]. وفي السابع، وهو المحبة والزينة ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: 7]. وفي العاشر: وهو الطمأنينة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: 28]، ثم في كل قسم من هذه الأقسام نكتة لائقة بالوعظ والنصيحة، كما يقال في الأُولى منها: «إنَّ العبد إذا أحيا أرضاً ميتة فهي له، وهو في حفظها» [1]، فالرب سبحانه لما أحيا أرضاً ميتة، وهي قلب الكافر، كان ذلك القلب له وهو في حفظه وعنايته لا محالة. وفي الثاني: أنَّه تعالى لما وضع الشفاء في العسل بقي شفاء أبداً، فلما وضع الشفاء في الصدر كيف لا يبقى. وفي الثالث: أنَّ الصائغ إذا امتحن الذهب بالنار مرة، فلا يُدخله بعد ذلك في النار، فالصانع لما امتحن قلب المؤمن [44/أ] فكيف يُدخله النار؟ وعلى هذا يُذكر في كل قسم ما يناسبه ويليق به، وذلك يُعرف بالتأمل. ولما عرفتَ حقيقة شرح الصدر للمؤمنين فاعرفْ ما كان على الصدر في قلوب الكافرين، ومنها: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[الصف: 5]. ومنها: ﴿**ثُمَّ انصَرَفُوا**

[1] ورد في الحديث الشريف:«مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ.». الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات، 654/3، حديث رقم: 1378. صحيح.

صَـــرَفَ اللَّه قُلُوبهمْ﴾ [التوبة: 127] ومنها: **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾**[البقرة: 10]. ومنها: **﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِـــيَةً﴾**[المائدة: 13]. ومنها: **﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾**[الأنعام: 25]. ومنها: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** [البقرة: 7]. ومنها: **﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: 24]. ومنها: **﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾** [المطففين: 14]. ومنها: **﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾** [النساء: 155][1].

الفصل الخامس في حقيقة شرح الصدر

العلماءُ ذكروا فيه وجهين: أحدهما: ألا يبقى للقلب التفاتٌ إلى الدنيا، لا بالرغبة ولا بالرهبة، أمَّا الرغبة: فهي أن يكون متعلق القلب بالأهل والولد، وبتحصيل مصالحهم ودفع المضارّ عنهم، وأمَّا الرهبة فهي: أن يكون خائفاً من الأعداء والمنازعين، فإذا شرح الله صدره، صَغُرَ كلَّما يتعلق بالدنيا في عين همته، ولا تدعوه رغبة إليها، ولا تمنعه رهبة عنها، فيصـــير الكل عنده كالعدم، وحينئذ يميل القلب بالكلية إلى طلب مرضاة الله تعالى، فسأل موسى عليه السلام ربه أن يشرح صدره، بأن يُوقفه على طلب الدنيا وقبح صـــفاتها، حتى يصـــير قلبه نافراً عنها، فإنه إذا حصـــلت النفرة توجه إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات بالكلية. الثاني أنَّ موسى عليه السلام لما نُصِّب ذلك المنصب العظيم، احتاج إلى تكاليف شاقة، منها: ضبط الوحي، والمواظبة على خدمية الخالق سبحانه. ومنها: إصلاح العالم الجسداني، فكأنَّه صار مكلفاً بتدبير العالمين الجسداني [44/ب] والروحاني، والالتفات إلى أحدهما يمنع الاشتغال بالآخر، وأنَّ موسى عليه السلام كان محتاجاً إلى الكل، ومن استأنس بالحق استوحش عن الخلق، فسأل موسى أن يشرح صدره بأن يفيض عليه كمالاً من القوة، لتكون قوته وافية بضبط إصلاح العالمين، فهذا هو المراد من شرح الصـــدر، ثمَّ العلماء ذكروا لهذا المعنى أمثلة، منها: أنَّ البدن بالكلية كالمملكة، والصـــدر كالقلعة، والفؤاد

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/30-32-33-إلى 39.

كالقصـر، والقلب كالتَخْت، والروح كالمِلك، والعقل كالوزير، والشـهوة كالعامل الكبير الذي يجلُب النعم إلى البلدة، والغطب كالشحنة يشتغل بالضرب والتأديب أبداً، والحواس كالجواسيس، وسائر القوى كالعملة والصُّناع، ثمَّ إن الشيطان خَصْمٌ لهذه الولاية، ولهذه القَلْعة، ولهذا الملك، فإنَّ الشيطان كالسلطان، والهوى والحرصُ وسائر الأخلاق الذميمة جنوده، فكما أنَّ الوزير وهو العقل يدعو إلى خدمة حضرة الله سبحانه، فالهوى يدعو إلى متابعة الشـيطان، وكما أنَّ الروح وهو الملك أخرج الفِطنة وأمدَّها بالفكرة ليقف على الحاضـر والغائب، قال عليه السـلام: «تَفَكُّرُ سَـاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَـنَةٍ»[1]، فالشـيطان أخرج في مقابلة الفكرة الغفلة، ثم أخرج الروحُ التوقفَ والعلم والثبات، فإنَّ العجلة تُرِي الحسـن قبيحاً، والقبيح حسـناً، والعلم يُوقف العقلَ على فتح الدنيا، فأخرج الشيطان في مقابلة التوقف والعلم العجلة والسرعة، فلهذا قال صـلى الله عليه وسـلم: «ما دَخَلَ الرِّفْقُ في شـيءٍ إلا زانَه، ولا الخُرق إلا شـانَه»[2]، ولهذا أيضـاً خلق الله السموات [45/أ] والأرض في ستة أيام، وهذه هي الخصومة الحاضرة بين الطائفتين والصدرُ هو المعركة، ثم لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقٌ وهو الزهد في الدنيا، ولها سور، وهو الرغبة في الآخرة، ومن المعلوم أنَّ الخندق إذا كان عميقاً، والسـور إذا كان قوياً عالياً، كان عجز الخصـم عن الدخول أغلب وأكثر، ولو كان على العكس، فالأمر على العكس فاعتبر بما عرفت. الفصـل السـادس في الصـدر: اعلم أنه يجيء والمراد منه القلب، قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ [الزمر: 22]، وقد يجيء والمراد منه الفضاء الذي فيه الصدر قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[

---

[1] هذا ليس بحديث، وإنما هو من كلام السلف. علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، ١٣٩٨هـ)، 82، حديث رقم: 94. محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي الطرابلسي الحنفي، **اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، ١٤١٥ هـ)، 66، حديث رقم: 151، موضوع.

[2] لم أجده بلفظه وأخرجه مسلم بلفظ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»، والبزار بلفظ: ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء قط إلا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق. مسلم، صحيح **مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، 4/ 2004، حديث رقم: 2594.

الحج: 46]، واختلف الناس في أنَّ محل العلم هو القلب أو الدماغ، وجمهور المتكلمين على أنَّه هو القلب، وسيأتي ذكر هذه المسألة في سورة الشعراء عند قوله: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾[الشعراء: 192]. ومنهم من قال: المراتب أربع: الصدر، والقلب، والفؤاد، واللُّبّ، فالصدر مقرُّ الإسلام ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ [الزمر: 22]، والقلب مقرُّ الإيمان ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[الحجرات: 7]، والفؤاد مقرُّ المعرفة ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم: 11] واللُّبّ مقرُّ التوحيد ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[الرعد: 19]. واعلم أنَّ القلب أوَّلُ ما بعث إلى هذا العالم بعث خالياً عن النفس، كاللوح الساذج، وهو في عالم البدن كاللوح المحفوظ، ثم إنَّه تعالى يكتب فيه بقلم الرحمة والعظمة جميع ما يتعلق بعالم العقل من نقوش الموجودات، وصور الماهيات، وذلك يكون كالسطر الواحد إلى آخر قيام القيامة لهذا العالم الأصغر [45/ب] حتى لا يُكلّم غيره إلا بإذنه. قال الإمام فخر الدين: هنا مسائل، المسألة الأولى: اعلم أنَّ النطق فضيلةٌ عظيمة يدلُّ عليه وجوهٌ، أحدها: قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [البقرة: 4-5]، ولم يقل: وعلمه البيان؛ لأنَّه إذا عطفه عليه كان مغايراً له، أمَّا إذا ترك حرف العطف صار قولُه: ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ كالتفسير لقوله: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ**﴾ كأنَّه إنما يكون خالقاً للإنسان إذا علمه البيان، وذلك يرجع إلى الكلام المشهور من أنَّ ماهية الإنسان هي الحيوان الناطق. وثانيها: اتفق العقلاء على تعظيم أمر اللسان، قال زهير[1]:

لِسانُ الفَتى نِصْفٌ وَنِصفٌ فُؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صُورَةُ اللّحمِ والدّمِ

[1] زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية، وأحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، ، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، توفي سنة (631) لميلاد المسيح عليه السلام. الزركلي، **الأعلام**، 52/3.

وقالوا: ما الإنسان لولا اللسان لكان بهيمةً مُرْسَلةً أو صورةً مُمَثَّلَة، يعني لو أزلْنا الإدراك الذهني والنطق اللساني لم يبق من الإنسان إلا القَدْرُ الحاصلُ في البهائم. وقالوا: المرء بأصغريه، قلبِه ولسانِه[1]، وقالوا: المرء مخبوٌّ تحت لسانه[2]. وثالثها: أنَّ في مناظرة آدم مع الملائكة ما ظهرت الفضيلةُ إلا بالنطق حيث قال تعالى: ﴿**يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة: 33]. ورابعها: أنَّ الإنسان جوهر مركّب من الروح والقلب، وروحُه من عالم الملائكة، فهو يستفيد أبداً صور المغيبات من عالم الملائكة، ثم بعد ذلك يفيضها إلى عالم الأجسام، وواسطته في تلك الاستفادة هي العلم الذهني، وواسطته في هذه الإفادة هي النطق اللساني، فكما أنَّ تلك الواسطة أعظم العبادات، حتى قيل: تفكر ساعةٍ خير من عبادة سنة[3]، فكذا الواسطةُ في الإفادة يجب أن تكون [47/أ] أشرف الأعضاء، فقوله: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ إشارة إلى طلب النور الواقع في الروح، وقوله: ﴿**وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي**﴾، إشارة إلى تسهيل ذلك التحصيل، وعند ذلك يحصل الكمال في تلك الاستفادة الروحانية، فلا يبقى بعد ذلك إلا المقامُ الثاني، وهو إفاضة ذلك الكمال على الغير، وذلك لا يكون إلا باللسان، فلهذا قال: ﴿**وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي**﴾. وخامسها: وهو أنَّ العلم أفضل المخلوقات على ما عُرف، والجودُ والإعطاء أفضل الطاعات، فاليدُ لما كانت آلة في العطية الجسمانية، قيل: اليدُ العليا خير من اليد السفلى، فالعلم الذي هو خير من المال، كان آلة إعطائه أشرف الأعضاء – ولا شك أنَّ اللسان هو الآلة في إعطاء المعارف – فيجب أن يكون أشرف الأعضاء، ومن الناس من مدح الصمت بوجوه: أحدها:

---

[1] ذكره أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ)، 4/ 271.

[2] من قول علي، رضي الله عنه. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ)، 96/2.

[3] محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني، **تذكرة الموضوعات**، (مصر:إدارة الطباعة المنيرية، ط1، 1343هـ)، 188، موضوع.

قوله صلى الله عليه وسلم: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»[1]. وثانيها: أنَّ الكلام على خمسة أقسام، إما نفع محض، وإما ضـرر محض، وإما أن يكون النفع فيه مسـاوياً مع الضـرر، وإما أن يكون النفع راجحاً، وإما أن يكون على العكس، والأكثر من هذه الأقسام واجب الترك، فيكون تركه أولى. وثالثها: أنَّه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق معلوم أو موهوم إلا واللسان يتناوله، ويتعرض له، إمَّا بإثبات وإما بنفي، فإن كان ما يتناوله الضـمير عبّر عنه باللسـان بحق أو باطل، فهذه خاصـية لا توجد في سـائر الأعضـاء، فيكون في اللسان ما لا يكون في الغير، وحينئذ يلزم أن يكون ترك الكلام أولى. ورابعها: قالوا: ترك الكلام له أربعة أسماء: الصمت، والسكوت، والإنصات، والإصاغة، أمَّا الصمت فهو أعمها، لأنَّه يستعمل فيما يقوى [47/ب] على النطق، وفيما لا يقوى عليه، ولهذا يقال: مالٌ ناطق، وصـامتٌ، وأمَّا السـكوت، فهو ترك الكلام ممن يقف على الكلام، وأمَّا الإنصات فهو سكوتٌ مع استماع، ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له: إنصات، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا**﴾ [الأعراف: 204]، وأمَّا الإصاغة فهي استماع إلى ما يصعب إدراكه. واعلم أنَّ الصمت عدمٌ ولا فضيلة فيه، بل النطق في نفسه فضيلة والرذيلة فيما يتعلق به، ولولاه لما سأل كليم الله في قوله: ﴿**وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾. المسألة الثانية: اختلفوا في تلك العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام على قولين: أحدها: كان ذلك التعقد خلقياً، فسأله الله تعالى إزالته. وثانيهما: أنَّ السـبب فيه أنَّه عليه السـلام أخذ لحية فرعون ونتفها، فهمَّ فرعون بقتله، وقال: هذا هو الذي يزول ملكي على يده، فقالت آسية: إنَّه صبي لا يعقل، وعلامتُه أن يُقَرّب إليه التمرةُ

[1] أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيبان، **الزهد**، بقية زهد عيسـى عليه السـلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1420هـ)، 88، حديث رقم: 545. وورد أنه من قول لقمان الحكيم. عبد الله بن وهب بن مسـلم القرشـي، أبو محمد المصـري، **الجامع في الحديث**، في الكلام لما لا ينبغي ولا يحسـن، (الرياض: مكتبة ابن الجوزي، ط 1، 1416هـ)، 507، حديث رقم: 394.

والجمرةُ فقُرّبا إليه فأخذ الجمرة فجعلها في فيه، وهؤلاء اختلفوا، منهم من قال: لم تحترق اليد ولا اللســـانُ؛ لأنَّ اليد آلة أخذ العصـــا، وهي الحجة، واللســـان آلة الذكر فكيف تحترق؟. ومنهم من قال: احترق اليد دون اللســـان؛ لئلا يحصـــل بينهما حق المؤاكلة والممالحة. ومنهم من قال: احترق اللســـان دون اليد لأنَّ الوُصْـلة طَهرَتْ باليد، أما اللســان فقد خاطبه بقوله: يا أبت. ومنهم من قال: احترق اليدُ واللســان كيلا يحصل المؤاكلة ولا المخاطبة. المسألة الثالثة: اختلفوا في أنَّه عليه السلام لِـــمَ طلب حل تلك العقدة على وجوه؟ منها: لئلا يقع في أداء الوحي خلل. ومنها: لإزالة النفور لأن العقدة في اللســـان قد يُفضـــي إلى الاســتحقار [48/أ] بقائلها، وعدم الالتفات إليه. وثالثها: لإظهار المعجزة، فكما أن حَبس لســان زكريا عليه السلام كان معجزاً في حقه، فكذا إطلاق لسان موسى عليه السلام معجز في حقه. ورابعها: طلب السـهولة لأن إيراد مثل هذا الكلام على مثل فرعون في جبروته عَسِـرٌ جداً، فإذا انضـم إليه تعقُّد اللسـان بلغ العسر إلى النهاية، فسأل ربه إزالة تلك العقدة تخفيفاً وتسهيلاً، المسألة الرابعة: قال الحسن رحمه الله: إن تلك العقدة زالت بالكلية، بدليل قوله: ﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُـؤْلَكَ يَا مُوسَـى**﴾، [طه: 36] وهو ضـعيف؛ لأنَّه عليه السلام لم يقل: واحلل العُقَد من لساني، بل قال: ﴿**وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾، فإذا حلَّ عقدة واحدة فقد آتاه الله سؤله. والحق أنَّه انحل أكثر العقدة، وبقي منها شيء؛ لقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ [الزخرف: 52]، أي: يقارب ألا يبيّن، وفي ذلك دلالة على أنَّه كان يبين مع بقاء قدْرٍ من الانعقاد في لســـانه، وأجيب عنه من وجهين: أحدهما: المراد بقوله: ﴿**وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾، أي: لا يأتي ببيان وحجّة، وثانيها: أنَّ كادَ بمعنى قَرُب، فلو كان المراد هو البيان اللســـاني لكان معناه: أنَّه لا يقارب البيان، فكان فيه نفي البيان بالكلية، وذلك باطل؛ لأنَّه خاطب فرعون، والجمع كانوا يفهمون، فكيف يمكن نفي البيان أصـــلاً؟ بل إنما قالوا ذلك تمويهاً ليصـــرفوا الوجوه عنه، قال أهل الإشارة: إنما قال: ﴿**وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾؛ لأنَّ حل العُقَد كلها نصيب محمد صلى

الله عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [الأنعام: 152]، فلما كان ذلك حقاً ليتيم أبي طالب، لا جرم ما دار حوله[1]. وقال الزمخشري: واختلف في زوال العقدة بكمالها، فقيل: بقي بعضها، لقوله تعالى: ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً**﴾ [48/ب]، وقوله: ﴿**وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رُتّةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وَرِثَها مِنْ عَمِّهِ مُوسَى »[2]، وقيل: زالت لقوله: ﴿**قَد أُوتِيتَ سُؤلكَ**﴾، وفي تنكير العقدة ولم يقل: واحلل عقدة لساني أنَّه طلب حل بعضها إرادةَ أنْ يُفْهَمَ عنه فَهْماً جيّداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، ومن لساني صفةٌ للعُقدة كأنَّه قيل: عُقْدةً من عقد لساني. انتهى[3]. وقال السلمي في تفسيره: قوله: واحلل عقدة من لساني، قال بعضهم: سأله حَلَّ عُقدة الحياء، فإنه استحيا أن يخاطب عدو الله فرعون بلسان به الحق. انتهى[4]. ﴿**يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ [طه: 28] عند تبليغ الرسالة. المطلوب الرابع: قوله: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي**﴾[طه: 29] أي: معيناً وظهيراً أعتمد عليه. اعلم أنَّ طلب الوزير، إمَّا أن يكون لأنَّه خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الأمر، أو لأنَّه رأى أنَّ التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الودِّ وزوال النهمة له مزيَّةٌ عظيمة في أمر الدعاء إلى حضرة الله تعالى، ولذلك قال عيسى عليه السلام: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إلى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾[آل عمران: 52]، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الأنفال: 64]، وقال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ لِي فِي السَّمَاءِ وَزِيرَيْنِ وَفِي الْأَرْضِ وَزِيرَيْنِ، فَاللَّذَانِ فِي السَّمَاءِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَاللَّذَانِ فِي

---

[1] بتصرف، الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/39-40-41-42-43-44.

[2] الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، الفصل التاسع في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من الغزوات، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط1، 1414هـ)، 352/2، حديث رقم: 788، غريب جدًّا.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 61/3.

[4] السلمي، **حقائق التفسير**، 442/1.

الْأَرْضِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[1]. وهنا مباحث: الأول: الوزيرُ من الوِزْر الثقل؛ لأنَّه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه، أو من الوَزاري الملجأ؛ لأنَّ الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، أو هو من المؤازرة وهي المعاونة. الثاني: في كتاب النسائي عن القاسم بن محمد [2] سمعت عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلاً فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيراً صَالِحاً [49/أ] إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»[3]، ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تعالى». رواه البخاري[4]رحمه الله[5].

---

[1] أخرجه الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 2/ 290، حديث رقم: 3047. وأخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»، **سنن الترمذي**، باب: مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق، 5/ 583، حديث رقم: 7680، ضعيف.

[2] هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن، من خيار التابعين ، ثقة عالماً فقيهًا، أحد فقهاء المدينة السبعة، كان من أفضل أهل زمانه، توفي: سنة 101هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 59/4. المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، 435/23.

[3] أخرجه النسائي، **المجتبى من السنن**، كتاب البيعة، باب: وزير الإمام، 159/7، حديث رقم: 4204، وأبو داود، **سنن أبي داود**، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب: في اتخاذ الوزير، 431/5، حديث رقم: 2932، صحيح.

[4] هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري، وكان حاد الذكاء مبرزا في الحفظ . رحل في طلب الحديث ، وسمع من نحو ألف شيخ بخراسان والشام ومصر والحجاز وغيرها . من مصنفاته: "الجامع الصحيح" الذي هو أوثق كتب الحديث ، التاريخ ، الضعفاء ، الأدب المفرد ، وغيرها .توفي سنة: 256هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 10 /79. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 2 /104. الزركلي، **الأعلام**، 6 /34.

[5] أخرجه البخاري، صحيح **البخاري**، كتاب المغازي، باب: حجة الوداع، 5/ 167، حديث رقم: 4402. والنسائي، **المجتبى من السنن**، كتاب البيعة، باب: بطانة الإمام، 7/ 158، حديث رقم: 4202.

وكان أنُوشروان[1] يقول: لا يستغني أجودُ السيوف عن الصقل، ولا أكرمُ الدواب عن السَّوط، ولا أعْلَمُ الملوك عن الوزير. انتهى [2]. قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: الاستعانة بالوزير إنما يحتاج إليها الملوك لقصور عقلهم وصلاحهم، فأما الرسول المكلف بتبليغ الوحي من حضرة الله سبحانه فمن أين يحتاج إليها؟ والجواب: قد مرَّ من قبل أنَّ التعاون على الأمر والتظاهر عليه مع مخالصة الودِّ وزوال التهمة له مزية عظيمة في أَمْر الدعاء إلى الله تعالى. المطلوب السادس: أن يكون الوزير من أهله أخاه هارون، فقال: "هَارُونَ"، وإنما سأل ذلك؛ لأنَّ التعاون على الدِّين منفعة عظيمة، فأراد ألا تحصل هذه الدرجة إلا لأهله، ولأنَّ كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه، والموافقة له، وقوله: "هَارُونَ" عطف بيان لـ "وَزِيراً"، ووقوله: "أَخِي" بدل أو عطف بيان آخر، و"وَزِيراً" مفعول أول لـ: ﴿**وَاجْعَل**﴾، والمفعول الثاني قوله: "مِنْ أَهْلِي" أو قوله: "لِّي وَزِيراً" مفعولاه، أو"وَزِيراً" و"هَارُونَ" مفعولاه، وقدَّم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة. دعا موسى الله تعالى أن يجعل له وزيراً من أهله، لأنَّه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة، حتى لا يكون شريكاً له في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة، وعيّن فقال: هارون. واعلم أن هارون كان مخصوصاً بأمور: منها: الفصاحة؛ لقوله: ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً**﴾ [القصص: 43]. ومنها: أنه كان أكبر سنّاً منه، فقيل: كان أكبرَ من موسى [49/ب] بسنة، وقيل: بثلاث سنين. قال القرطبي: وكان هارون أكثر لحماً من موسى، وأتمَّ طولاً وأبيض جسماً، وأفصح لساناً، ومات قبل موسى بثلاث سنين، وكان في جبهة هارون شامةٌ، وعلى أرنبة أنف موسى شامةٌ، وفي طرف لسانه شامةٌ،

---

[1] هو كسرى الأول أنو شروان بن قباد، كان أعظم ملوك الساسانيين جميعاً، عادلاً مصلحاً. قام على إصلاح الحال في مملكته، فأمر بوضع دستور جديد للجباية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل، استراح الخلق في عصره وترفهوا، وأمر بإصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالإنصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعادل، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحكم والأمثال والعظات إلى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها، كما ولى النواحي الروحية عنايته كذلك، فأعاد الزردشتية القديمة. مات سنة: 579هـ. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت: دار الساقي، ط4، 1422هـ)،160/7. البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد، **روضة أولي الألباب في معرفه التواريخ والأنساب**، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2007 م)، 76/1.

[2] بتصرف، الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/ 44-45.

ولم تكن على أحد قبله ولا تكون على أحد بعده. وقيل: إنَّه سبب العُقْلة في لسانه، فالله أعلم. انتهى كلامه[1]. وفي معالم التنزيل: وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، كان أفصح منه لساناً، وأجمل وأوسم أبيض اللون، وكان موسى آدم، أقنى جعْداً، انتهى[2]. قال الإمام فخر الدين: وكان في هارون رفق بالغٌ؛ لقوله: ﴿**يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾ [طه: 94]. المطلوب السابع: قوله: ﴿**اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**﴾ [طه: 31]، قَوِّ به ظهري، وقيل: الأَزْرُ القوة، إنَّه عليه السلام لما طلب من الله تعالى أن يجعل هارون وزيراً له سأل منه أن يشُدَّ أزْرَه ويجعله ناصراً له؛ لأنَّه لا اعتماد على القرابة.

المطلوب الثامن: قوله: ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ [طه: 32] اجعله شريكاً في النبوة والرسالة، ابن عامر[3]: "أَشْدُدْ" بفتح[4] الألف، "وَأَشْرِكْهُ" بضمها على حكاية النفس على الجواب، وقرأ الباقون: "اشْدُدْ" بضم الألف ابتداءً، وبحذفه وصلاً، "وَأَشْرِكْهُ": بفتح الألف على الدعاء، والمسألة عطف على ما تقدم من قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي**﴾، إنما قال ذلك؛ لأنَّه عليه السلام علم أنَّه يشد عضدَه وهو أكبر سناً منه وأفصح لساناً. قال القرطبي: قال المفسرون: وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله تعالى موسى أن يأتي هو وهارون، وأوحى الله إلى هارون وهو بمصر أن يلتقي بموسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه، فقال له موسى: إنَّ الله أمرني أن آتي فرعون، فسألت ربي [50/أ] أن يجعلك معي رسولاً،

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 194/11.

[2] البغوي، **معالم التنزيل**، 271/5.

[3] هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي الشامي. وكنيته أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، توفي بدمشق سنة: 118هـ. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ)، 46. الزركلي، **الأعلام**، 95/4.

[4] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 418.

انتهى[1]. ثم إنَّه سبحانه حكى عن موسى ما لأجله دعا هذا الدعاء، فقال: ﴿**كَيْ نُسَبِّحَكَ**﴾ [طه: 33] نصلي لك وننزهك تسبيحاً ﴿**كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً**﴾ [طه: 34] في الصلوات وخارجها[2].

قال في التحرير: التسبيح يحتمل أن يكون باللسان، وأن يكون بالاعتقاد، وعلى كلا التقديرين، فالتسبيح: تنزيه الله في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به، وأمَّا الذكر: فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء، ولا شك أنَّ النفي مقدم على الإثبات، ﴿**إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً**﴾ [طه: 35] عالماً بأحوالنا. قال الزمخشري: أي: اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فإن التعاون يتزايد به الخيرُ ويتكاثر ﴿**إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً**﴾ أي: عالماً بأحوالنا وبأن التعاضد مما يُصلحنا، وأنَّ هارون نعم المعين والشادّ لعضدي، فأنَّه أكبر مني سناً وأفصح لساناً[3]. انتهى. إنما قيَّد الدعاء بهذا القيد؛ إجلالاً لربه عن أن يتحكم عليه وتفويضاً للأمر بالكلية إليه[4]. وقال في التحرير: وفي الكلام محذوف، تقديره: إنك كنت بحالنا ومآلنا بصيراً[5]. قال السلمي: في سؤال موسى عليه السلام آية شرح صدره وإطلاق لسانه، ومؤازرة أخيه لم يسأله ضعفاً عن التبليغ؛ لأنَّ الله تعالى أيده بالثبات والتمكين، لكنه عليه السلام وقف في مقام بين يدَي حق بلسان حق بما قد سبق به عِلم الحق في الخلق. وقال أرباب الإشارة في قوله: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي**﴾ لما كان ذهابُه إلى فرعون سأل أن يصحب أخاه معه، ولما ذهب لسماع كلام الله حين قال الله: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً**﴾[الأعراف: 142] لم يسأل هارونَ، ولم يستصحبه؛ لأنَّ الذهاب إلى الخلق يوجب الوحشة، فطلب الصحبة لتخف عليه كلفة المشقة.

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 194/11.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 45/22.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 62/3.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 46/22.

[5] لم أجده.

وقالوا في قوله: ﴿**كَيْ نُسَبِّحَكَ [50/ب] كَثِيراً**﴾ قال جعفر: قيل لموسى عليه السلام: استكثرت تسبيحك وتكبيرك ونسيت بدايات فضلنا عليك في اليم، وردَّك إلى أمك وتربيتك في حِجر عدوك، وأكثر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا إياك، وأكثر منه إخبارنا باصطناعنا لك. انتهى[1].

﴿**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى**﴾ [طه: 36] أعطيت مسؤولك، والسؤْل الطِّلبة، فُعْل بمعنى مفعول، كخُبْر بمعنى مخْبور ﴿**سُؤْلك**﴾ بلا همز أبو عمرو. إنَّه عليه السلام لما سأل ربه تلك الأمور الثمانية، وكان من المعلوم أنَّ قيامه بما كُلِّف به لا يتكامل إلا بإجابته إليها لا جرم أجابه الله إليها ليكون أقدر على الإبلاغ على الوجه الذي كُلِّف، فقال: ﴿**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى**﴾ وعدَّ ذلك من النعم العظام عليه لما فيه من وجوه المصالح، ثم قال: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا**﴾ [طه: 37] أنعمنا ﴿**عَلَيْكَ مَرَّةً**﴾ [طه: 37] كرة ﴿**أُخْرَى**﴾ قبل هذه. قال النسفي: نبَّه بذلك على أمور، أحدها: كأنه تعالى قال: إني راعيت مصلحتك قبل سؤالك، فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال؟. وثانيها: أني كنت قد ربيتك، فلو منعتك الآن مطلوبك لكان ذلك ردّاً بعد القبول وإساءةً بعد الإحسان، فيكف يليق بكرمي؟. وثالثها: إنا لما أعطيناك في الأزمنة السالفة جميع ما احتجت إليه، وربيناك من حالة نازلة إلى حالة عالية، دلَّ هذا على أنَّا نصَّبناك لمنصب عالٍ ومُهِمّ عظيم، فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب؟. فإن قلت: لم ذكر تلك النعم بلفظ المنّة، مع أنَّ هذه اللفظة مؤَدِّبَةٌ والمقام مقام اللطف؟ والجواب: إنما ذكر ذلك؛ ليعرف أنَّ هذه النعم لا يكون شيء منها بالاستحقاق، بل بالتفضل والإحسان [51/أ]، فإن قلت: لِم قال: مرة أخرى مع أنَّه تعالى ذكر مِنناً كثيرةً؟ والجواب: ليس المراد بمرّة أخرى مرة واحدة من المنن؛ لأنَّ

[1] السلمي، **حقائق التفسير**، 1/440-442.

ذلك قد يقال في القليل والكثير، ثم فسَّـــر المرة الأخرى فقال: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى**﴾ [طه: 38] إذ ظرف لمَنّنا، أي: مننا عليك ولإيحائنا إلى أمك حين وُلِدْتَ وكان فرعون يقتل أمثالك.

اعلم أنَّ المنن المذكورة هنا ثمانية، الأولى: قوله: ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ**﴾، ثم إنهم اتفقوا على أنَّ أم موسى لم تكن من الأنبياء، فلا يكون المراد من هذه الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء بل هو غيره لا محالة، واختلفوا في المراد منه على وجوه: أحدها: رؤيا رأتها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى عليه السلام في التابوت، وقذفَه في البحر وأنَّ الله يَرُدُّه عليها. وثانيها: أنَّ المراد عزيمة إليها فظهر لها الرأي الذي هو أقرب إلى الخلاص يقال لذلك الخاطر: إنَّه وحي. وثالثها: المراد منه الإلهام وهو الإيقاع في الرُّوع من الخير. فإن قلت: الإلقاء في البحر نوع إهلاك، فكيف يصِحُّ الإقدام عليه صيانة عن الإهلاك؟ فنقول: لعلها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها فالغالب على ظنها هو السلامة. ورابعها: لعله أوحي إلى نبي من الأنبياء في ذلك الزمان، ثم إنَّ ذلك النبيَّ عرَّفها بوجه من الوجوه. فإن قلت: لو كان كذلك لِمَا لحقها من أنواع الخوف ما لحقها. فنقول: إنَّ ذلك من لوازم البشر، ألا ترى أنَّ موسى عليه السلام كان يخاف من فرعون مع أنَّه تعالى أمره بالذهاب إليه. وخامسها: لعلَّ الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أخبروا بذلك الخبر، وانتهى ذلك الخبر إلى تلك المرأة. وسادسها: لعلَّ الله تعالى بعث إليها ملكاً لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم [51/ب] في قوله: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً**﴾ [مريم: 17] وقوله: ﴿**مَا يُوحَىٰ**﴾ معناه: أوحينا إلى أمك ما يجب أن يوحى، وإنما وجب ذلك الوحي لأنَّ الواقعة واقعة عظيمة، ولا سبيل إلى معرفة المصلحة فيها إلا بالوحي. ثم فسَّر ما يوحى بقوله: ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ**﴾ [طه: 38] ألقيه ﴿**فِي التَّابُوتِ**﴾ [طه: 38] وأَنْ: مفسِّرة لأنَّ الوحي بمعنى القول، والتابوت صندوق من خشب يُتَّخَذ للميت، وهو بلغة قريش تابوت، وبلغة غيرهم تابوه، واختلف المفسرون في التابوت الذي

وضعته فيه من أي شيء كان؟ فقيل: كان من بُرْدى نسجَه شخص يقال له: حزبيل [1]، وهو مؤمن آل فرعون، ومن قال: جبريل فقد صحف. وقيل: كان من جُمَّيزٍ [2] فسَدَّتْ خرُوقَه، وقيَّرَتْه وفرشَتْ فيه نطعاً، وقيل: قطناً محلوجاً وسَدَّتْ فمه وألقته في اليم ﴿**فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾ [طه: 39] اليم هو البحر، والمراد هنا: نيل مصر في قول الجميع، واليم اسم يقع على البحر وعلى النهر العظيم ﴿**فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**﴾ [طه: 39] أي: الشاطئ، سُمِّي ساحلاً لأنَّ الماء يسحله أي: يَقْشِرُه. قال الزمخشري: والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هُجْنةٌ لما يؤَدِّي إليه من تنافر النظم، فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك المُلْقى إلى الساحل. قلت: ما ضرَّك لو قلتَ: المقذوفُ والملقى هو موسى في جَوف التابوت حتى لا تُفرِّق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أمُّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهمُّ ما يجب على المفسّر [3]. قال في المدارك: وقولُه: ﴿**فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ**﴾ الصيغة أمرٌ ليُناسب ما تقدم، ومعناه الإخبار أي: يلقيه اليم بالساحل [52/أ] [4]. قال الزمخشري: لما كانت مشِيَّةُ الله وإرادته ألا تخطئ جِرْيةُ ماء اليمّ الوصول به إلى الساحل إلقاءه إليه سُلك في ذلك سبيل المجاز، وجُعِل اليمُّ كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطيع الآمر ويمتثل رسمَه فقيل: ﴿**فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**﴾، روي أنها جعلت في التابوت قُطناً محلوجاً، فوضعتْه فيه وخصَّصتْه وقَيَّرَتْه ثم ألقته في اليم، وكان يَشْرَع منه إلى بستان فرعون نهرٌ كبيرٌ، فبينما هو جالسٌ على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به فأخرج، ففُتح، فإذا صبيٌّ أصبحُ الناسِ وجهاً، فأحَبَّه عدوُّ الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه. قال

---

[1] قال مقاتل والسدي: كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى [القصص: 20]، وقال قوم: كان إسرائيليا، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء. وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبران. وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا. البغوي، **معالم التنزيل**، 146/7.

[2] مفرده جُمَّيزة نوعٌ من الشَّجر من الفصيلة التُّوتيّة، أوراقه عريضة ثمره يشبه التِّين، وهو يُؤكل. أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1429 هـ)، 392/1.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 46/22 إلى 48. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 63/3.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 364/2.

الزمخشري: وظاهر اللفظ على أنَّ البحر ألقاه بساحله، وهو شاطئه، وقذف به ثمّة فالتُقط من الساحل، إلا أن يكون قد ألقاه اليمُّ بموضعٍ من الساحل، فيه فُوَّهة نهر فرعون، ثم أداه النهر إلى حيثُ البِركةُ، انتهى كلام الزمخشري [1].

﴿**يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ**﴾ [طه: 39] يعني فرعون، قال القرطبي: فاتخذتْ تابوتاً وجعلتْ فيه قطيفةً ووضعتْ فيه موسى وقيَّرت رأسه وخصائصه – يعني شقوقه – ثم ألقته في النيل، وكان يشرعُ منه نهرٌ كبير في دار فرعون، وقيل: وجدته ابنةُ فرعون وكان بها برصٌ، فلما فتحت التابوت شفيتْ، وروي [52/ب] أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحَه فلم يقدروا عليه، فإذا صبيٌ نورُه بين جبينه، وهو يمصُّ إبهامه لبناً فأحبوه، وكانت لفرعون بنتٌ برصاء وقالت لها الأطباء: لا تبرأ إلا من جهة البحر يوجد فيه شِبه إنسان دواؤها ريقه، فلُطِّختْ البَرْصاءُ بريقه فبرأت. وقيل: لما نظرت إلى وجهه برأت، وقيل: وجدته جَوارٍ لامرأة فرعون، فلما نظر إليه فرعون رأى صبياً من أصبح الناس وجهاً، فأحبه فرعون، فذلك قوله: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾ [طه: 39] انتهى[2]. قال النسفي: وعلى قول من روى أن الآخذة هي امرأة فرعون [3]، فيكون المراد من أَخْذِ فرعون قبولَه له. فإن قيل: إن موسى عليه السلام لم يكن في ذلك الوقت يعادَى، فما معنى قوله: ﴿**وعدو له**﴾ فنقول: أما كونه عدوُّ الله من جهة كفره وعتوه فظاهر، وأما كونه عدواً لموسى عليه السلام فيحتمل من حيث إنَّه لو ظهر له حالُه لقتله، ويحتمل أنَّه من حيث يؤول أمره إلى أن يُعادَى، انتهى[4]. المنة الثانية قوله: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً**﴾ [طه: 39] يتعلق (مِنِّي) بـ (وَأَلْقَيْتُ)،

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 63/3.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 195/11-196.

3 هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى. وقيل كانت عمته ، وهي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. ابن كثير، **البداية والنهاية**، 37/2.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 48/22.

يعني أني أحببتك، ومن أحبه الله أحبَّته القلوب، فما رآه أحدٌ إلا أحبه، قال الزمخشـــري: ويجوز أن يتعلق بمحذوف هو صـــفة لمحبة، أي: محبة حاصـــلة أو واقعة مني قد ركزته أنا في القلوب وزرعتُه فيها، فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصـرك[1]. قال قتادة: كان في عيني موسـى ملاحةٌ ما رآه أحد إلا أحبَّه وعشـقه، ويروى كانت على وجهه مسْـــحة جمال، وفي عينيه ملاحة لا يكاد يَصـــبر عنه من رآه، وقال ابن زيد: جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون فسلمت من شره، وأحبَّتْك آسية بنت مزاحم [53/أ] فتبنَّت بك، وقال الطبري: المعنى: وألقيتُ عليك رحمتي[2]. قال الســـلمي في قوله: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾ قال سريّ السقطي[3]: ألقى عليه لطفاً من لطفه يستجلب به قلوب عباده، وقال ابن عطاء: ألقيتُ عليك محبة مني لك، فمن رأى فيك محبتي لك أحبك بحُبّي لك، وقال فارس: زينتك بملاحة من عندي حتى لا تصلح لغيري، ويحبك كل من يرى تلك الملاحة فيك، فقيل له: أليس يوسفُ أُعطي شطرَ الحسن، فلِمَ لَمْ يكن يستوجب المحبة؟ فقال: الحُسن لا يوجب المحبة، والملاحة توجب المحبة، ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه ملاحةٌ ممزوجة بهيبة، وقال الواسطي في قوله: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾ فقال: المحبة تمتزج لأقوام كرجل يكون سخياً شجاعاً فقيهاً فيفتِن الناس على ذلك، والمحبة التي أُلقيتْ على موسى ما زالت ملقى عليه وهو في صلب عمران، ألا ترى فرعون لما شاهد الملقى عليه في صغره من غير مزاج كيف ربّاه مع ما كان يقتل من أولاد بني إسرائيل وذلك لإلقاء المحبة عليه، وقال سهْلٌ[4]: أظهر الله عليه ميراث

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 63/3.

2 أخرجه الطبري بنحوه، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 58/16.

3 هو سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة. ولد في بغداد وفيها توفي، وهو أول من تكلم في بغداد بأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت، توفي سنة: 253هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 357/2. الزركلي، **الأعلام**، 3 /82.

4 هو سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري ، ، وكان صاحب كرامات. من تصانيفه: تفسير القرآن ، رقائق المحبين. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 249/2. الزركلي، **الأعلام**، 3 /143.

عملِه، فأورثه محبة في قلوب عباده[1]. وقال بعضـــهم: ألقيتُ عليك محبة مني غُنْجٌ بعينيك لا يراك أحدٌ إلا رقَّ لك، ومال إليك، انتهى كلام الســلمي[2]. المنة الثالثة: قوله: ﴿**وَلِتُصْـنَعَ**﴾ [طه: 39] معطوف على محذوف، وألقيت عليك محبة مني لِتُحَبَّ ولِتُصنَعَ ﴿**عَلَى عَيْنِي**﴾ [طه: 39] أي: لتُرَبَّى بمرأى مني، وأصله من صنع الفرسَ أي: أحسن القيام عليه، يعني أنا مراعيك وراقِبُك كما يُراعى الرجُل الشيءَ بعينه إذا اعتنى به ﴿**وَلِتُصْـــنَعَ**﴾ بســـكون اللام والجَزْم [53/ب] يزيد على أنَّه أمْرٌ. قال الإمام فخر الدين: قال[3]: ﴿**وَلِتُصْـــنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ أي: لتُربَّى على عيني أي: على وفق إرادتي، وهذا مجاز، وفي كيفية المجاز قولان، أحدهما: المراد من العين العلم، أي: تُرَبَّى على علم مني، ولما كان العالم بالشـــيء يحرســـه عن الآفات نحو الناظر أطلق لفظ العين على العلم، وثانيهما: المراد من العين الحراسة، وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما لا يريده بالعين، كأنَّها سـبب الحراسـة، فأطلق اسـم السـبب على المسـبب مجازاً، وهو كقوله: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾ [طه: 46]، ويُقـال عين الله عليك إذا دُعِي له بالحفظ والحِياطة، انتهى[4]. وقـال القرطبي: ﴿**وَلِتُصْـنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ قال ابن عباس: يريد أن ذلك بعيني حيث جُعلتَ في التابوت، وحيث ألقي التـابوت في البحر وحيث التقطتك جواري امرأة فرعون، فـأرادوا أن يفتحوا التـابوت لينظرْن مـا فيه فقالت واحدة منهن: لا تفتحنه حتى تأتين به ســـيّدتكم، فهو أحظى لكُنَّ عندها، وأجدر بألا تتّهِمَكُنَّ أنكن وجدتن فيه شـيئاً فأخذتموه لأنفسـكم، وكانت امرأة فرعون لا تشـرب من الماء إلا ما اسـتقته أولئك الجواري فذهبوا بالتابوت إليها مغلقاً فلما فتحته رأتْ فيه صـــبياً لم ير مثله قط، وألقي عليها محبتُه فأخذته

---

1 التُســتري ، أبو محمد ســهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع ، **تفســير التســتري**، (بيروت: ، دار الكتب العلمية، ط1، 1423 هـــ)، 102/1.

2 السلمي، **حقائق التفسير**، 443/1.

3 هو محمد بن علي الشاشي القفال، أبو بكر، من أكابر علماء عصره بالفقه، والحديث، والأدب واللغة. مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون). من كتبه: أصول الفقه، محاسن الشريعة، شرح رسالة الشافعي. توفي: سنة 507 هـــ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 200/4. الزركلي، **الأعلام**، 143/3.

4 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 48/22-49.

فدخلت به على فرعون، فقالت له: قرةُ عين لي ولك، فقال لها فرعون: أما لك فنعمْ، وأمّا لي فلا، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن فرعون قال: نعم، هو قرة عين لي ولك لآمن وصدّق فقالت: هَبْهُ لي، ولا تقتله، فوهبه لها»[1]، انتهى كلام القرطبي[2]. المنة الرابعة قوله: ﴿**إِذْ تَمْشِي**﴾ [طه: 40] إذ: بدل من: إذ أوحينا، لأن مشيَ أختِه كان منّةً عليه، ﴿**أُخْتُكَ**﴾ [طه: 40] واسمها مريم ﴿فَتَقُولُ هَلْ﴾ [54/أ] ﴿**أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ**﴾ [طه: 40] [54/أ] قال الزمخشري: العاملُ في: إذ تمشي، ألقيت، أو: تصنع، ويجوز أن يكون بدلاً من: إذ أوحينا. فإن قلت: كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان؟ قلت: كما يصح – وإن اتسع الوقتُ وتباعدَ طرفاه – أن يقول لك الرجلُ: لقيتُ فلاناً سنة كذا، فتقول: وأنا لقيته إذ ذاك، وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها، انتهى[3]. وذلك أنَّ أخته خرجت متعرفةً خبرَه، وكان موسى لما وهبه فرعون لامرأته طلبت له المراضع، وكان لا يأخذ من أحد حتى أقبلت أختُه فأخذتْه ووضعته في حجرها، وناولتْه ثديَها فمصَّه وفرح به، فقالوا لها: تُقيمين عندنا، فقالت: إنَّه لا لبن لي، ولكن أدُلكم على من يكفله وهم له ناصحون، قالوا: ومن هي؟ قالت: أمّي، فقالوا: لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر من موسى بسنة، وقيل: بثلاث سنين، وقيل: بأربع، وذلك أن فرعون رحم بني إسرائيل ورفع عنهم القتل أربع سنين، فولد هارون فيها، قاله ابن عباس، فجاءت الأم، فقَبِل ثديها، فذلك قوله: ﴿**فَرَجَعْنَاكَ**﴾ [طه: 40] فرددناك ﴿**إِلَى أُمِّكَ**﴾ [طه: 40] كما وعدناها بقولنا: إنا رادوه إليك ﴿**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**﴾ [طه: 40] بلقائك ﴿**وَلَا تَحْزَنَ**﴾ [طه: 40] على فراقك، قال في التحرير: ومعنى تقرَّ: تبرد، مأخوذ من القَرّ وهو البرد، ولهذا قيل: دَمْعةُ السرور قارّة، أي: باردة، ودمعةُ الحزن حارة،

---

[1] لم أقف عليه في كتب الحديث.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،11/ 196-197.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 64/3.

انتهى[1]. قال الإمام فخر الدين: المراد من قوله: ﴿**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**﴾ أن المقصـــود من ردك إليها حصول السرور لها وزوال الحزن عنها.فإن قيل: لما قال أولاً: ﴿**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**﴾ كان قوله: ﴿**وَلَا تَحْزَنَ**﴾ فضلاً [54/ب] لأنَّه متى حصل السرور وجبَ زوال الهمّ لا محالة، قلنا: المراد تقرُّ عينُها بسبب وصولك إليها، ويزول عنها الحزن بسبب وصول لبن غيرها إلى باطنك، انتهى[2]. المنَّةُ الخامسة: قوله: ﴿**وَقَتَلْتَ**﴾ [طه: 40] بعد كِبرِك ﴿**نَفْساً**﴾ [طه: 40] قبطياً كافراً، قتَلَهُ خطأً، قال المفسرون أن موسى عليه السلام لما كبِر وترعرع أو بلغ عمرُهُ اثني عشر سنة بينما هو يمشي إذ رأى رجلين يقتتلان، أحدُهما: إسرائيلي، وهو الذي من شـــيعته، والآخر قبطي وهو الذي من عدوه فجاء إلى القبطي فوكزه وكزة قضـــى عليه. قال في التحرير: وكان حينئذ بمصـر المعروفة به، والموضـع معروفٌ بمصـر، وقد بني في كل مكان منهما مسـجدٌ، يسـمى المسـجد الأول بالوَكْزة، والآخر بالقضـاء، والدار التي تزكَّى فيها موسـى قريبة منهما، وفي الكلام حذفٌ تقديره: وقتلتَ ذا نفسٍ لم يؤذن لك في قتلها. قال وهب: أوحى الله إلى موسـى لو أنَّ النفس التي قتلت أقرّت سـاعة من ليل أو نهار بأني خالقها ورازقها لأذقتك طعم العذاب، ولكني عفوت عنك لأنَّها لم تُقر لي ساعة[3]. وفي صحيح مسلم: وكان قتلُه خطأ[4]، وهذا يدلُّ على أنه لم يقصده بالوَكْزة، وإنما أراد أن يُهيّب عليه فأصـــابته، ولما قتله خاف من القبط أن يقتلوه، فجاءه رجل فقال له: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصـــحين فخرج كما أخبر الله عنه في قوله: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ**﴾ [القصـص: 21]، وإليه الإشـارة بقوله: ﴿**فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ**﴾ [طه: 40] من القود. قيل: الغمُّ القتل، بلغة قريش، وقيل: اغتمّ بســـبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى، ومن اقتصـــاص فرعون فغفر الله له

---

[1] لم أجده.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 49/22.

[3] أخرجه أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، وهب بن منبه، 60/2.

[4] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، 2229/4، حديث رقم: 2905.

باستغفاره حين قال: ربّ إني ظلمت [55/أ] نفسي فاغفر لي، ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين، كذا في المدارك[1]. المنة السادسة: قوله: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً**﴾ [طه: 40] يجوز أن يكون الفتون مصدراً، كالقعود والثبور والنشور والكفور، أو جمع فتنة كحجور جمع حِجْرة، وبُدور، جمع بَدْرَة، أي: فتناك ضروباً من الفتن، والفتنة المِحنة، وكل ما يبتلي الله به عبادَه فهو فتنة، ونبلوكم بالخير والشر فتنة. قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: إنَّه تعالى عَدَّ أنواع نعمه على موسى عليه السلام في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع قوله: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً**﴾ ؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الفتنة شدة المحنة، يقال: فُتن فلان عن دينه إذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾[العنكبوت: 10]، وقال: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[البقرة: 214]، فالزلزلةُ ومسُّ البأساء والضراء هي الفتون، ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب لا جرم عدَّه الله تعالى من جملة النعم. وثانيهما: ﴿**وَفَتَنَّاكَ**﴾ أي: خلَّصناك من قولهم: فتنت الذهب إذا أردت تخليصه. فإن قيل: فهل يجوز إطلاق اسم الفتّان عليه سبحانه اشتقاقاً من قوله: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً**﴾ ؟ فالجواب: لا، لأنَّه صفة ذم في العرف وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيّما فيما يُوْهِمُ ما لا ينبغي. انتهى كلام الإمام فخر الدين[2]. قال الزمخشري: [55/ب] سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: خلصناك من محنة بعد محنة، ولد في عام كان يُقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا بن جبير، وألقته أمه في البحر، وهَمَّ فرعونُ بقتله وقتل قبطياً، وآجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وتفرَّقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان ابن عباس يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 365/2.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 50/22.

بن جبير، انتهى[1]. قال القرطبي: قال ابن عباس: ﴿**وَفَتَنَّاكَ**﴾ أي: اختبرناك بأشياء قبل الرسالة، أولها حملته أمه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم، ثم منْعُه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرُّه بلحية فرعون، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون، ثم قتله القبطي وخروجه خائفاً يترقب، ثم رعاية الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق، فيقال: إنَّه ندَّ له من الغنم جَدْيٌ فاتّبعه أكثر النهار فأتعبه ثم أخذه فقبّله وضمّه إلى صدْره وقال له: أتعبتني وأتعبت نفسك، ولم يغضب عليه، قال وهب بن منبه: ولهذا اتخذه الله كليماً، انتهى[2]. المنة السابعة: قوله: ﴿**فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**﴾ [طه: 40] مَدْين[3]: هي بلدة شعيب عليه السلام، قال وهب: لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، عشرٌ منها مهرٌ لابنة شعيب عليه السلام وهي صفوراء، وثمانية عشر سنة أقامها عند شعيب حتى ولد له أولاد[4].

﴿**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى**﴾ [طه: 40] على قدر: أي: موعد مُقَدَّرٍ في علمي أنك تجيء وأستنبئك فيه، وكان مجيئه على رأس أربعين سنة، قال [56/أ] ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان[5]: يريد موافقاً للنبوة والرسالة، لأنَّ الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة، المعنى: جئت في الوقت الذي أردنا إرسالك فيه، قال الشاعر[6]:

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 64/3.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 198/11.

3 إسحاق بن الحسين المنجم، **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ)، 91.

4 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 65/3.

5 هو عبد الرحمن بن كيسان ، الأصم ، ويقال فيه : ابن كيسان ، من شيوخ المعتزلة، من تصانيفه: تفسير القرآن ، خلق القرآن ،الحجة والرسل ، الأسماء الحسنى ، افتراق الأمة. توفي سنة: 201هـ. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **لسان الميزان**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1390هـ)، 427/4. الزركلي، **الأعلام**، 3 /323.

6 هو من قول جرير. والشاهد:وكانت له.ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 166/1.

نالَ الخِلافَةَ أوْ كانَتْ لَهُ قَدَرا كَمَا أَتى رَبَّهُ مُوسَى عَلى قَدَرِ

قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: كيف ذكر الله تعالى مجيء موسى عليه السلام في ذلك الوقت من جملة مننه عليه؟ قلنا: لأنَّه لولا توفيقُه لما تهيّأ له شيء من ذلك. المنة الثامنة قوله: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ [طه: 41] اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي ومحبّتي، وقال الزجاج[1]: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجّتي، والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم[2]. قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: إنَّه تعالى غنيّ عن الكل، فما معنى قوله: ﴿**لِنَفْسِي**﴾؟ والجواب عنه من وجوه، أحدها: أن هذا تمثيل، فإنه تعالى لما أعطاه من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مَثَّل حاله بحال من يراه بعضُ الملوك لجوامع خصال فيه أهلاً لأن يكون إلا أقرب الناس منزلة إليه وأشدهم قرباً منه. وثانيها: قالت المعتزلة: إنَّه إذا كلف عبادَه وجب عليه أن يلطف بهم، ومن جملة الألطاف ما لا يُعلم إلا سمعاً، فلو لم يصطفه بالرسالة لبقي في عُهدة الواجب، فصار موسى عليه السلام كالنائب عن ربه تعالى، وإذا وجب عليه تعالى صح أن يقول: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾. وثالثها: قوله: ﴿**لِنَفْسِي**﴾ أي: أُصَرِّفك في أوامري كيلا تشتغل إلا بما أمرتك به، وهو إقامة حُجتي وتبليغ رسالتي، وأن تكون حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك [56/ب] ولا لغيرك، انتهى[3]. قال السلمي في الحقائق: ألا ترى إلى قوله: ﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى**﴾ [طه: 36-37]، فذكر أيام حداثته، ثم ردَّه إلى أصله، ثم ردَّه من أصله إلى أصل الأصل، فقال: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾، فأضافه إلى نفسه ثم أكد ذلك بقوله: ﴿**إِنِّي**

---

1 هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل أبو إسحاق ، عالم نحوي، ضليع باللغة والتفسير، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب ، من تصانيفه: معاني القرآن ، الاشتقاق ، خلق الإنسان ، الأمالي. توفي سنة: 311هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 49/1.الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 222/11. الزركلي، **الأعلام**، 40/1.

2 الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، 365/3.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 50/22-51.

اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144]. قال السلمي: وقوله: **﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾** أي: استخلصتك لسري واختَصَصْتك لمخاطبتي، وقيل: أخلصتك لي حتى لا تصلح لغيري، وقال أبو سعيد الخراز[1] في بعض كتبه: إنَّ أولياء الله رهائنُ لله في أشباحهم، قد خبأهم وأخفاهم في أنفسهم من أنفسهم لنفسه، وهذا مقام الاصطناع الذي قال الله لموسى: **﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾**، قال الواسطي: حتى لا يملك غيري فإن نفوس المؤمنين نفوس أبيّةٌ استرقها الحق فلا يملكها سواه. وقال أبو سعيد الخراز: **﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾** أي: فطرتك صنعة لا تصلح إلا لعبادتي، وقيل: صنعتك صَنْعة تدعو إليَّ لا إلى نفسك، وغيرك يدعو إلى نفسه لا إليّ. انتهى كلام السلمي[2].

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه: 42] إلى الناس. اعلم أنَّه سبحانه لما عدَّد المنن الثمانية في مقابلة تلك الالتماسات الثمانية، رتَّب على ذلك أمراً ونهياً، أمَّا الأمر فهو أنَّه سبحانه أعاد الأمر الأول فقال: **﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾** [طه: 42] واعلم أنَّه تعالى لما قال: **﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾** عقبه بذكر ما له اصطنعه وهو الإبلاغ والأداء **﴿بِآيَاتِي﴾** [طه: 42] بمعجزاتي، الباء هنا بمعنى: مع، وذلك لأنَّهما إذا ذهبا إليه دون آية معهما لم يلزمه الإيمان، وذلك من أقوى الدلائل على فساد التقليد [57/أ] واختلفوا في الآيات المذكورة هنا، فقيل: هي الآيات التسع التي أنزلت عليه، وقيل: هي العصا واليد؛ لأنَّهما اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع، وفي سائر المواضع، قال تعالى: **﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾**[الأعراف: 106-107] الآية، وقال هناك: **﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾**[

---

[1] هو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، أبو عبد الله الحسيني العلويّ الطالبي: من زعماء الزيدية في العصر العباسي، نشأ فاضلا عالماً بالدين والحديث. وصحب سريا السقطي وبشرا الحافي وغيرهما، توفي: سنة279 وقيل: 286. الشَّعْراني، أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، **الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، (مصر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، 1315 هـ)، 78/1. الزركلي، **الأعلام**، 1 /191.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 443/1-444.

القصص: 32]، ولا يقال: كيف يُطلق لفظ الجمع على الاثنين؟ لأنَّا نقول: العصا ما كانت آية واحدة، بل هي آيات كثيرة كما مرَّ من قبل، وكذلك اليد، ثمَّ من الناس من قال: أقل الجمع اثنان، وقيل: إنَّ قوله: اذهبا بآياتي معناه: أني أمدكما بآياتي، وأُظهر على أيديكما من الآيات، فاذهبا فإن آياتي معكما، وقيل: إنَّه تعالى آتاه العصا واليد وحل عُقدة لسانه، وذلك أيضاً معجزة، فكانت الآيات ثلاثة، فهذا شرح الأمر. وأما النهي فهو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنِيَا**﴾ [طه: 42] تفتُرا من الونى، وهو: الفتور والتقصير ﴿**فِي ذِكْرِي**﴾ [طه: 42] أي: لا تنسياني، ولا أزلْ منكما على ذكر حيث ما تقلبتما، واتخذا ذكري جناحاً تطيران به، مستمدَّين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أنَّ أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري، ويجوز أنْ يريد بالذكر تبليغ الرسالة، فإنَّ الذكر يقع على سائر العبادات، وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها، فكان جديراً بأن يطلق عليه اسم الذكر، كذا في الكشاف[1]. قال الإمام فخر الدين: وقيل: لا تنيا في ذكري عند فرعون، وكيفية الذكر هو أن تذكرا لفرعون وقومِه أنَّ الله لا يرضى منهم بالكفر، وتذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب. وقيل: ﴿**وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾ أي: تذكُرا [57/ب] لفرعون آلاء الله ونعمائه وأنواع إحسانه إليه.

﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ**﴾ [طه: 43] فإن قيل: ما الفائدة في ذلك بعد قوله: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ**﴾ ؟ قيل: قوله: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ**﴾ يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأموراً بالذهاب فقيل مرة: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ**﴾ وقيل مرة ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ**﴾، وقيل مرة أخرى: "اذْهَبَآ" ليُعرف أن المراد منه أن يشتغلا بذلك جميعاً، لا أن ينفرد به موسى دون هارون أو هارون دون موسى. وقيل: إن قوله: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ**﴾ أمرٌ بالذهاب إلى جميع الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون ثم قوله ﴿**اذْهَبَا**

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 65/3.

إلى فِرْعَوْنَ﴾ أمرٌ بالذهاب إلى فرعون وحده. فإن قلت: قوله: **﴿اذْهَبَا إِلىٰ فِرْعَوْنَ﴾** خطاب مع موسى وهارون، وهذا مشكل لأن هارون عليه السلام لم يكن حاضراً هناك، وكذا في قوله: **﴿ربَّنا إننا نخاف﴾** فالجواب عنه من وجوه: منها أن الكلام كان مع موسى عليه السلام إلا أنه كان متبوع هارون، فجُعل الخطاب معه خطاباً مع هارون وكلامُ هارون على سبيل التقدير. ومنها: يحتمل أن الله تعالى لما قال: **﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾** سكت حتى لقي أخاه، ثم خاطبهما تعالى بقوله: **﴿اذْهَبَا إِلىٰ فِرْعَوْنَ﴾** انتهى[1]. قال في الكشاف: روي أنَّ الله تعالى أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، وقيل: سمع بإقباله فتلقاه، وقيل: أُلهم ذلك، انتهى[2]. **﴿إِنَّهُ طَغَى﴾** [طه: 43] جاوز الحد بادعاء الربوبية، قال السلمي: قوله: **﴿اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾** قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث في الحقيقة إلى السحرة، فإن الله لا يرسل أنبياءه إلى أعدائه، ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يُرسِل إليهم أنبياءه، ولكن يبعث الأنبياء ليُخرج أولياءه المؤمنين من بين أعدائه الكفرة [58/أ] انتهى[3].

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾ [طه: 44] فإن قلت: لم أمر الله تعالى موسى باللين مع الكافر؟ الجواب: لوجهين، أحدهما: أنه عليه السلام قد ربّاه فرعونُ فأمره أن يُخاطبه بالرفق رعايةً لتلك الحقوق، وثانيهما: أنَّ من عادة الجبابرة إذا أغلظ لهم في الوَعْظ أن يزدادوا عُتُوّاً وتكبراً، والمقصود حصول النفع لا زيادة الضرر، فإن قلت: كيف كان ذلك الكلام الليّن؟ قيل: القول اللين، نحو قوله تعالى: **﴿هَل لَكَ إلى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾** [النازعات: 18-19] لأنَّ ظاهره الاستفهام والمشورةُ، وعرْضُ ما فيه الفوز العظيم، وقيل: قال له موسى: تؤمن بما جئتُ به، وتعبد رب العالمين على أَن لك شباباً لا يهرم

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 52/22.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 65/3.

[3] السلمي، **حقائق التفسير**، 445/1.

بعده، ومُلكاً لا يُنزع منك إلا بالموت، وأن تبقى لك لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين الموت، ويُنْسأ في أجلك أربعمئة، فإذا مِتَّ دخلت الجنة، فهذا القول اللين. وقيل: القول اللين قول موسى: يا فرعون أنا رسول رب العالمين، فسماه بهذا الاسم لأنَّه كان أحب إليه مما قيل له، كما يُسمى عبدٌ بالـــمَلِك ونحوه، وقيل: ﴿**قَوْلاً لَّيِّناً**﴾ أي: كَنِّياه، وهو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مُرّة، وهي كنية إبليس لعنه الله[1]. قال القرطبي: فعلى هذا القول تكنية الكفار جائزة إذا كان وجيهاً ذا شـرفٍ وطُمِع في إسلامه، وقد يجوز ذلك وإن لم يطمع في إسلامه لأن الطمع ليس بحقيقة توجب عملاً، وقد قال صلى الله عليه وســـلم: « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ »[2]ولم يقل: إن طمعتم في إســـلامه، ومن الإكرام دعاؤه بالكنية، وقد قال صـلى الله عليه وسـلم لصـفوان بن أمية[3]: «انزل أبا وهيب»[4]وكنّاه، وقال لسـعْدٍ[5]: «ألم

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/52-53.

[2] أخرجه ابن أبي شـيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسـتي العبسـي، **المصـنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الأدب، باب: الوسـادة تطرح الرجل، (الرياض، مكتبة الرشـيد، ط1، 1409هـ)، 5 /234، حديث رقم: 25585.وأخرجه ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، كتاب الأدب، باب: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. 2 /1223، حديث رقم: 3712. والبزار، **مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار** مسند ابن عباس، 12 /188، حديث رقم: 5846، حسن.

[3] هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة، القرشي، صحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، روى مسلم عن صفوان قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاني فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ، روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مات سنة: 41هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 24/3. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 718/2.الزركلي، **الأعلام**، 205/3.

[4] في تفسير القرطبي: انزل أبا وهب. عبد الرزاق، أخرجه مالك بن أنس، **الموطأ**، كتاب النكاح، باب: نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله، (الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط1، 1425هـ)، 780/3، حديث رقم: 2001. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، **المصنف**، كتاب أهل الكتاب، باب: المسلم يكني المشرك، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ)، 22/6، حديث رقم: 10195.

[5] هو الصحابي سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، أبو ثابت الخزرجي الأنصاري، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام وشهد العقبة، وأحدا، والخندق، وغيرهنَّ. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «جزى اللَّه عنّا الأنصار خيرا لا سيّما عبد اللَّه بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة». مات سنة: 14هـ. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 2 /441. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 598/2. الزركلي، الأعلام، 85/3.

تسـمع ما قال أبو حُباب؟»[1]يعني [58/ب] يعني عبد الله بن أبي[2]. وفي الإسـرائيليات: أنَّ موسـى عليه السـلام قام على باب فرعون سـنة لا يجد رسـولاً يبلّغ كلامه حتى خرج، فجرى له ما قصّ الله علينا من ذلك، وكان تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرتهم مع الظالمين، وربّك أعلم بالمهتدين. قال القرطبي: القول اللين: هو القول الذي لا خشـونة فيه، فإذا كان موسـى أمر أن يقول لفرعون قولاً ليناً، فما دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْـناً**﴾ [النازعات: 83] على ما تقدم في البقرة، انتهى[3]. قال السـلمي رحمه الله: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّناً**﴾، قال يحيى بن معاذ[4]: هذا رِفقك بمن يدّعي الربوبية، فكيف رفقك بمن يدعي العبودية، وقال: هذا رفقك بمن آذاك، فكيف رفقك بمن يؤذي فيك؟ وهذا رفقك بمن عاداك، فكيف رفقك فمن عادى فيك؟ وهذا رفقك مع الأعداء فكيف رفقك مع الأولياء؟ قال النَّهْرَجوري[5]: هذا رفقك بمن جحدك ونابذك، فكيف رفقك بمن عبدك وخضـع لك؟ وقال أيضـاً: قال الله لموسـى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً**﴾، قال الله لموسـى: إنَّه أحسـن إليك في ابتداء أمرك، فلم تكافِئه، فأحببت أن أكافئه عنك، انتهى كلام السـلمي[6].

---

[1] البخاري، **صـحيح البخاري**، كتاب التفسـير، باب: {ولتسـمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشـركوا أذى كثيرا} [آل عمران: 186]. 39/6، حديث رقم: 4566.

[2] هو عبد الله بن أبي من مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، ابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. وأظهر الإسـلام بعد وقعة بدر تقية. ولما مات تقدم النبي صـلى الله عليه وآله فصـلى عليه فنزلت: " ولا تصـلّ على أحد منهم " الآية ". مات سنة: 9 هـ. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات**، (بيروت: دار الكتب العلمية عن الطباعة المنيرية)، 260/1. الزركلي، **الأعلام**، 65/4.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 200/11.

[4] هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازيّ، أبو زكريا: واعظ زاهد، من أهل الري، أحد رجال الطريقة، ذكره أبو القاسـم القشـيري في الرسـالة القشيرية، وعده من جملة المشايخ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: 258هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 165/6. الزركلي، **الأعلام**، 172/8.

[5] هو إسـحاق بن محمد النهرجوري، أبو يعقوب: من علماء الصـوفية، رحل إلى الحجاز، وجاور بالحرم سـنين كثيرة حتى مات بمكة سـنة: 330هـ، من كلامه: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية. ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، 105/1. الزركلي، **الأعلام**، 296/1.

[6] السلمي، حقائق التفسير، 445/1.

وروى البيهقي[1] في شعب الإيمان عن ابن عباس قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أمهلتَ فرعون أربعمئة سنة، وهو يقول: أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك، فأوحى الله إليه أنَّه كان حسن الخلق سهل الحجاب، فأحببت أن أكافئه. انتهى[2]. ﴿ **لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**﴾ [طه: 44] أي: يتعظ ويتأمل فيبذُلَ النَّصَفةَ من نفسه، فيُذعن للحق ﴿**أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: 44] أي: يخاف أن يكون الأمر كما تصِفان فيَجُرُّه إنكاره إلى الهلكة [59/أ] وإنما قال: ﴿**لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**﴾ مع علمه أنَّه لا يتذكر؛ لأنَّ الترجي لهما، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يطمع ويرجو أن يُثمر عمله، ولا يخيب سعيُه، فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وُسْعه، وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنَّه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة، ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴿**لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ**﴾ [طه: 134]. وقيل: معناه: لعله يتذكر مُتذكِّرٌ أو يخشى خاشٍ، وقد كان ذلك من كثير من الناس، وقيل: لعلّ من الله واجبٌ، وقد تذكَّر فرعون حين أدركه الغرق وخشي، فقال: آمنت أنَّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، ولكن لم ينفعه ذلك، وتُليت هذه الآية عند يحيى بن معاذ، فبكى فقال: هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الآله، وهذا رفقك بمن قال: أنا ربكم الأعلى، فكيف بمن قال: سبحان ربي الأعلى. قال القرطبي: وقد قيل: إنَّ فرعون ركن إلى قول موسى لما دعاه وشاور امرأته فآمنت وأشارت عليه بالإيمان، فشاور هامان، فقال: لا تفعل بعد أن كنت مالكاً

---

[1] هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي، فقيه شافعي، مكثر من التصنيف، غلب عليه الحديث واشتهر به ورحل في طلبه، كان من أكثر الناس نصرًا لمذهب الشافعي. من تصانيفه: السنن الكبير، السنن الصغير، الخلاف مناقب الشافعي، توفي سنة: 458هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 75/1. الزركلي، **الأعلام**، 116/1.

[2] أحرجه البيهقي، **شعب الإيمان**، باب: حسن الخلق، 393/10، حديث رقم: 7682.

تصير مملوكاً، وبعد أن كنت ربّاً تصير مربوباً، وقال له: أنا أردك شاباً فخضب لحيته بالسواد، فهو أول من خضب. انتهى[1].

﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا**﴾ [طه: 45] يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها، ومنه الفارط[2] الذي يتقدَّم الواردة، وفرسٌ فرطٌ أي: يسبق الخيل، يقال: فرط عليه أي: عجل[3] ﴿**أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾ [طه: 45] يجاوز الحد في الإساءة إلينا[4]، قال الزمخشري: خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان [59/ب] أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية، أو من حبه للرياسة، أو من قومه القِبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ**﴾ [الأعراف: 60] ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ**﴾ [المؤمنون: 33]، قال الزمخشري: ﴿**أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾ يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجَلْ بناء على ما عرفا وجرَّبا من شرارته وعُتُوِّه، أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك، وقسوة قلبه. قال الزمخشري: وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمْزِ بابٌ من حسن الأدب، وتحاشٍ عن التفوه بالعظيمة. انتهى كلامه[5]. قال الإمام فخر الدين: إنَّ موسى عليه السلام قال: ﴿ **رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾، وهذا يدلُّ على أنَّه قد انشرح صدره، وتيسَّر له ذلك الأمرُ، فكيف قال بعده: "إِنَّنَا نَخَافُ" ، فإنَّ حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر؟ والجواب: شرح الصدر عبارة عن قوَّته على ضبْط تلك الأوامر والنواهي وحِفْظ تلك الشرائع على وجهٍ لا يتطرق إليها التحريف وذلك شيء آخر غير زوال الخوف. فإن قيل: لما تكرر الأمر

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 201/11.

[2] الهروي، **تهذيب اللغة**، 225/13.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 54/22.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 336/2.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 66/3.

من الله تعالى بالذهاب، فعدمُ الذهاب والتعلل بالخوف هل يدلُّ على المعصية؟ فالجواب: لو اقتضى الأمر الفور، لكان ذلك من أقوى الدلائل على المعصية، لكن الأمر لم يقتض الفور، فزال السؤال، لا سيما وقد أكثر الله تعالى من أنواع التشـــريف وتقوية القلب وإزالة الغمّ. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنَّ من أُمر بشيء فحاول دفعه لأعذار يذكرها، فلا بدَّ أن يختم كلامه بما هو الأقوى، وهذا كما أنَّ الهدهد ختم عذره بقوله: ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْـــجُدُونَ لِلشَّـــمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [النمل: 24]، فكذا هاهنا بقوله: ﴿**أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ** ﴾ [طه: 45]، وختم بقوله: ﴿**أَوْ أَن يَطْغَىٰ**﴾ [طه: 45] لما أنَّ طغيانه [60/أ] في حق الله تعالى أعظم من إفراطه في حق موسى وهارون. انتهى كلامه[1].

﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا**﴾ [طه: 46]حافظكما وناصـــركما، ﴿**أَسْمَعُ**﴾ [طه: 46] أقوالكم ﴿**وَأَرَى**﴾ [طه: 46] أفعالكم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأُجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع عنكما، لســـت بغافل عنكما فلا تهتما. قال القفال: قوله تعالى: ﴿**أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ يحتمل أن يكون مقابلاً لقوله: ﴿**يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾ [طه: 45]، والمعنى يفرط علينا بألا يسمع منا، أو أن يطغى بأن يقتلنا، فقال إنني معكما أسمع كلامك وأرى أفعاله. قال العلماء: لما لحقهما ما يلحق البشـــر من الخوف على أنفسهما عرّفهما الله أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه، وهذه الآية تدلُّ على أنَّ من قال: إنَّه لا يخاف من الأعداء فهو مخطئ، والخوف من الأعداء ســـنَّة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم وثقتهم بالله. ولقد أحسن الحسن البصري رضي الله عنه لما أخبره مُخبر عن عامر بن عبد الله[2] أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء، فحال الأسد بينهم وبين الماء، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته، فقيل له:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 54/22.

[2] هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عمرو التميمي العنبري البصـــري. القدوة الولي الزاهد، كان ثقة، من عباد التابعين، رآه كعب الأحبار، فقال: هذا راهب هذه الأمة. كان يعرف بابن عبد قيس، توفي في زمن معاوية في بيت المقدس. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 517/4. ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، 119/2. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 77/5.

قد خاطرت بنفسك، فقال: لَأَنْ تختلف الأسِنَّةُ في جوفي، أحب إلي من أن يعلم الله أني أخاف شيئاً سواه، فقال عند ذلك الحسن البصري: قد خاف من هو خير من عامر، موسى صلوات الله عليه حين قيل له: ﴿**إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[القصص: 21]، وقال: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ**﴾ [القصص: 18]، وقال حين ألقى السحرةُ حبالهم وعصيهم: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾[1][طه: 67]. قال القرطبي: ومنه حَفْرُ [60/ب] النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة، تحصيناً للمسلمين وأموالهم، مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحلٍّ لم يبلغه أحد، ثم كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم مرة إلى الحبشة ومرة إلى المدينة، تخوفاً على أنفسهم من مشركي مكة، وهرباً بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم. وقد قالت أسماء بنت عميس[2] لعمر لما قال لها: « سبقناكم للهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت يا عمر، كلا والله كنتم مع سول الله صلى الله عليه وسلم، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو أرض الْبُعَدَاءِ[3] الْبُغَضَاءِ في الحبشة، وذلك في الله ورسوله، وَايْمُ الله لا أَطْعَمُ طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ

---

[1] ابن بطال، **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، 406/9.

[2] هي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعميّ، صحابية جليلة، كان لها شأن. أسلمت قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، ثمَّ تزوجها أبو بكر الصديق ثمَّ تزوجها علي بن أبي طالب، وماتت بعد عليّ. توفيت سنة: 40هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1784/4. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 14/6. الزركلي، **الأعلام**، 306/1.

[3] قال النووي:" قولها لعمر رضي الله عنه (كذبت): أي أخطأت، وقد استعملوا كذب بمعنى أخطأ، قولها (وكنا في دار البعداء البغضاء) قال العلماء: البعداء في النسب البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويورى لهم قولها (يأتوني أرسالا): بفتح الهمزة أي أفواجا". النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، 65/16، حديث رقم:2503.

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنا نؤذى فنخاف ». الحديث بطوله خرَّجه مسلم[1]، قال العلماء: فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم كاذب، وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويؤلمها ويتلفها، قالوا: ولا ضار أضر من سَبُع عاد في فلاة من الأرض على من لا آلة معه، يدفعه بها عن نفسه من سيف أو رمح أو نبل أو قوس، وما أشبه ذلك. انتهى كلام القرطبي[2].

﴿**فَأْتِيَاهُ**﴾ [طه: 47] أي: فرعون ﴿**فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ**﴾ [طه: 47] إليك، في الكلام حذف تقديره: "فأتياه"، فقالا: ﴿**إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ**﴾ إنَّه تعالى أعاد التكليف، فقال: ﴿**فَأْتِيَاهُ**﴾ لأنَّه سبحانه قال في المرة الأولى: ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه: 23-24]، وفي الثانية قال: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي**﴾[طه: 42]، وفي الثالثة: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً**﴾ [طه: 44]، فإن قيل: إنَّه تعالى أمرهما في المرة الثانية بأن يقولا له [61/أ] قولاً ليناً، وفي الرابعة أمرهما بأن يقولا: ﴿**إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[طه: 47] وفيه تغليظ من وجوه، أحدها: أن قوله: ﴿**إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ**﴾ فيه إيجاب انقياد لهما وإلزام لطاعتهما، وذلك يعظم على الملك المتبوع. وثانيها: قوله: ﴿**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ فيه إدخال النقص على مُلكه؛ لأنَّه كان محتاجاً إليهم فيما يريده من الأعمال. وثالثها: قوله: ﴿**إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [طه: 47] فما الفائدة في التليين أولاً والتغليظ ثانياً؟ فنقول: لأنِّ الإنسان إذا ظهر لحاجة فلا بدَّ من التغليظ. قاله الإمام فخر الدين[3]. ﴿**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [طه: 47] أي: أطلقهم عن الاستعباد

---

[1] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم، 4/ 1946، حديث رقم: 2503.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11/202-203.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/55.

والاســترقاق ﴿**وَلَا تُعَذِّبْهُمْ**﴾ [طه: 47] بتكليف المشــاق[1]، وكانت بنو إســرائيل عند فرعون في عذاب شديد، يُذبّح أبناءهم ويستخدم نساءهم، ويكلفهم من العمل في الطين واللَّبن وبناء المدائن ما لا يطيقونه. ﴿**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ**﴾ [طه: 47] بحجة ﴿**مِنْ رَبِّكَ**﴾ [طه: 47] على صدْق ما ادعيناه[2]. قال الزمخشري: وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ مجرى البيان والتفسير لأنَّ دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها، وهي المجيء بالآية[3]، فقال فرعون: وما هي، فأدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها بيضــاء لها شـعاع كشـعاع الشـمس، غلب نورها على نور الشـمس، فعجب منها ولم يُرِه العصــا إلا يوم الزينة[4]. قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: أليس أنَّ الأولى أن يقولا: إنَّا رســـولا ربك قد جئناك بآية من ربك فأرســل معنا بني إســرائيل ولا تعذبهم، لأَّن ذكر المعجزة مقروناً بادّعاء الرســالة أولى من تأخيره عنه؟ فنقول: بل هذا أولى؛ لأنَّهما ذكرا مجموع الدعاوى، ثمَّ اســـتدلا على ذلك المجموع بالمعجزة، فإنْ قلت: قوله: ﴿**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ**﴾ [طه: 47] وأنَّه يدلَّ على أنها كانت آية والله ســـبحانه [61/ب] وتعالى أعطاه اثنتين: العصـــا واليد، ثم قال: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي**﴾ [طه: 42] وذلك يدلُّ على أنها كانت ثلاث آيات، فكيف الجمع بينها؟ أجاب القفال: بأن معنى الآية الإشـــارة إلى جنس الآيات كأنه قال: قد جئناك بحجة ومعجزة وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة بآية إن كنت من الصادقين أو لو جئتك بشــيء مبين. ﴿**وَالسَّـلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**﴾ [طه: 47] أي: سَـلِم من العذاب من أسـلم، وليس هذا بتحية، وقيل: المعنى: وســـلامُ الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين، وتوبيخُ خزنة النار والعذاب على المكذّبين. قال في التحرير: جمهور المفسرين على أنَّ هذا ليس بتحية؛ لأنَّه ليس بابتداء لقاء

---

[1] النسقي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 267/2.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 203/11.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 98/3.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 203/11

ولا خطاب ولا كلام، قال بعضهم: هو من قول الله تعالى لهما: كأنه قال: فقولا إنا رسولا ربك، وقولا له: السلام على من اتبع الهدى، وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون كلام الله تعالى قد تمَّ عند قوله: قد جئناك بآية من ربك، وقوله بعد ذلك: والسلام على من اتبع الهدى وَعْدٌ من قِبَلِهما لمن آمن وصدَّق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة، انتهى[1]. وفي الحديث الصحيح أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل[2]عظيم الروم: «سلام على من اتبع الهدى» [3]. وعن قتادة قال: التسليم على أهل الكتاب إذا دخلت عليهم بيوتهم أن تقول: السلام على من اتبع الهدى[4]. قال السلمي: قال الواسطي: اتباع الهدى سابقة الهدى لمن سبقت له الهداية من الله تعالى اتبع الهدى في جميع أحواله[5].

﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ**﴾ [طه: 48] في الدنيا والعقبى ﴿**عَلَى مَنْ كَذَّبَ**﴾ [طه: 48] بالرسل ﴿**وَتَوَلَّى**﴾ [طه: 48] أعرض عن الإيمان، وهذه الآية أرجى آي القرآن؛ لأنَّه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء. قال ابن عباس: هذه أرجى آية للمؤمنين والموحدين؛ لأنَّهم لم يكذبوا ولم يتولَّوا. قال الإمام فخر الدين: هذه الآية [62/أ] من أقوى الدلائل على أنَّ عقاب المؤمن لا يدوم، وذلك لأنَّ الألف واللام في العذاب تفيد الاستغراق، وأنَّه يقتضي انحصار هذا الجنس فيمن كذب وتولى، وأيضاً فقوله: ﴿**السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**﴾ [طه: 47] يقتضي حصول السلام لكل من اتبع الهدى، والعارف بالله قد اتبع الهدى، فوجب أن يكون صاحب السلامة[6]. قال في

---

[1] بتصرف، الرازي، **مفاتيح الغيب**، 55/22.

[2] هرقل: هو ملك الروم. وهذا اسمه ولقبه: قيصر، كما يلقب ملك الفرس كسرى.ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،33/1.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، 8/1، حديث رقم: 7. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب: كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، 1393/3، حديث رقم:1773.

[4] الصنعاني، **المصنف**، كتاب أهل الكتاب، السَّلَام عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، 131/6، رقم: 10683.

[5] السلمي، **حقائق التفسير**، 445/1.

[6] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 55/22.

التحرير: قال: "أوحي إلينا"، ولم يذكر اسم الذي أَوحى؛ لأنَّ فرعون لعنه الله كانت له بادرة، فربما صدر منه في حق الموحِي ما لا يليق، فأجرى الكلام على حكم ما لم يسمَّ فاعله[1].

﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى**﴾ [طه: 49] قال الزمخشري: خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما، وهو موسى عليه السلام؛ لأنَّه الأصل في النبوة، وهارون وزيرُه وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثُه ودعارتُه، على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه، لما عرف من فصاحة هارون الرَّتّة في لسان موسى، ويدلُّ عليه قوله: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ [الزخرف: 52] انتهى[2]. قال القرطبي: ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي. وقيل: خصّصه بالذكر؛ لأنَّه صاحب الرسالة والكلام. وقيل: إنهما جميعاً بلّغا الرسالة، وإن كان هارون ساكتاً؛ لأنَّه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد، فإذا انقطع وازَرَه الآخر وأيَّده، وصار لنا في هذه الآية فائدة علم أنَّ الاثنين إذا قُلِّدا أمراً، فقام به أحدهما والآخر شخصُه هناك موجود، يُستغنى عنه في وقت دون وقت إن هما أدَّيا الأمر الذي قُلِّدا وقاما به، واستوجبا الثواب؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**﴾، وقال: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي**﴾، وقال: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً**﴾، فأمرهما جميعاً [62/ب] بالذهاب وبالقول، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: ﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا**﴾ أنَّه كان حاضراً مع موسى. انتهى كلام القرطبي[3]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنهما لما قالا: ﴿**إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ**﴾ [طه: 47] قال ﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ**﴾ [طه: 49]. واعلم أنَّ هنا مباحث، الأول: أنَّ فرعون كان شديد القوة، عظيم الغلبة، كثير العسكر. ثم إنَّ موسى عليه السلام لما دعاه إلى حضرة الله تعالى لم يشتغل معه فرعون بالبطش والإيذاء، بل خرج معه في المناظرة؛ لأنَّه لو شرع

[1] ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 339/7.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 67/3.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 204/11.

أولاً في الإيذاء، نُسِب إلى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع أولاً في المناظرة، وذلك يدلُّ على أنَّ السفاهة من غير الحجة لا تليق بالكافر الجاهل، فكيف يليق ذلك بمن يدعي الإسلام والعلم؟! ثم إنَّ فرعون لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك، قبل موسى ذلك السؤال، واشتغل بإقامة الدليل على وجود الصانع، وذلك يدلُّ على فساد التقليد. الثاني: دلَّت الآية على أنَّ المحِقَّ يجب عليه استماع شبْهةِ المبطل، والجوابُ عنها من غير إيذاء وإيحاش كما فعل موسى بفرعون، وكما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: 125]. الثالث: اختلف الناس في أنَّ فرعون هل كان عارفاً بالله تعالى؟ فقيل: إنَّه كان عارفاً إلا أنه كان يُظهر الإنكار تكبراً وتجبراً وزوراً وبهتاناً، واحتجوا عليه بوجوه: منها قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الإسراء: 102] فمن فتح التاء في "علمتَ" كان ذلك خطاباً لموسى عليه السلام مع فرعون، وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون كان عالماً بذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً**﴾[النمل: 14]. ومنها أنَّه كان عاقلاً وإلا لما كان مُكلفاً، وكل من كان [63/أ] عاقلاً علم بالضرورة أنَّه كان حادثاً، وكل حادث مفتقر إلى محدث، واتفقوا على أنَّ العاقل لا يجوز أن يعتقد في نفسه أنَّه خالق هذه السموات والأرضين، وأنَّه خالق نفسه أيضاً، ومن الناس من قال إنَّه كان جاهلاً بربه، ثم اختلفوا في كيفيَّةِ جهله بالله، فيحتمل أنَّه كان دهرياً منكراً للمؤثر، ويحتمل أنَّه كان فلسفياً قائلاً بالعلة الموجبة، ويحتمل أنَّه كان من عبدة الكواكب، ويحتمل أنَّه كان حلولياً[1]، وهذا أقرب، وأمَّا ادعاؤه الربوبية لنفسه فبمعنى أنَّه يجب عليهم طاعته والانقياد له. البحث الرابع: أنَّه تعالى حكى عنه في هذه السورة أنَّه قال: ﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ**﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: 23]، فالسؤال هنا بـ"من" وهو عن الكيفية، وفي تلك السورة بـ"ما" وهو عن الماهية، وهذا أيضاً يدلُّ على أنَّه

[1] الحلول: هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز. الجرجاني، **التعريفات**، 92.

كان عالمـــاً بالله. البحث الخامس: إنما قال: "فَمَن رَّبُّكُمَا"، ولم يقل: "فمن إلهكما"؛ لأنَّه أثبت نفسه ربّاً له في قوله: ﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً**﴾ [الشـعراء: 18]، فذكر ذلك على سـبيل التعجب؛ كأنَّه قال: "أنا ربك"، فلم تدعي رباً آخر، وهذا الكلام شبيهٌ بكلام نمرود؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام لما قال: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ [إبراهيم: 285]، ولم يكن الإحياء والإماتة من الجانبين بمعنى واحد، كما أنَّ الربوبية هنا من الجانبين ليست بمعنى واحدة. انتهى كلام الإمام فخر الدين[1].

﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾ [طه: 50]، خلقَه: أولُ مفعولي أعطى، أي: خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما، أي: أعطى كل شيء صُورتَه وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العينَ الهيئةَ التي تطابق الإبصار، والأذنَ الشكلَ الذي [63/ب] يوافق الاستماع، وكذلك الأنفَ واليدَ والرجلَ واللســـانَ كل واحد منهما مطابق لما عُلِّق به من المنفعة غير ناب عنه، أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة، حيث جعل الحصان والحِجْرة[2] زوجين، والبعير والناقة، والرجل والمرأة، فلم يزاوج منها شيءٌ غير جنسه، وما هو على خلاف خلْقه، وقرئ: "خَلْقَهُ" صفة للمضاف أو للمضاف إليه، أي: أعطى كل شيء مخلوقاً عطاءه، أي: كلَّ شيء خلَقَه الله لم يُخْلِه من عطائه، كذا في الكشاف والمدارك[3]. قال الإمام فخر الدين: إنَّ موسى عليه السلام استدلَّ على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات، وهو قوله: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [طه: 50]، وسيأتي تقريره في سورة الشعراء. واعلم أنَّه يشبه أن يكون الخلق عبارة عن تركيب القوالب والأبدان، والهدايةُ عبارة عن إيداع القوى المدركة والحركة في تلك الأجســـام، وعلى هذا يكون الخلق مقدماً على الهداية، ولذلك قال:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/56-57.

[2] الحِجْرَة: الأنثى من الخيل. وإثبات الهاء في آخره لحنٌ؛ لأنَّه اسمٌ لا يشترك فيه المذكَّر. الزَّبيدي، **تاج العروس**، 10/ 536.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 67/3. النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2/367-368.

﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾[الحجر: 29]، فالتسوية راجعة إلى القالب، ونفخ الروح إلى إيداع القوى، فالله تعالى أنعم على الخلائق بما فيه قوامهم من المطعوم، والمشروب والملبوس والمنكوح، هم هداهم إلى كيفية الانتفاع بها، فيستخرجون الجواهر من الجبال، واللآلئ من البحار، ويُرَكّبون الأدوية والأطعمة المختلفة، فعُلم أنَّ الله تعالى هو الذي خلق الأشياء، ثم أعطاهم الشعور الذي به توصلوا إلى كيفية الانتفاع بها، وهذا غير مختص بالإنسان، بل هو عام في الحيوانات، فأعطى الإنسان زوجة، والحمار أتاناً، والبعير ناقة، ثم هداه لها [64/أ] ليدوم التناسل، وهدى الأطفال لثدي الأمهات، وهذا أيضاً غير مختص بالحيوانات، بل هو حاصل في كل عضو من أعضائها، فإنَّه سبحانه خلق اليد على تركيب خاص وأودع فيها قوة البطش وخلق الرِجل على تركيب خاص وأودع فيها قوة المشي، وعلى هذا في العين والأذن وسائر الأعضاء، ثم ربط البعض بالبعض على وجه يحصل من مجموعها شيء واحد وهو الإنسان مثلاً، وإنما دلَّت هذه الأشياء على وجود الصانع لأنَّ اتصاف كل جسم من هذه الأجسام بتلك الصفة أمر ممكن، والممكن مفتقر في الوجود إلى المؤثر، وهو الواجب الوجود لذاته، وظهر بهذه الدلالة التي تمسَّك بها موسى عليه السلام ونبَّه على تقديرها استنادُ العالم إلى مدبِّر ليس بجسم ولا جسماني واجب الوجود لذاته وصفاته، عالم بجميع المعلومات، وقادر على جميع المقدورات، وذلك هو الله سبحانه[1]. ﴿**ثُمَّ هَدَى**﴾ أي: عرَّف كيف يرتفق بما أُعطي للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى[2]. قال الزمخشري: ولله درُّ هذا الجواب، أي: جواب موسى عليه السلام، ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف، وكان طالباً للحق. ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى**﴾ [طه: 51] فما حال الأمم الخالية والرمم البالية، سأله عن حال من تقدم من القرون، وعن شقاء من شقي منهم، وسعادة من سعد ﴿**قَالَ**﴾ [طه: 52] موسى

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/58-59 بتصرف.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2/368.

مجيباً ﴿**عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي**﴾ [طه: 52] مبتدأ وخبر، أجابه بأن هذا سؤال عن الغيب، وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القلوب مكتوب عنده في اللوح المحفوظ[1]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أن في ارتباط [64/ب] قوله: ﴿**فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى**﴾ بما قبله وجوه، منها: أنَّ موسى عليه السلام هدَّده بالعذاب أولاً في قوله: ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [طه: 48] فقال فرعون: ﴿**فَمَا بَال الْقُرُون الْأُولَى**﴾، فإنها كذبت، ثم إنهم ما عُذّبوا. ومنها: وهو الأظهر أنَّ فرعون لما قال: ﴿**فَمَن رَّبُّكُمَا يا مُوسَى**﴾، فذكر موسى عليه السلام دليلاً ظاهراً وبرهاناً باهراً على هذا المطلوب، فقال: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[طه: 50] فخاف فرعون أن يزيد في تقرير تلك الحجة، فأراد أنْ يصرفه عن ذلك الكلام، وأن يشغله بالحكايات، قال: ﴿**فَمَا بَال الْقُرُون الْأُولَى**﴾ فلم يلتفت موسى إلى ذلك الحديث، وقال: ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾، ثم عاد إلى تتميم الكلام الأول الذي يدل على الوحدانية فقال: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُم الْأَرْضَ مِهاداً**﴾[طه: 53] الآية[2]. ﴿**فِي كِتَابٍ**﴾ [طه: 52] إلى اللوح المحفوظ، خبرٌ ثان ﴿**لَا يَضِلُّ رَبِّي**﴾ [طه: 52] لا يخطئ شيئاً، يقال: "ضَلِلتُ الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له"، أي: لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم، ﴿**وَلَا يَنْسَى**﴾ [طه: 52] ثوابهم وعقابهم. وقيل: لا ينسى ما علم فيذكّره الكتاب، ولكن لتعلم الملائكة أنَّ معمول الخلق يوافق معلومه. كذا في المدارك[3]. قال الزمخشري: عن ابن عباس: لا ينسى أي: لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحّده حتى يجازيه. ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء، فتعنَّت، وقال: ما تقول في سوالف القرون وتمادي

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 368/2.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 59/22.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 368/2.

كفرتهم وتباعد أطراف عددهم، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم؟ فأجاب: بأنَّ كلَّ كائن محيط به علمه، وهو مثبت عنده في كتاب [65/أ] ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان، كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل، أي: لا يضل كما تضل أنت، ولا ينسى كما تنسى أنت، يا مُدَّعي الربوبية بالجهل والوقاحة. انتهى[1]. قال الإمام فخر الدين: اختلفوا في قوله: ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ**﴾، فإنَّ العلم الذي يكون عند الرب كيف يكون في الكتاب وهو صفته تعالى وصفة الشيء قائمة به؟ ثم إنهم ذكروا فيه وجهين: أحدهما: معناه أنَّه سبحانه أثبت تلك الأحكام في كتاب عنده؛ ليكون ما كتبه فيه يظهر للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على أنَّه تعالى عالم بجميع المعلومات، منزه عن السهو والغفلة. ولقائل أن يقول: قوله: "فِي كِتَابٍ" يوهم احتياجه تعالى إلى ذلك الكتاب، وكيف يحسن ذكره مع معاند مثل فرعون في وقت الدعوة؟. وثانيهما: معناه أنَّ بقاء تلك المعلومات بحيث لا يزول شيء منها عن علمه في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى[2].

كَتْب العلوم

قال القرطبي: هذه الآية ونظائرها تدلُّ على تدوين العلوم وكَتْبها لئلا تنسى؛ فإنَّ الحفظ قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان، وقد لا يحفظ الإنسان ما يسمع فيقيده؛ لئلا يذهب عنه. وعن قتادة أنَّه قيل: أنكتب ما نسمع منك؟ قال: وما يمنعك أن تكتب، وقد أخبرك اللطيف الخبير أنَّه يكتب؟! فقال: ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾[طه: 52]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 68/3.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 60/22.

مَوْضُـوعٌ عِنْدَهُ أَنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَـبِي»[1]. وأسـند الخطيب أبو بكر[2] عن أبي هريرة قال: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [65/ب] يَسْتَمِعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ وَيُعْجِبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الْحَدِيثَ يُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: (تكتب الخطبة التي خطب بها في الجمع من الْحَدِيثُ)[3]، اكْتُبُوا لِأَبِي شَـــاهٍ[4] – رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ– لَمَّا سَـــأَلَهُ». أخرجه مســـلم[5]. وروى عمرو بن شـــعيب[6]عن أبيه[7]عن

---

[1] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، 2108/4، حديث رقم: 2751، ورواه البخاري بلفظ: ما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفســه وهو وضــع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضــبي. البخاري، صحيح **البخاري**، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: 28]، 120/9، حديث رقم: 7404.

[2] هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر الخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين، كان فصـــيح اللهجة عارفا بالأدب، مولعاً بالمطالعة والتأليف، من مصنفاته: تاريخ بغداد، البخلاء، الكفاية في علم الرواية، الفوائد المنتخبة الجامع، لأخلاق الراويّ وآداب السامع، وغيرها كثير، توفي في بغداد سنة: 463هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 92/1. الزركلي، **الأعلام**، 172/1.

[3] في تفسير القرطبي: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ)، وَقَدْ أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَتْبِ الْخُطْبَةِ الَّتِي خَطَبَ بِهَا فِي الْحَجِّ لِأَبِي شَاهٍ. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 206/11.

[4] أبو شاه اليماني، ويقال: إنه كلبي، ويقال إنه فارسي، وشاه: بالفارسي معناه الملك. ورد ذكره في الصحيحين في حديث أبي هريرة، ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4 /249.ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 606/2. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، 171/7.

[5] ورد في صـحيح البخاري ومسـلم، واللفظ لمسـلم: إنَّ خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فركب راحلته، فخطب، فقال: " إن الله عز وجل حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ســاعة من النهار، ألا وإنها ســاعتي هذه حرام، لا يخبط شــوكها، ولا يعضــد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يعطى – يعني الدية –، وإما أن يقاد – أهل القتيل – "، قال: فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شـــاه، فقال: اكتب لي يا رســـول الله، فقال: «اكتبوا لأبي شـــاه» ، فقال رجل من قريش: إلا الإذخر، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلا الإذخر». أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب: كتابة العلم، 125/3، حديث رقم:2434. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب: باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، 2 /989، حديث رقم: 1355.

[6] هو عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي، من بني عمرو بن العاص: من رجال الحديث. أحد علماء زمانه، روى عن أبيه، وطاوس، وسـليمان بن يسـار، وسـعيد بن المسـيب، وجماعة. ووثقه ابن معين، وابن راهويه، كان يسـكن مكة وتوفي بالطائف سـنة: 118هـ. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 263/3. الزركلي، **الأعلام**، 79/5.

[7] هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص الحجازي السهمي، روى عن جده وابن عباس وابن عمر ومعاوية وعبادة بن الصامت وأبيه محمد بن عبد الله، ذكره ابن حبان في الثقات. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 356/4.

جده[1]عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ»[2]. انتهى كلام القرطبي[3]. وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان المدائني[4]في كتاب الدواة والقلم، روي عن كعب أنَّه قال: أول مَن وضع الكتب آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة عام، وأنه جعلها في طين، ثم طبخها بالنار، فلمَّا أصابت الأرض الغرق أيام الطوفان، ونضـب الماء وكثر الناس، أخذت كل أمة كتابها، فصـار إلى إسماعيل الكتاب العربي، وثم توارثته القرون من بعده [5]. وقال آخرون: بل كان أول من كتب بالعبرانية شـــيث[6] بن آدم، ثم كتب بعده إدريس[7]وخلّف سبعين كتاباً من كتب الحكمة والنجوم، وكان لوط[8]يكتب الصُحُفَ المنزَلَةَ على إبراهيم، وكان يوســـف كاتب العزيز صـــاحب الرؤيا، وقال له: ﴿**ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ**

---

[1] هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو شـعيب، القرشـيّ، السـهميّ، روى عن أبيه، خرّج له الترمذيّ والنسـائيّ. المقريزي، تقي الدين، **المقفى الكبير**، (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط2، 1427هـ)، 55/6. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 593/3.

[2] ورد عن عمر وأنس –رضـي الله عنهما–موقوفا. أخرجه الطبراني، **المعجم الكبير**، صـفة أنس بن مالك وهيأته رضـي الله عنه، 246/1، حديث رقم:700. وأبو بكر بن أبي شـيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسـتي العبسـي، **الكتاب المصـنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الأدب، من رخص في كتاب العلم، (الرياض: مكتبة الرشـد، ط1، 1409هـ)، 313/4، حديث رقم: 26427. والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب العلم، ومنهم يحيى بن أبي المطاع القرشي، 1/ 188، حديث رقم: 360.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /205-206.

[4] هو أبو عبد الله محمد بن عمر المدائني، وليس كما ذكر المصنف، وكتابه اسمه **الفلم والدواة**.

[5] ذكره ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، 4/ 239.

[6] هو هبة الله بن آدم، عليهما السلام، بعثه الله عزّ وجلّ إلى ولد أبيه، وأنزل عليه تسعة وعشرين صحيفة لتتمّة خمسين صحيفة عليه وعلى أبيه آدم، وقيل: خمسـين صـحيفة، وكان أجمل ولد آدم وأشـبههم به، وأحبّهم إليه، وهو الّذي ولد البشـر كلّهم، وإليه انتهت أنسـاب الناس. وهو الّذي بنى الكعبة بالطين والحجارة، عاش تسـعمائة سـنة واثنتي عشـرة سـنة. الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسـلم، **المعارف**، (القاهرة: الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، 20/1. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر**، (مصر: عيسى البابي الحلبي، 1414 هـ)، 65/2.

[7] واسمه خنوخ بْن يرد، وقيل: وهُوَ إدريس بْن اليارد بْن مهلائيل بْن قينان بْن الطاهر بْن هبه، وَهُوَ شـيث بْن آدَم، وإنما سُمِّيَ إدريس لأنه أول من درس الوحي المكتوب. قال علماء السير: نبأ اللَّه تَعَالَى إدريس فِي حياة آدَم، وكان عُمَر آدم ستمائة واثنتان وعشرون سَنَة. وَهُوَ أول نبي خط بالقلم وقطع الثياب وخاطها، ورفع إدريس وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سَنَة، وأبوه حي، فعاش أبوه بَعْد ارتفاعه مائة وخمسا وثلاثين سَنَة. ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، 233/1. الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 66/2.

[8] هو ابن أخي إبراهيم، عليهما السـلام. وقيل: بل ابن أخته. وهو لوط بن هاران، بعثه الله تعالى إلى أهل سـدوم. وكان هؤلاء القوم يأتون الذّكران، وما سـبقهم بها أحد من العالمين. فلمّا كذّبوا لوطا عليه السـلام ولم ينتهوا عمّا كانوا يعملوا بعث الله عليهم جبريل عليه السـلام، فاختلع أرضـهم من سـبع أرضـين، ثمّ قلبها عليهم فدمّرهم جميعا. الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 216/2. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 90/1.

عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]، أي: حفيظ بالكتاب، عليم بالحساب، وكان سليمان بن داود عليه السلام كاتب أبيه، وكان آصف بن برخيا [1] كاتب سليمان بن داود، وهو الذي كان عنده علم من الكتاب، وكان ذو القرنين[2] كاتب بطليموس، وكان هارون ويوشع يكتبان بين يدي موسى الألواح والتوراة، وكان يحيى بن زكريا كاتب عيسى بن مريم، يكتب له الحكمة والإنجيل، وكان علي بن أبي طالب كاتب محمد صلى الله عليه وسلم. وفي رواية أنَّ علياً رضي الله عنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم إلى من عاهد[66/أ] أو وَعَد عِدةً وإنَّ صحيفة نجران هو كاتبها ووضعها عنده للنبي صلى الله عليه وسلم، وإنه كان كاتب الفرقان، وقد كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه مذكورون في السير[3]. انتهى كلام المدائني[4]. قال القرطبي: وقد ذهب قوم إلى المنع من الكتابة، فروى أبو نضرة[5] قال: قيل لأبي سعيد: أيكتب حديثكم هذا؟ قال: لمَ تجعلونه قرآنا، ولكن احفظوا كما حفظنا، ومن كان لا يكتب

---

[1] هو آصف بن برخيا بن شمعيا، كاتب سليمان بن داود، وهو ابن خالة سليمان، كان يعرف اسم الله الأعظم، {أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك} [النمل: 40]. ابن كثير، **البداية والنهاية**، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد. 335/2. الطبري، **تاريخ الطبري**، 497/1. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 180/1.

[2] تعددت الروايات في اسم ذي القرنين فقال ابن إسحاق: أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر. اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح. وقال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية فنسبت إليه. وقيل اسمه الصعب بن قرن بن همال. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إنه ملك، وليس بنبي. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 385/6. ابن هشام، **السيرة النبوية**، 1 /270.

[3] منهم رضي الله عنهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، وشرحبيل بن حسنة. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **الفصول في السيرة**، فصل كتاب الوحي، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط3، 1403هـ)، 255.

[4] لم أعثر على الكتاب.

[5] أبو نضْرَةَ صَاحب أبي سَعيدٍ الخُدْريّ، وأسمه المنذر بن مَالِك بن قُطعَة، أحد بني عوْف بن الدَّيْل، الإمام المحدث الثقة، قال أحمد بن حنبل: ما علمت إلا خيرًا،توفي سنة: 109هـ. ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 302/10. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 529/4.

الشـــعبي[1]، ويونس بن عبيد[2]، وخالد الحذاء[3]- قال خالد: ما كتبت شـــيئاً قط إلا حديثاً واحداً، فلمَّا حفظته محوته[4]- وابن عون[5]، والزهري[6]، وقد كان بعضـــهم يكتب فإذا حفظ محاه، منهم: محمد بن سيرين[7]، وعاصم بن ضمرة[8]. وقال هشام بن حسان[9]: ما كتبت حديثاً قط إلا حديث الأعماق[10]، فلما حفظته محوته[11]. قال القرطبي: وحديث الأعماق خرجه مسلم في آخر الكتاب: لا تقوم الساعة حتى ينزل

---

[1] هو عامر بن شراحيل الشعبي، من حمير. ولد ونشأ بالكوفة، من كبار التابعين. ثقة عند أهل الحديث. اتصل بعبد الملك بن مروان. فكان نديمه وسميره. توفي ســـنة: 109هـ. الذهبي، **ســـير أعلام النبلاء**، 171/5. ابن حجر العســـقلاني، **تهذيب التهذيب**، 65/5. الزركلي، **الأعلام**، 251/3.

[2] يونس بن عبيد، أبا عبد الله، مولى لعبد القيس، ثقة، كثير الحديث، وقال يونس: «ما كتبت شيئا قط»، توفي سنة: 139هـ. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1968م)، 260/7. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، **التاريخ الكبير**، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية)، 402/8.

[3] هو خالد بن مهران الحذاء، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وجماعة، وحديثه في الصحاح. وقال ابن سعد لم يكن خالد بحذاء، ولكن كان يجلس إليهم. وقال فهد بن حبان: إنما كان يقول أحذ على هذا النحو فلقب الحذاء قال وكان خالد ثقة مهيبا كثير الحديث، توفي: سنة 141هـ وقيل: 142هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 6 /319. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 3 /120.

[4] أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، مَنْ كان لا يَرى أنْ يَكْتُبَ، (دار الذخائر، ط1، ٢٠١٦م)، 391.

[5] عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، عالم البصرة، كان ثقة كثير الحديث ورعًا، توفي سنة: 151هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 364/6. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، 261/9.

[6] أبو بكر محمد بن مســـلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شـــهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، مسند العراق، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، توفي سنة: 124هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 178/4. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 392/61.

[7] أبو بكر الأنصاري، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك،ثقة ، وكان فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا، وكان به صممٌ، كان مولى أنس بن مالك، ينسب له كتاب: تعبير الرؤيا، توفي سنة، 110هـ. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، 192/9. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 604/4. الزركلي، **الأعلام**، 154/6.

[8] عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي، وجرحه ابن حبان، وضعفه الجوزجاني، وتبعه ابن عدي، توفي سنة: 174هـ. ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 45/5.

[9] هشام بن حسان الأزدي، أبو عبد الله، القردوسي: محدّث. من أهل البصرة. كان يكتب حديثه، وهو من المكثرين عن الحسن البصري، توفي سنة: 147هـ. الزركلي، **الأعلام**، 85/1.

[10] الأعماق ودابق موضعان بالشام كذا في شرح مسلم. كذا في المخطوط. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، 21/18، كتاب: الفتن وأشراط الساعة.

[11] الرامهرمزي، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، مَنْ كان يَكْتُبُ فإذا حَفِظَه مَحَاه، 394.

الروم بالأعماق أو بدابق الحديث. ذكره في الفتن[1]. وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ، منهم: الأعمش[2] وعبد الله بن إدريس[3]، وهُشَيم[4] وغيرهم. وهذا احتياط على الحفظ، والكَتْبُ أولى على الجملة، وبه وردت الآي والأحاديث، وهو مروي عن عمر وعلي وجابر وأنس، ومن يليهم من كبراء التابعين كالحسن، وعطاء[5]، وطاوس[6] وعروة بن الزبير[7]، ومن بعدهم من أهل العلم، قال الله تعالى في الألواح ﴿**كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: 145] وقال: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [سورة الأنبياء: 105] وقال: ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾ [الأعراف: 156] الآية، وقال: ﴿**وَكُلّ شَيْء فَعَلُوهُ فِي الزُّبُر وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ**﴾ [القمر: 52]، وقال: ﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ**﴾ [طه: 52] إلى غير ذلك[66/ب] من الآي،

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فأمهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم. 2221/4، حديث رقم: 2897.

[2] سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالاعمش: تابعي، مشهور، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح، توفي سنة: 148هـ. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 4 /222. الزركلي، **الأعلام**، 135/3.

[3] عبد الله بن إدْرِيس ابن يزيد بن عبد الرحمن الأوْدي من مَذْحِج، أبا محمّد، وكان ثقةً مأمونًا، كثير الحديث حجّة صاحب سنّة وجماعة، قال أبو حاتم: هو حجة، إمام من أئمة المسلمين، توفي سنة:172هـ. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، 511/8. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 499/7.

[4] هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد: مفسر من ثقات المحدثين، ولزمه الإمام ابن حنبل أربع سنين، توفي سنة: 183هـ. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، 227/7. الزركلي، **الأعلام**، 89/8.

[5] مرّت ترجمته.

[6] طاووس بن كيسان، من أكابر التابعين، وأخذ عنه الصفوة من التابعين. أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن، توفى يوم التروية، وصلّى عليه هشام بن عبد الملك من سنة 106 هـ. ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، 452/1. الزركلي، **الأعلام**، 224/3.

[7] عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين، ثم عاد إلى المدينة، قال عمر بن عبد العزيز: ما أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئا أجهله، توفي فيها سنة: 93هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 425/4. الزركلي، **الأعلام**، 226/4.

وأيضاً فإنَّ العلم لا يُضبط إلا بالكتاب، ثم بالمقابلة والمدارسة والتحفظ والمذاكرة والسؤال، والفحص عن الناقلين، والثقة بما نقلوا، وإنما كَرِه الكتَّاب من كره من الصدر الأول؛ لقُرب العهد وتقارُب الإسناد، ولئلا يعتمده الكاتب أو ترغب عن تحفظه والعمل به، فأمَّا والوقت متباعدٌ، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنَقَلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والوَهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتابة أولى وأشفى، والدليل على وجوبه أقوى، فإن احتج محتج بحديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ، مَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[1]. خرجه مسلم، فالجواب: أنَّ ذلك منسوخ بأمره بالكتابة وإباحتها لأبي شاهٍ وغيره، وأيضاً كان ذلك؛ لئلا يخلط بالقرآن ما ليس منه، وكذا ما خرجه مسلم عن أبي سعيد: وحَرَصنا أن يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فأبَى[2]، إنْ كان محفوظاً فهو قبل الهجرة، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن. قال القرطبي: قال أبو بكر الخطيب ينبغي أن يُكتب الحديث بالسواد، ثم بالحبر خاصة دون المداد[3]؛ لأنَّ السواد أصبغ الألوان، والحبر أبقاها على مر الدهور، وهو آلة ذوي العلم وعُدّة أهل المعرفة. ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله، قال: رآني الشافعي وأنا في مجلسه وعلى قميصي حبرٌ وأنا أخفيه، فقال لِمَ تخفيه وتستره؟ إنَّ الحبر على الثوب

---

[1] أخرجه مسلم بلفظ: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب على –قال همام: أحسبه قال –متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ". **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، 4/ 2298، حديث رقم: 3004.

[2] الرامهرمزي، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، مخالفته لأصول الخطية دون سبب واضح، 58. وأخرج الترمذي بلفظ: «استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة، فلم يأذن لنا». **سنن الترمذي**، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في كراهية كتابة العلم، 400/4، حديث رقم: 2665، صحيح.

[3] المداد: محلول يستخلص من الزعفران، وسمي المداد مداداً سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب، وقال أبو بكر الخطيب: ينبغي أن يُكتب الحديث بالسواد لأن السواد أصبغ الألوان، والحبر أبقاها على مر الدهور والأزمان، وهو آلة ذوي العلم، وعدة أهل المعرفة والفهم. ابن منظور، ، **لسان العرب**، فصل الميم، 398/3ـــ. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، باب: تدوين الحديث في الكتب، وما يتعلق بذلك من أنواع الأدب، (الرياض: مكتبة المعارف، 1403هـ)، 249/1، حديث رقم: 503

من المروءة؛ لأنَّ صورته في الإبصار سواد، وفي البصائر بياضٌ [1] [67/أ] وقال خالد بن يزيد: الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخَلوق[2]في ثوب العروس[3]، وأخذ هذا المعنى أبو عبد الله فقال:

مِدَادُ الْمَحَابِرِ طِيبُ الرِّجَالِ وَطِيبُ النِّسَاءِ مِنَ الزَّعْفَرَانْ

فَهَذَا يَلِيقُ بأثواب ذا وهذا يليق بثوب الحصان [4]

وذكر الماوردي[5]: أنَّ عبيد الله بن سليمان فيما حُكي رُؤيَ على بعض ثيابه أثر صفرة، فأخذ من مداد الدواة فطلاه به، ثم قال: المداد بنا أحسن من الزعفران، وأنشدَ:

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعَذَارَى وَمِدَادُ الدُّوِيِّ عِطْرُ الرِّجَالِ

انتهى[6]. قال المدائني: وذوو العلم يؤثرون الكتابة بالحبر لما يرون في ذلك من الأجر. روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يُوزن يَوْم الْقِيَامَة مِدَادُ الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دَمِ الشُّهَدَاءِ»[7]. وقال صلى الله عليه وسلم: «مداد ما جَرت به أقلام العلماء

---

[1] الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، باب: تدوين الحديث في الكتب، وما يتعلق بذلك من أنواع الأدب، 251/1.

[2] الخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره. ابن منظور، **لسان العرب**، 398/10، فصل الخاء.

[3] الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، باب: تدوين الحديث في الكتب، وما يتعلق بذلك من أنواع الأدب، 251/1..

[4] من العباس بن الحسن. الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، باب: تدوين الحديث في الكتب، وما يتعلق بذلك من أنواع الأدب، 251/1.

[5] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (دار مكتبة الحياة، بدون طبعة)، 65.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 206/11 الى 208.

[7] أخرجه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، (فيصل آباد، باكستان: إدارة العلوم الأثرية، ط1، 1401هـ)، 72/1، حديث رقم: 98، وذكره علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهنديي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، كتاب العلم من قسم الأقوال، الباب الأول: في الترغيب فيه، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ)، 173/10، حديث رقم:28897، موضوع.

أفضـــل عند الله من دماء الشـــهداء»[1]. قال الأموي[2]: إنَّما سُمِّيَ الحِبرُ حِبراً، لأنَّ البليغَ إذا حَبَّرَ ألفاظَهُ وأنمّ بنانه أحضـرَ له من معانيَ الحِكَمِ وآنَقَ من حَبَرات اليَمَن ومفوَّفات وَشـيِ صَنعاء. انتهى كلام المدائني[3]. ثم عاد إلى تتميم الكلام الأول الذي يدل على الوحدانية فقال: "الَّذِي" مجرور صـــفة لربي، أو خبر مبتدأ محذوف، أو منصـوب على المدح. ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً**﴾ [طه: 53] كوفي، وغيرهم مهاداً[4]، وهما لغتان لما يبسـط ويفرش. قال الإمام فخر الدين: واعلم أنَّ موسى عليه السـلام لما ذكر الدلالة، وهي دلالة عامَّة تتناول جميع المخلوقات، ذكر[67/ب] بعد ذلك دلائل خاصـــة، وهي ثلاثة: أولها: الذي جعل لكم الأرض مهاداً. والمراد من كون الأرض مهداً؛ أنَّه تعالى جعلها بحيث يتصـــرَّف العباد وغيرهم عليها بالقعود والقيام والنوم، وقد مرَّ ذكرها في سورة البقرة عند قوله ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً**﴾. قال الزمخشري: فهي لهم كالمهد، وهو ما يمهَّد للصبي[5]. وثانيها: قوله: "وَسَلَكَ" أي جعل. لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً [طه: 53] طرقاً. قال الزمخشري: سلك من قوله الله: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾ [المدثر: 42]، نسلكه في قلوب المجرمين، أي جعل لكم فيها سـبلاً ووسَّـطها بين الجبال والأودية والبراري. انتهى[6]. نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَـاطاً لِّتَسْـلُكُواْ مِنْهَا سُـبُلاً فِجَاجاً**﴾ [نوح: 19-20] ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: 10]. وثالثها: ﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ [طه: 53] مطراً ﴿**فَأَخْرَجْنَا**﴾ [طه: 53] بالماء. انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتتان، والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشـياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة

---

[1] موضوع، علي بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن السمهودي القاهري الشافعي، **الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة**، (الرياض، دار اللواء، ط1، 1401هـ)، 226.

[2] لم أهتد إلى ترجمته.

[3] الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، 250/1.

[4] الفارسيّ، **الحجة للقراء السبعة**، 223/5.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 68/3.

[6] **المصدر نفسه**.

بمشـــيئته، لا يمتنع شـــيء عن إرادته، ومثله قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّـــمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: الآية 99]، ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا**﴾ [طه: 27]، ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّـــمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**﴾ [لنمل: 60]، وفيه تخصـــيص أيضـــاً بأنّا نحن نقدِر على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرة أحد[1].قاله الزمخشـــري[2]. قال الإمام فخر الدين: ظاهر الآية يدلُّ على أنَّه ســـبحانه إنما يخرج النبات من الأرض بواسطة إنزال الماء، فيكون للماء فيه أثر، وهذا بتقدير ثبوته لا يقدح في شيء من أصول[68/أ] الإســـلام؛ لأنَّه ســـبحانه هو الذي أعطاها هذه الخواصّ والطبائع، وقومٌ من المتكلمين ينكرونه لا تأثير له فيها البتة. انتهى[3]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنَّه قوله فأخرجنا، إمَّا يكون من كلام موســـى عليه الســـلام، أو من كلام الله تعالى، والأوَّل باطل؛ لأنَّ قوله بعد ذلك: ﴿**كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى**﴾ [طه: 54] لا يليق بموســى عليه الســلام؛ لما أنَّه لا يقدر على إخراج النبات على اختلاف ألوانها وطبائعها، فليس من موسى إلا صرفُ المياه إلى سقي الأراضي، ولا يجوز أن يقال كلام الله ابتداء من قوله: فأخرجنا به أزوجاً؛ لأنَّ الفاء متعلق بما قبله، فلا يصـــح جعل هذا كلام الله تعالى، وجعل ما قبله كلام موســـى، فلم يبق إلا أنْ يقال: إنَّ كلام موســـى تم عند قوله: ﴿**لَّا يَضِـــلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَـــى**﴾]طه: 52]، ثم ابتداء كلام الله تعالى من قوله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً**﴾ [طه: 53] انتهى[4]. وقال في المدارك: وقيل: تمَّ كلام موســـى عند قوله: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّـــمَاءِ مَاءً**﴾ [طه: 53]، ثم أخبر الله تعالى عن نفســـه بقوله: ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ**﴾ [طه: 53]، وقيل: هذا كلام موســـى، أي: فأخرجنا

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 68/3.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 60/22.

[3] **المصدر نفسه**، 61/22.

[4] **المصدر السابق**.

نحن بالحراثة والغرس. انتهى [1]. ﴿**أَزْوَاجاً**﴾ [طه: 53] أصنافاً ﴿مِنْ نَبَاتٍ﴾ [طه: 53] هو مصدر سُمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع ﴿شَتَّى﴾ [طه: 53] صفة للأزواج، أو للنبات، جمع شتيت، كمريض ومرضى، أي: أنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل، بعضها للناس، وبعضها للبهائم. ومن نعمته تعالى أنَّ أرزاقنا تحصل بعمل الأنعام، وقد جعل الله تعالى عَلَفها مما يفضل عن حاجتنا ما لا نقدر على أكله[2]. ﴿**كُلُوا**﴾ [طه: 54]، أي: قائلين كلوا. ﴿**وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ**﴾ [طه: 54] وقوله كلوا: حال من الضمير[68/ب] في ﴿**فَأَخْرَجْنَا**﴾، والمعنى: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها، مبيحين لكم أنْ تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [طه: 54] أي: فيما ذكرت من هذه النعم ﴿**لَآيَاتٍ**﴾ [طه: 54] لعبراً ودلالات ﴿**لِأُولِي النُّهَى**﴾ [طه: 54] لذوي العقول واحده نُهية وهي العقل؛ لأنَّ العقول تنهى عن المحظور، أو يُنتهى إليها في الأمور.

﴿**مِنْهَا**﴾ [طه: 55] من الأرض ﴿**خَلَقْنَاكُمْ**﴾ [طه: 55] اعلم أنَّه تعالى لما بيّن منافع الأرض والسماء بيَّن أنها غير مطلوبة لذاتها، بل هي مطلوبة؛ لكونها وسائل إلى منافع الآخرة، فقال: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾ الآية. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾ مع أنَّه سبحانه خلقنا من نطفة؟ فالجواب: من وجهين: أحدهما: أنَّه تعالى لما خلق أصلنا وهو آدم عليه السلام من التراب،كما قال: ﴿**كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ**﴾ [آل عمران: 59]؛ لا جرم أطلق ذلك علينا. وثانيهما: أنَّ تولُّد الإنسان إنما هو من النطفة ودم الطمث، وأنهما يتولدان من الغذاء، والغذاء إمَّا حيواني، وإمَّا نباتي، والحيوان يُنتهى إلى النباتي، والنبات إنما يحدث من امتزاج الماء والتراب، فصحَّ قوله: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾، وذلك لا ينافي الخلو من

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 368/2.
[2] المصدر نفسه، 368/2.

النطفة[1]. قال القرطبي: وقيل كل نطفة مخلوقة من التراب، على هذا يدلُّ ظاهر القرآن. وروى أبو هريرة رضـــي الله عنه قال: قال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ». أخرجه أبو نعيم الحافظ في كتاب ابن سيرين وقال: هذا حديث غريب [2]. وقد مضى هذا المعنى مبيناً في سورة الأنعام[3]عن ابن مسعود. وقال عطاء الخراساني[4]: إذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملِكُ الموكَّلِ بالرحم، فأخذ من تراب المكان[69/أ] الذي يدفن فيه، فيذُرُّه على النطفة فيخلُق الله النســـمة من النطفة ومن التراب، فذلك قوله: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾ الآية[5]. وفي حديث البراء عن النبي صـــلى الله عليه وسلم: «أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ صَعِدَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَـــنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَـــمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا فَيَسْـتَفْتِحُونَ لَهَا فَيُفْتَحُ فَيُشَـيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّـمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّـمَاءِ السَّـــابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" اكْتُبُوا لِعَبْدِي كِتَاباً فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى" فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَـــدِهِ»[6]. وذكر الحديث. وقد ذكرناه بكماله في

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 62/22.

[2] أخرجه أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصـفياء**، من الطبقة الأولى من التابعين، ابن سـيرين ومنهم ذو العقل الرصـين..، 280/2. وأخرجه أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس المسمى «زهر الفردوس»**، بقية حرف الميم، فصل ما موصولةً ونافيةً، وغير ذلك، (دبي: جمعية دار البر، ط1، 1439هـ)، 61/6، حديث رقم: 2214، موضوع.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 387/6.

[4] عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني، نزيل بيت المقدس: مفسر. كان يغزو، ويكثر من التهجّد في الليل. من تصنيفه " التفسير، الناسخ والمنسوخ، توفي سنة: 135هـ. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 73/3. الزركلي، **الأعلام**، 235/4.

[5] أخرجه أبو أحمد بن عدي الجرجاني، **الكامل في ضعفاء الرجال**، (بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، 517/6.

[6] قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الإيمان، حديث معمر، 93/1، حديث رقم:107. ابن حنبل، **مسـند الإمام أحمد بن حنبل، مسـند الكوفيين، حديث البراء بن عازب**، 413/30، حديث رقم: 18468. والبيهقي، **شعب الإيمان**، فصل: مما يحق معرفته، 610/2، حديث رقم: 390، صحيح.

كتـاب التـذكرة[1]. انتهى كلام القرطبي[2]. ﴿**وَفِيهَـا نُعِيـدُكُمْ**﴾ [طـه: 55] إذا متم فـدفنتم. ﴿**وَمِنْهَـا نُخْرِجُكُمْ**﴾ [طه: 55] عند البعث ﴿**تَارَةً**﴾ [طه: 55] مرةً ﴿**أُخْرَى**﴾ [طه: 55] والمراد بإخراجهم: أن تؤلَّف أجزاؤهم المتفرقة المختلطة بالتراب كما كانوا أحياء، ويخرجهم إلى المحشـــر[3]. ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ** سِـرَاعاً﴾ [النمل: 14]. قال الزمخشـري: عَدَّد الله تعالى عليهم ما علَّق بالأرض من مرافقهم، حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلَّبون عليها، وسوَّى لهم مسالك يترددون فيها كيف شاءوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرَّعوا، وأمُّهم التي منها ولدوا، ثم هي كِفَاتهم إذا ماتوا، ومن ثم قال صـلى الله عليه وسـلم: «تَمَسَّـحُوْا بِالْأَرْضِ فَإِنَّهَا بِكُم بَرَّة»[4]، أي: أمٌّ برَّة. انتهى[5]. قال السـلمي: قيل ليحيى بن معاذ: ما بال الإنسـان يحب الدنيا؟ قال: يحق له أن يحبها، منها خلق فهي أمه، وفيها نَشَـأَ فهي عيشـه، ومنها قُدِّرَ رزقه فهي حياته، وفيها معاده فهي كفاته، وفيها كَسْبُ الجنة فهي مبدأ سعادته، وهي ممر الصالحين إلى الله تعالى، فكيف لا يحب طريقا يأخذ بسالكه إلى جوار الله تعالى[6].

﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ**﴾ [طه: 56] أي: فرعون ﴿**آيَاتِنَا**﴾ [طه: 56] أي: المعجزات الدالة على نبوة موسى عليه السلام، وهي تسع[69/ب] آيات: العصى واليد، وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقُمّل،

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، (الرياض: دار المنهاج، ط1، 1425)، 360.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 210/11-211.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 369/2.

[4] أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الصغير**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1405)، باب: من اسمه حملة، 254/1، حديث رقم: ٤١٦. ابن أبي شيبة ، **المصنف**، ما يجزئ الرجل في تيممه، 149/1، حديث رقم: 1707، صحَّحه الألباني.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 69/3.

[6] السلمي، **حقائق التفسير**، 446/1.

والضـفادع، والدم، ونتقُ الجبل، وإنما أضـاف الآيات إلى نفسـه سـبحانه مع أنَّ المظهر لها موسـى عليه السـلام؛ لأنَّه أجراها على يده، كما أضـاف نفخ الروح إلى نفسـه، قال: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا**﴾ [التحريم: 12]، مع أنَّ النفخ كان من جبريل عليه السـلام. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿كُلَّهَا﴾ [طه: 56] يفيد العموم، وأنَّه تعالى ما أراه جميع الآيات، فنقول: لفظ الكل وإن كان للعموم؛ لكن قد يسـتعمل في الخصوص عند القرينة، كما يقال: دخلتُ السوق فاشتريت كل شيء، أو يقال: إنَّ موسى عليه السلام أراه آياته وعَدَّد آيات غيره من الأنبياء، فكذّب فرعون بالكل، أو يقال: تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل. قاله الإمام فخر الدين[1].

﴿**فَكَذَّبَ**﴾ [طه: 56] الآيات ﴿**وَأَبَى**﴾ [طه: 56] قبول الحق، أي: لم يؤمن، وهذا يدل على أنَّه كُفْر عنادٍ؛ لأنَّه رأى الآيات عياناً لا خبراً، نظيره: ﴿**جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً**﴾ [النمل: 14)، ثم إنَّه يوم حَكى شُبهة فرعون فقال: ﴿**قَالَ**﴾ [طه: 57] فرعون ﴿**أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا**﴾ [طه: 57] وهي مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَامُوسَى﴾ [طه: 57]، فيه دليل على أنَّه خاف منه خوفاً شديداً، وأنَّ فرائضه كانت تُرعَدُ خوفاً مما جاء به موسى عليه السلام؛ لعلمه وإيقانه أنَّه على الحق، وأنَّ المحقّ لو أراد قَود الجبال لانقادت له، وأنّ مثله لا يُخذل، ولا يقلّ ناصره، وأنَّه غالبُه على ملكه لا محالة. وقوله: ﴿**بِسِحْرِكَ**﴾ تعلُّلٌ وتحيُّرٌ، وإلا فكيف يخفى عليه أنّ ساحراً لا يقدر أن يُخرج ملكاً مثله من أرضه، ويغلبه على ملكه بالسحر؟. قاله الزمخشري[2]. [70/أ].

﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**﴾ [طه: 58] فلَنعارضنك بسحر مثل سحرك. لما علم أنَّ السِّحر يمكن معارضته بخلاف المعجز قال: ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**﴾. ﴿**فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً**﴾ [طه: 58]

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 63/22.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 70/3.

هو مصـــدر بمعنى الوعد، ويُقدَّر مضـــافٌ، أي: مكان وَعْدٍ، والضـــمير في: ﴿**لَا نُخْلِفُهُ**﴾ [طه: 58] للموعد، قرأ يزيد[1]: بالجزم على جواب الأمر[2]، وغيره بالرفع على الوصف للموعد ﴿**نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً**﴾ [طه: 58] هو بدل من المكان المحذوف، ويجوز أن لا يُقدَّر مضـــافٌ، ويكون المعنى: "اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه"، أي: لا يتخلَّف عن الحضور فيه، وانتصب "مَكَاناً" بالمصدر، أو بفعل يدل عليه المصدر، ﴿**سُـوًى**﴾ [طه: 58] بالكســر[3] حجازيٌّ[4] وأبو عمرو، وعليّ، وغيرهم بالضــم[5]، وهو نعتٌ ل"مكاناً"، أي: مَنصفاً[6]ينا وبينك، وهو من الاستواء؛ لأنَّ المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية، تلخصيه: نتواعد مكاناً تستوي مسافته على الفريقين.

﴿**قَالَ**﴾ [طه: 59] موســى، ﴿**مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾ [طه: 59] مبتدأ وخبر. قال الإمام فخر الدين: يحتمل أن يكون هذا من قول فرعون، ويحتمل أن يكون من قول موســى. قال القاضـــي: والأول أصح؛ لأنَّه المطالب للاجتماع دون موسى. وقيل: الأظهر أنَّه من كلام موسى عليه السلام لوجوه: منها: أنَّه جواب لقول فرعون ﴿**فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً**﴾ [طه: 58]. ومنها: أنَّ تعيين يوم الزينة يقتضـي اطلاع الكل على ما سيقع، فيعرف أنَّ اليد له لا لغيره. ومنها: أنَّ قوله: "مَوْعِدُكُمْ" هو خطاب للجميع،

---

[1] أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ، أحد القراء " العشرة تابعيّ، ويعرف أبو جعفر :بالمدني، كان إمام أهل المدينة في القراءة وكان من المفتين المجتهدين. توفي في المدينة سنة: 132هـ. المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، 201/33. الزركلي، **الأعلام**، 186/8.

[2] شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوســف، **شــرح طيبة النشــر في القراءات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1420)، 274.

[3] يعني: كسر السين وضمها.

[4] يقصد به من القراء السبعة ابن كثير المكي، ونافع المدني، ومن القراء العشرة أبو جعفر المدني ومن القراء الأربعة عشر ابن مُحَيصِن المكي. ويستعمل "حجازي": عند بعض القراء لأبي عَمرو البصري ويعقوب الحضرمي البصري، إذا وافقا أهل الحرمين. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، (الرياض: دار الحضارة للنشر، ط1/ 1429هـ)، 34.

[5] الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، 223/5.

[6] المنصف الموضع الذي يتنصف فيه المسافة. كذا في المخطوط.

وهذا الخطاب لا يستقيم إلا وأن يكون من موسى إلى فرعون وقومِه[1]. واختلف في يوم الزينة، فقيل: هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه، قاله قتادة والسدي وغيرهما[2]. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم[3]عاشوراء[70/ب]. وقال سعيد[4] بن المسيب: يوم سُوق[5]كان عندهم يتزينون فيها، وقال الضحاك: يوم السبت، وقيل: يوم النيروز. ذكره الثعلبي[6]. وقيل: يوم يُكسر فيه الخليج، وذلك أنهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون، وعند ذلك يأمن أهل الديار المصرية من قِبَل النيل. كذا في القرطبي[7]. فإن قيل: كيف يستقيم الجواب بالزمان، والسؤال عن المكان؟ قلنا: على التأويل الأول وهو مكان الموعد فإنما استقام الجواب؛ لأنَّ اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكانٍ لا محالةَ، فبذكر الزمان علم المكان، وعلى التأويل الثاني وهو: المراد بالموعد المصدر؛ يكون التقدير "وَعدُكم وَعْدُ يوم الزينة"، وإنما واعدهم ذلك اليوم؛ ليكون علوُّ كلمةِ الله وظهور دينه وكَبْتُ الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع الغاصِّ لِتَقوَى رغبة من رَغِبَ في اتباع الحق، ويكلّ حَدُ المبطلين وأشياعهم، ويكثرَ المحدِّث بذلك الأمر العَلَمِ في كل بَدْوٍ وحضر، ويشيعَ في جميع أهل الوَبَر والمدَر[8]. ﴿**وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ**﴾ [طه: 59] أي: يجمع، وهو في موضع رفع، أو جرٍّ عطفاً على يوم، أو الزينة. ﴿**ضُحًى**﴾ [طه: 59] أي: وقع الضحوة؛ ليكون أبعد عن الريبة وأبين لكشْف الحق، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر. عيّن اليوم بقوله يوم الزينة، ثم

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 64/22.

[2]مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، 30/3.

[3] الإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي، **مسند أبي يعلى الموصلي**، مسند ابن عباس، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1434هـ)، 330/4.

[4] سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة: 94هـ. المزي، **الكمال في أسماء الرجال**، 182/5. الزركلي، **الأعلام**، 102/3.

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 324/18.

[6] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 249/6.

[7] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 212/11.

[8] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 64/22.

عيّن من اليوم وقتاً معيناً بقوله: ﴿**وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى**﴾[1]. قال القرطبي: وخص الضحى؛ لأنَّه أوّل النهار، فلو امتدَّ الأمر فيما بينهم كان في النهار متّسع. انتهى[2].

﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ**﴾ [طه: 60] أدبر[71/أ] عن موسى معرضاً، ﴿**فَجَمَعَ كَيْدَهُ**﴾ [طه: 60] مَكرَه وسَحَرَته، ودخل تحت قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ السحرةُ﴾، وما يتعلق بالسِّحْر من الآلات وغيرها. قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل ساحر منهم حبالٌ وعصيّ[3]. وقيل: كانوا أربعمائة[4]. وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً[5]. وقال ابن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً[6]. وقيل: كانوا مجتمعين على رئيس يقال له: شمعون. وقيل: كان اسمه يوحنَّا، معه اثنا عشر نقيباً، مع كل نقيب عشرون عريفاً، مع كل عريف ألف ساحر. وقيل: كانوا ثلثمائة ألف ساحر من الفيّوم، وثلثمائة ألف ساحر من الصعيد، وثلثمائة ألف ساحر من الريف، فصاروا تسع مائة ألف، وكان رئيسهم أعمى[7]. ﴿**ثُمَّ أَتَى**﴾ [طه: 60] للموعد، ثم ضربت لفرعون قبةٌ، فجلس فيها ينظر إليهم، وكان طول القبة سبعين ذراعاً. ثم إنَّه تعالى بيّن أنَّ موسى عليه السلام قدَّم قبل كل شيء الوعيد والتحذير مما قالوه وأقدموا عليه، فقال: ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى**﴾ [طه: 61] أي للسحرة ﴿**وَيْلَكُمْ**﴾ [طه: 61] دعاء عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر. قال الزجاج: هو منصوب بمعنى ألزمهم الله ويلاً، إن افتروا على الله كذباً، ويجوز على النداء،كقوله: ﴿**يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾ [هود: 72] ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا**﴾ [يس: 2]. ﴿**لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ [طه: 61] لا

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /371-372.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 214/11.

[3] من قول مقاتل. الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 254/6.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 646/7.

[5] **المصدر نفسه**، 355/10.

[6] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 466/12.

[7] وهذه الأقوال من الإسرائيليات، لا يصح منها شيء.

تدعوا آياته ومعجزاته سحراً، ﴿**فَيُسْحِتَكُمْ**﴾ [طه: 61] كوفي[1]غير أبي بكر[2]، يُهلككم، وغيرهم: بفتح الياء والحاء، والسَّحت والإسحات بمعنى: الإعدام، وانتصب على جواب النهي[3]. قال الزمخشري[4]: والسحت لغة أهل الحجاز، والإسحات لغة أهل نجد، وبني تميم. ﴿**بِعَذَابٍ**﴾ [طه: 61] عظيم. ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾ [طه: 61] من كذّب على الله. كأنه تعالى قال: من افترى على الله كذباً حصل له أمران: [71/ب] أحدهما: العقاب الشديد في الآخرة. وثانيهما: الخيبة والحرمان عن المقصود. ثم بيَّن تعالى أنَّه لما قال موسى ذلك أعرضوا عن قوله، فقال: ﴿**فَتَنَازَعُوا**﴾ [طه: 62] اختلفوا أي: السحرة، فقال بعضهم: هو ساحر مثلنا، وقال بعضهم: ليس هذا بكلام السحرة، وهو قوله: ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ الآية. ﴿**أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**﴾ [طه: 62] تشاوروا في السر، وقالوا: إنَّ كان ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمرٌ –والنجوى يكون مصدراً واسماً[5]– ثم لفَّقوا هذا الكلام، يعني: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾ [طه: 62] يعني: موسى وهارون. قرأ أبو عمرو: "إِنَّ هَذَيْنِ لساحران"[6]،

---

[1] الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، **الحجة في القراءات السبع**، (بيروت: دار الشروق، ط4، 1401هـ)، 242. أبو عمرو الداني، **جامع البيان في القراءات السبع**، 1356/3.

[2] شعبة بن عياش بن سالم الأزدي الكوفي الخياط، أبو بكر: من مشاهير القراء. كان عالما فقيها في الدين. روى عن عاصم وعرض عليه القرآن ثلاث مرات، توفي بالكوفة سنة: 193هـ. أبو أحمد الحاكم الكبير، محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي، **الكنى والأسماء**، (القاهرة، دار الفاروق للطباعة والنشر، ط1، 1436)، 364/1. الزركلي، **الأعلام**، **165/3**.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /370.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 72/3.

[5] النجوى: اسمٌ من التناجي، ومعنى إسرارِها مع أنها لا تكون إلا سرًّا: أنهم بالغوا في إخفائها، أو أسروا نفسَ التناجي، بحيث لم يشعُر أحدٌ بأنهم متناجون. أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 54/6.

[6] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 419.

وهو ظاهر[1]، ولكنه مخالف لخط مصـــحف الإمام، وابن كثير[2]، وحفصٌ[3]، والخليل[4]، وهو أعرف بالنحو واللغة[5].

﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: 63]، بتخفيف إنْ، مثل قولك: "إنْ زيدٌ لمنطلق"، واللام هي الفارقة بين "إن" النافية والمخففة من الثقيلة. وقيل: هي بمعنى "ما"، واللام بمعنى "إلا" أي: ما هذان إلا ســـاحران، دليله: قراءة أبيّ: "إنْ ذان إلا ســـاحران"، وقرأ الباقون: إنَّ هذان لســـاحران. قيل: هي لغة بلْحارث بن كعب[6]وخثعم[7] ومراد[8] وكنانة[9]، والتثنية في لغتهم بالألف أبداً، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب،كعصا وسُعدَى، قال: إِنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي المجْدِ غَايَتَهَا

[1] ومعنى ظاهر: تشديد ان ونصب هذين بعد: "إنَّ".

[2] عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز، كان من التابعين، مقرئ مكَّة، وأحد القُرَّاء السَّبعة ، فارسي الأصل، كان فصيحًا مفوَّهًا، واعظًا، كبير الشَّأن، ثقة، له أحاديث صالحة، مات سنة: 120هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 318/5. الذهبي، **تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، 261/5.

[3] حفص بن سليمان الأسدى، حفص بن أبى داود أبو عمر الأسدى مولاهم الكوفى الغاضرى صاحب القراءة، وابن امرأة عاصم، ويقال له: حفيص، مات سنة: 180هـ. المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، 10/7. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 62/13.

[4] الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيديّ البصـــري، صـــاحب العربية والعروض أحد الأعلام، مات ســـنة: 170هـ، وقيل: 175هـ. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 240/13. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 429/7.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /371.

[6] بني الحارث بن كعب: ويقال لهم أيضـا «بني الديان» أو «بالحارث»: بطن من مَذْحِج، سـكنوا في منطقة نجران. عمر بن رضـا كحالة ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**،231/1.

[7] خثعم هي: قبيلة من بني قحطان، كانت منازلهم بجبال السـراة جنوب الحجاز، وبه بيت يعظمونه يسـمى كعبة اليمانية فيها صـنم يسـمى الخَلَصة. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ)، 489/2.

[8] هى قبيلة عَرَبِيَّة عظيمة من مُضر، أبوهم كِنانَةُ بنُ خُزَيْمَةَ، وَهُوَ الجَدُّ الرابعُ عَشَر لسيِّدِنا رسُول اللهِ – صلى الله عليه وسلم –، كانت ديارهم بجهات مكة، وتنقسم إلى عدة بطون منها: قريش، عبد مناة بن كنانة، بنو مالك ابن كنانة. الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 2189/6.

[9] ينسب إلى أبي النّجم: الفضل بن قدامة العجلي، الشاهد فيه "أباها" الثالثة لأنها مجرورة حيث جاءت بالألف في حالة النصب ولم تقلب ياء. بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـــ «شرح الشواهد الكبرى»**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1431هـ)، 190/1.

وقال الزجاج: "إنَّ" بمعنى: "نعم"، قال الشاعر[1]: ويَقُلْنَ شيْبٌ قد علاك وقد كبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ [2]

أي: نعم. والهاء: للوقف، وهذان: مبتدأ، وساحران: خبر مبتدأ محذوف، أي: هما ساحران. واللام داخلة على المبتدأ المحذوف، تقديره: "هذان[72/أ] لهما ساحران"، فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها، وهو: الابتداء، وقد تدخل اللام في الخبر كما تدخل في المبتدأ، قال[3]:

خالي لأَنتَ ومَن جَريرٌ خالُه يَنَلِ العَلاءَ ويُكْرِمِ الأَخْوالا

وقال الشاعر[4]: أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضى من اللَّحم بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ

قال الزجاج: وعرَضْتُه على المبرِّد فرَضِيَه. وقد زيَّفه أبو عليّ. كذا في المدارك [5]. وفي الكواشي: زعموا أنَّ قراءة أبي عمرو "إنَّ هذَيْنِ لَساحِران" مخالفةً لخطّ المصحف، وزعم بعضهم إنّما حملَهُ على ذلك؛ خشية اللحن، وهذا طعن في عدالة أبي عمرو وعلمه؛ لأنَّه هو الذي قرأها؛ لأنَّ هذا يُشعر أنه قرأها من تلقاء نفسه، لم يأخذها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه غير عالم بتعليل ﴿**إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ**﴾ بالرفع وتشديد "إنَّ"، وكيف يجوز اعتقاد مثل هذا بمن شُهِدَ له بالعدالة والبراعة في علم العربية؟! حتى زعموا أنَّه قال: إنّي لأستحي من الله أن أقرأ إنَّ هذان يعنُون بالرفع وتشديد إنّ. وكيف يجوز أن يعتقد أحد من المسلمين أنَّه يستحيي من قراءة ما صحَّ وتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم؟! مع أنَّ أبا عمرو وغيره من

---

[1] أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **نسب معد واليمن الكبير**، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ط1408/1هـ)، 273/1.

[2] من قول: بان قيس الرقيات، والشاهد: إنَّه: إنه: بمعنى نَعَم. أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، (الشارقة: جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، ١٤٢٩هـ)، 4659/7.

[3] ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، 243.

[4] نسبه الصاغاني في العباب إلى عنترة بن عروش، وأم الحليس: الأتان. الحلس: كساء رقيق يوضع تحت برذعة الدابة. شهربة: عجوز كبيرة. يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع ، **شرح المفصل للزمخشري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، 358/2. الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 159/1.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 371/2-372.

الأئمة،كانوا ينشدون ويُسمعون الأشعار المنحولة والعربية، ولا يؤخذ ذلك عليهم. انتهى كلام الكواشي[1].

قال القرطبي: وقد خطّأ هذه القراءة قومٌ، يعني: "إنّ هذان لساحران"، حتى قال أبو عمرو: إنّي لأستحيي من الله أن أقرأ "إنّ هذان". وروى عروة عن عائشة[2] أنها سئلت عن قوله تعالى: ﴿**لكِنِ الرَّاسِخُونَ**﴾ [النساء: 162]، ثم قال: ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ**﴾ [النساء: 162]، وفي المائدة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ**﴾ [البقرة: 62]، و﴿**إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ**﴾، فقالت: يا ابن أختي هذا خطأ من الكاتب[3]. وقال عثمان بن عفان[4]رضي الله عنه: في القرآن لحن وستقيمه العرب بألسنتهم[5][72/ب].

وقال أَبَانُ بن عفان[6]: قرأت هذه الآية على أبي عثمان بن عفان فقال: هو لحن وخطأ، فقال له قائل ألا

---

[1] الكواشي، أبي العباس أحمد بن يوسف بن الحسين، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، (**بيروت**: دار ابن حزم، ط1، 1440هـ)، 3 /180.

[2] هي أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن أبي قُحَافة التَّيمي، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة، كثيرة الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، عارفة بأيام العرب وأشعارها، روى عنها جماعة كثيرة من الصَّحابة والتَّابعين، توفيت المدينة سنة: 57هـ، وقيل: 58هـ. ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، 97/12.

[3] إن هذه الرواية باطلة، وعلى فرض صحتها فهي رواية أحاد لا يعارض بها قطعي الثبوت والمتواتر. أبو شُهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، 373، موضوع.

[4] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره، جهز نصف جيش العسرة بماله، روى عن النبي صلّى الله عليه وسلم 146 حديثا، لقّب بذي النورين لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم، قتل وهو يقرآ القرآن سنة: 35هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1037/3. الزركلي، **الأعلام**، 210/4.

[5] أخرجه أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي، **المصاحف**، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ)، 122. جمال الدين الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، 1 497.وذكره القرطبي بصيغة التمريض، موضوع.

[6] أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي: أول من كتب في السيرة النبويّة، شارك في وقعة الجمل مع عائشة، ولي إمارة المدينة سنة: 76 إلى 83، وكان من رواة الحديث الثقات، ومن فقهاء المدينة. توفي في المدينة سنة: 105هـ. الزركلي، **الأعلام**، 27/1.

تغيّروه؟ فقال: دعوه فإنه لا يحرّم حلالاً ولا يحل حراماً[1]. انتهى كلام القرطبي[2]. قال النسفي: إنَّه سبحانه لما ذكر ما أسرّوه من النجوى حكى عنهم ما يدل على التنفير عن موسى ومباعدة دينه، فأحدهما: قولهم "هذان ساحران": فهذا طعنٌ منهم في معجزات موسى، ومبالغة في التنفير عنه؛ لأنَّ كلَّ طبع سليم ينفر عن السحر، ويكره رؤية الساحر، ومن حيث إنَّ الإنسان يعلم أنَّ السحر لا بقاء له، فإذا اعتقدوا فيه بالسحر قالوا: كيف نتّبعه وأنه لا بقاء له ولا لدينه ومذهبه؟ والمفارقة عن المولد والمنشأ شديدة على القلوب؟ وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله: ﴿**أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ**﴾ [طه: 57]، فكأنَّ السحرة تلقفوا هذه الشبهة عن فرعون، ثم أعادوها. انتهى[3]. ﴿**يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ**﴾ [طه: 63] مصر ﴿**بِسِحْرِهِمَا**﴾ [طه: 63]. وثانيهما: قوله: ﴿**وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ**﴾ [طه: 63] بدينكم وشريعتكم. ﴿**الْمُثْلَى**﴾ [طه: 63] الفُضلى: تأنيث الأمثل وهو الأفضل، سمَّوا مذهبهم الطريقة المثلى والسُنّة الفُضلى، وكلُّ حزب بما لديهم فرحون، غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه، كما قال فرعون: ﴿**إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ**﴾ [غافر: 26]. وقيل: أرادوا أهل طريقتهم المثلى، وهم بنو إسرائيل؛ لقول موسى: ﴿**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ**

---

[1] ذهب عامة الصحابة والعلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه من خطأ لا من كاتب ولا غيره، وأجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا؛ لأن من جمع القرآن هم أهل اللغة والفصاحة، فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. قال ابن الأنباري: ما روي عن عثمان لا يصلح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره؟ ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه؟ قال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 447/1. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 590/1.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /216.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 70/22-71.

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. وقيل: الطريقة اسمٌ لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم، يقال: همُ طريقةُ قومهم، ويقال للواحد أيضاً: هو طريقةُ قومه. كذا في الكشاف [1].

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ [طه: 64] أي: أَحكِمُوا، أي: اجعلوه مُجمَعاً عليه، يعني: لا تختلفوا. "فأجمَعوا": أبو عمرو[2]، يعضُده: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: 60] [73/أ]. ﴿كَيْدَكُمْ﴾ [طه: 64] هو يكاد به ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً﴾ [طه: 64] مصطفِّين، حالٌ، أمروا بأن يأتوا صفَّاً؛ لأنَّه أهْيَبُ في صدور الرائين، وروي أنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصيٌ، وقد أقبلوا إقبالة واحدةً[3]. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 64] وقد فاز من غلب، وهذا اعتراض. ﴿قَالُوا﴾ [طه: 65] أي: السحرة ﴿يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ [طه: 65] عصاك من يدك أولاً ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: 65] ما مَعَنا، وموضع "أن" مع ما بعده فيهما: نصبٌ بفعل مضمر، معناه: اختر أحد الأمرين، أو رفْع بأنه: خبر مبتدأ محذوف، معناه: الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا، وهذا التخيير منهم استعمالُ أدب حسن معه، وتواضعٌ له، وخفض جناح، وتنبيهٌ على إعطائهم النصَفَةَ من أنفسهم، وكأنّ الله تعالى ألهمهم ذلك، وقد وصل إليهم بركته، وكأنَّ ذلك سبب إيمانهم، وعلَّم سبحانه موسى اختيار إلقائهم أولاً، حتى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه: 66] أنتم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يُبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفذوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه، وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلَّط المعجزة على السحر فسحقَتْه، وكانت آية نيّرة للناظرين، وعبرة بيِّنَة للمعتبرين. كذا في الكشاف [4]. قال النسفي: فإن قلت: كيف يجوز أن يقول موسى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ فيأمرهم بما هو سحر وكفر؛ لأنَّهم قصدوا بذلك

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /72.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 419.

[3] قاله: القاسم بن سلام، كذا لدى الرازي، **مفاتيح الغيب**، 73/22.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 73/3.

تكذيب موسى فكان كفراً؟ والجواب: من وجوه: أحدها: لا نسلِّم أنَّ نفس الإلقاء كفرٌ ومعصيةٌ؛ لأنَّه إذا ألقوا، وكان غرضهم أن يظهر الفرق بين ذلك الإلقاء وبين معجزة موسى عليه السلام كان ذلك[73/ب] الإلقاء إيماناً. وثانيها: ذلك الأمر كان مشـــروطاً، والتقدير: ألقوا ما أنتم ملقون إنْ كنتم ملقون، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُـــورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ [البقرة: 22]، أي: إن كنتم قادرين. وثالثها: أنَّه لما تعيَّن ذلك طريقاً إلى كشـــف الشـــبهة صـــار ذلك جائزاً، وهذا كالمحقّ إذا علم أنَّ في قلب واحد شـــبهة، وأنَّه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها بأقصى ما يقدر عليه لبقيتْ تلك الشبهة وخرج بسَببها عن الدين، فإنَّ للمحق أن يطالبه بتقريرها على أقصى الوجوه، وغرضُه من ذلك أنْ يجيب عنها، وهذا جائز من غير شك. ورابعها: أنَّ ذلك لا يكون أمراً، بل يكون معناه: إن أردتم فعله فلا مانع عنه حســاً؛ لكي ينكشــف الحق. وخامســها: أنَّ موسى عليه السلام لا شك أنَّه كان كارهاً لذلك، ولا شك أنَّه نهاهم عن ذلك بقوله: ﴿**وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيُسْـــحِتَكُم بِعَذَابٍ**﴾ [طه: 61]، وإذا كان كذلك اســـتحال أن يكون ذلك أمراً لهم بذلك. فإن قلت: لم قدَّمهم بالإلقاء على نفسـه، مع أن تقديم اسـتماع الشـبهة على اسـتماع الحجة غير جائز؟ والجواب: أنَّه عليه الســـلام كان قد أظهر المعجزة مرةً واحدةً، وما كان به حاجةٌ إلى إظهارها مرةً أخرى، فقال عليه السلام: لو أنّي بدأت بإظهار المعجزة لكنت كالسبب في إقدامهم على إظهار السحر وقصـــد إبطال المعجزة، وذلك غير جائز، لكني أفوض الأمر إليهم، حتى أنهم باختيارهم يظهرون ذلك الســحر، ثم أظهر المعجزة التي تبطل الســحر، فيكون على هذا التقدير ســبباً لإزالة الشــبهة. انتهى كلام النسفي [1].

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 72/22.

﴿**فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ**﴾ [طه: 66] أي: فألْقوا فإذا حبالهم[74/أ] وعصيهم، يقال في "إذا" هذه: إذا المفاجأة، والتحقيق فيها أنها: إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبةُ ناصباً لها، وجملةً تضاف إليها خُصَّت في بعض المواضع؛ بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة، والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾، ففاجأ موسى وقت تخييل سعْي عصيهم وحبالهم، وهذا تمثيل، والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلةً إليه السعي. كذا في الكشاف[1].

﴿**يُخَيَّلُ**﴾ [طه: 66] وبالتاء ابن ذكوان[2] ﴿**إِلَيْهِ**﴾ [طه: 66] إلى موسى ﴿**مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ [طه: 66] أي: تمشي، محل "أنّ" رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيّل، كقولك: "أعجبني زيدٌ كرمه"[3]. قال الإمام فخر الدين: المراد أنهم بلغُوا في سحرهم المبلغ الذي صار يخيل إلى موسى أنها تسعى، كسعي ما يكون حيَّاً قادراً من الحيَّات، لا أنها كانت حية في الحقيقة. وروي عن وهب: أنهم سحروا عين موسى عليه السلام[4]حتى تخيل ذلك، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [الأعراف: 116]، وبقوله: ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ [طه: 66]. ومنهم قال: هذا غير جائز؛ لأنَّ ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة وإزالة الشبهة، فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن المخيل الفاسد، لم يتمكن من إظهار المعجز، وحينئذ لا يحصل المقصود، فإذاً المرادُ: أنه شاهد سبباً لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشيء؛ لظُنَّ فيها أنها تسعى. انتهى[5]. يروى: أنهم لطخوها بالزئبق، فلمَّا ضربتْ عليها

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 73/3.

[2] عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الفهري، أبو عمرو: من كبار القراء، لم يكن في عصره أقرأ منه. توفي في دمشق عام: 242 هـ. العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، 140/5. الزركلي، **الأعلام**، 65/4.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 73/3.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 109/16.

[5] بتصرف. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 73/22.

الشمس اضطربت واهتزت فخيلتْ ذلك[1]. وقال الكلبي: خُيِّل إلى موسى أنَّ الأرضَ حياتٌ، وأنها تسعى على بطنها[2]. قال الإمام فخر الدين: قال[74/ب] ابن عباس رضي الله عنهما: ألقوا حبالهم وعصيهم مِيلاً من ذلك الجانب، ومِيلاً من هذا الجانب، فحينئذ خُيل إلى موسى عليه السلام أنَّ الأرض كلها حياتٌ، وأنها تسعى. وكما قيل له: وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا، فألقى موسى عصاه فإذا هي أعظم من حياتهم، ثم ازدادت عظماً حتى ملأت الوادي، ثم صَعِدت حتى علقت ذنبها بطَرف القُبة، ثم هبطت فأكلت كلَّ ما عمِلوا، والناس ينظرون إليها لا يحسبون إلا أنَّه سحر، ثم أقبلَتْ نحو فرعون لتبتلعه، فصاح بموسى عليه السلام فأخذها، فإذا هي عصىً كما كانت، ونظرت السحرة فعرفوا أنَّه ليس بسحر، قالوا: أين حبالنا وعِصينا، ولو كان سحراً لبقيتْ، فخروا سجداً، وقالوا: آمنا برب هارون وموسى. انتهى [3].

﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾ [طه: 67] أضمر موسى في نفسه خوفاً ظناً منه أنها تقصده، وكان ذلك لطبع الجِبلَّة البشرية، وأنَّه لا يكاد يمكن الخُلو من مثله. وقيل: خاف أن يُخالج الناسَ شكٌّ فلا يتّبعون[4]. قال القرطبي: قال بعض أهل الحقائق[5]: إنما كان السبب في خوفه، أنَّ موسى عليه السلام لما التقى بالسحرة، وقال لهم: ﴿**وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ**﴾ [طه: 61]التَفتَ، فإذا جبريل عليه السلام عن يمينه، فقال له يا موسى: تَرَفَّقْ بأولياء الله، فقال موسى: يا جبريل هؤلاء السَّحرة جاؤوا بسحر عظيم، ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون، ويردّوا دين الله، تقول ترفَّق بأولياء الله؟ فقال جبريل: هم من الساعة إلى صلاة العصْر عندك، وبعد صلاة العصر في الجنة، فلمَّا قال

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 73/3.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /222.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 72/22-73.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 74/3.

[5] لم يسند القرطبي هذا الكلام، ويحتمل أن يكون من أخبار بني إسرائيل، والله أعلم بالصواب.

له ذلك أوجس في نفس موســـى خيفة، وخطر بباله: أنْ ما يُدريني ما علم الله[75/أ] فيّ، فلعليّ أكون الآن في حالة، وعلم الله في خلافها كما كان هؤلاء، فلمَّا علم الله ما في قلبه، أوحى إليه لا تخف إنك أنت الأعلى. انتهى[1]. قال الســلمي: ســئل ابن عطاء عن قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: 67] ما كان هذه الخيفة؟ والله تعالى يقول: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ قال: خاف على قومه أن يفوتهم حظهم من الله تعالى، وما خاف على نفســه. انتهى[2]. قال الإمام فخر الدين: فإن قلت: لا مزيد في إزالة الخوف على ما فعله الله تعالى في حق موسى عليه الســلام، فإنَّه كلَّمه أولاً، وعرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد، ثم إنَّه قال صيّرها كما كانت، ثم إنَّه أعطاه الاقتراحات الثمانية، ثم قال له بعد ذلك كلَّه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه؟ والجواب عنه من وجوه: أحدها: أنَّ الخوف إنما كان لما طبع عليه الآدمي من ضــعف القلب، وإنْ كان قد علم موسى عليه السلام أنهم لا يصلون إليه، وأنَّه تعالى ناصِرُه، هذا قول الحسن. وثانيها: أنَّه خاف أن يدخل على الناس شبهة فيما يَرومُ، فيظنوا أنهم قد ساوَوا موسى عليه السلام، ويشتبه ذلك عليهم، وهذا التأويل يتأكد بقوله تعالى: ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ [طه: 68] هذا قول مقاتل[3]. وثالثها: أنَّه خاف حيث بدؤوا وتأخَّر إلقاؤه أن يتفرق بعض القوم قبل مشـــاهدة ما يلقيه، فيدوموا على الاعتقاد الباطل. ورابعها: لعلَّه عليه الســلام كان مأموراً بأن لا يفعل شــيئاً إلا بالوحي، فلمَّا تأخَّر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع، فيبقي في الخجالة. وخامسها: لعلَّه عليه السلام خاف من أنَّه لو أبطل سحر أولئك الحاضرين، فلعلَّ فرعون قد أعدّ أقواماً آخرين فيأتيه بهم، فيحتاج مرة أخرى إلى إبطال سحرهم[75/ب]، وعلى هذا مرة بعد مرة، وحينئذ لا يتم ولا يحصل

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /222-223.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 446/1.

[3] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، 310/1.

المقصود. ثم إنَّه تعالى أزال ذلك الخوف بالإجمال أولاً، وبالتفصيل ثانياً، أما الإجمال: فقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68] الغالب القاهر. فيه أنواع من المبالغة: أحدها: ذكر كلمة التوكيد، وهي: "إنّ". وثانيها: تكرير الضمير. وثالثها: لام التعريف. ورابعها: لفظ العلوّ وهو الغلبة الظاهرة [1]. قال السلمي: قال ابن عطاء: لا تخف فإنك بمرأى منَّا ومَسْمَع ونحن معك في جميع أحوالك، فإنَّك القائم بالمسبِّب، وهم المعتمدون على الأسباب[2]. وأما التفصيل: فقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ**﴾ [طه: 69] بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفصٌ، "تَلَقَّفُ": ابن ذكوان، الباقون[3]: "تَلقَّفْ"، أي: تأخذه بفيها ابتلاعاً بسرعة، ﴿**مَا صَنَعُوا**﴾ [طه: 69] زوَّروا وافتعلوا، أي: اطرح عصاك تبتلع عصيَّهم وحبالهم، فإن قلت: لمَ لمْ يقل وألق عصاك؟ الجواب: جاز أن يكون تصغيراً لها، أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العُويد الفَردَ الصغير الجِرْمِ الذي في يمينك، فإنَّه بقدرة الله يتلقّفُها على وَحْدته وكثرتها، وصِغَره وعِظَمها، وجاز أن يكون تعظيماً لها، أي: لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة، فإنَّ في يمينك شيئاً أعظم منها كلها، وهذه على كثرتها أقلّ شيء وأندَرُه عندها، فألقِهِ يتلقَّفها بإذن الله ويمحقها، وفي التلَقُّف دلالة على أنَّ جميع ما ألقوه تلقفته، وذلك لا يكون إلا مع عظم جسدها وشدة قوتها. وقد حُكي عن السحرة أنهم عند التلفف اتفقوا على أنَّ ما جاء به موسى عليه السلام ليس من مقدور البشر من وجوه: [76/أ] أحدها: ظهور حركات العصا على وجه لا يكون مثلهُ في الحِيَل. وثانيها: زيادةُ عظمه على وجه لا يتم بالحيلة. وثالثها: ظهور الأعضاء عليه من العين والفم والمنخرين على وجه لا يتم ذلك

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/73-74.

[2] السلمي، **حقائق التفسير**، 1/446.

[3]. الفارسيّ، **الحجة للقراء السبعة**، 5/235.

بالحيلة. ورابعها: تلقُفُ جميع ما ألقوه على كثرته، ولا يتم ذلك بالحيلة. وخامسها: عَودُه عصاً خشبةً صغيرة كما كانت، وشيء من ذلك لا يتم بالحيلة. قاله الإمام فخر الدين [1].

﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ**﴾ [طه: 69] "سِحْر"[2]: كوفي غير عاصم[3] بمعنى: ذي سحر، أو ذَوِي سِحْر، أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه، "وكيدُ": بالرفع على القراءتين، و"ما": موصولة أو مصدرية. بيّن تعالى أنَّ ما صنعوه كيدُ سحر، والمعنى: أنَّ الذي معك يا موسى معجزةٌ إلهيةٌ، والذي معهم تمويهٌ باطلٌ، أو بُيّن الكيدُ؛ لأنَّه يكون سحراً وغير سحر، كما يُبيّن المائة بدرهم، ونحو: علم فقه، وعلم نحو. فإن قلت: لمَ وُحّد ساحرٌ ولم يُجمع؟ الجواب: لأنَّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخُيّل أنَّ المقصود هو العدد، ألا ترى إلى قوله: ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ**﴾ [طه: 69] أي هذا الجنس ﴿**حَيْثُ أَتَى**﴾ [طه: 69] أينما كان. فإن قلت: لمَ نُكّر الساحر أولاً وعُرّف ثانياً؟ فالجواب: إنما نُكّر من أجل تنكير المضاف، لا من أجل تنكيره في نفسه، كقول العجاج: في سَعيْ دُنيا طال ما قد مُدَّتِ[4]. المراد: تنكير السعي؛ لأنَّه مضاف إلى الدنيا. وفي حديث عمر رضي الله عنه: لا في أمْر دنيا ولا في أمر آخرة [5]، المراد: تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيدٌ سحريٌ، وفي سعيٍ دنيويّ، وأمرٍ

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 74/22.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 421.

[3] أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين بن أسد، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش، وتوفي بالكوفة سنة: 127هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 9/3.الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 259/5.

[4] وصدره: يومَ ترى النفوسُ مما أَعَدَّت، والمعنى: إن النفوس سترى حصِيلة أمورها التي أخذت أبعادها ومداها في هذه الدنيا المديدة. رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، **ديوان العجاج**، (بيروت: دار الشروق العربي، من دون طبعة، 1416هـ)، 410.

[5] لم أجد الحديث إلا من قول عبد الله ابن مسعود: "إني لأمقت الرجل أراه فارغا لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة". قال أبو حيان في تفسيره: " وأما قول عمر فيحتمل أن يكون من تحريف الرواة ". وقال الزيلعي: غريب. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**،357/7. المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، فصل في الترهيبات، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ)، 251/16، حديث رقم: 44333، الزيلعي، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، 236/4، حديث رقم:1507.

دنيوي وأخرويّ. كذا في الكشـــاف [1]. وقال الإمام فخر الدين: الجواب عنه كأنه قال: [76/ب] هذا الذي أتوا به قسمٌ واحدٌ من أقسام السحر، وجميع أقسام السحر لا فائدة فيه، ولا شك أنَّ الكلام على هذا الوجه أبلغ. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿**وَلا يُفْلِحُ السَّـــاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾ [طه: 69] يدلُّ على أنَّ الساحر لا يحصل له مقصود بالسحر خيراً كان أو شراً؛ وذلك يقتضي نفي السحر بالكلية. الجواب: الكلام في السحر وحقيقته قد تقدم في سورة البقرة، فلا وجه للإعادة. ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً**﴾ [طه: 70]شكر الله تعالى على الهداية. لما ألقى ما في يمينه وصار حيةً تلقف ما صنعوا، وظهر الأمر، خرُّوا عند ذلك سجداً؛ وذلك لأنَّهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر، فلمَّا رأوا ما فعل موسى عليه السلام خارجاً عن صناعتهم عرفوا أنَّه ليس من السحر البتَّة، فاستدلوا بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر القاهر، وبظهورها على يد موسى عليه السلام على كونه رسولاً صادقاً من عند الله سبحانه، فلا جرم تابوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود. أما قوله تعالى: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً**﴾ فليس المراد أنهم أُجبروا على السجود، وإلا لما حُمدوا على التأويل، بل ما قال الأخفش: وهو أنهم من سرعة ما سجدوا كأنهم أُلقوا. قال في الكشاف[2]: سبحان الله! ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرقَ بين الإلقاءين. وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها [3]. وعن عكرمة: لما خرُّوا سـجداً أراهم الله تعالى في سـجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة. انتهى [4].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 75/3.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 75/3.

[3] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 30/13.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 75/22.

﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَـــى**﴾ [طه: 70] قال القرطبي: لما رأوا من عظيم الأمر وخرق العادة في العصـــي فإنها ابتَلعتْ جميع ما احتالوا به من الحبال والعصـــي، وكانت حِمْلَ ثلثمائة بعير، ثم عادت[77/أ] عصـــىً لا يعلم أحدٌ أين ذهبت الحبال والعصـــيُّ إلا الله عز وجل، وقد مضـــى في ســـورة الأعراف هذا المعنى[1]، وأمرُ العصا مستوفى ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ**﴾. انتهى[2]. قال في المدارك: وإنما قُدّم هارون هنا وأُخّر في الشعراء؛ محافظةً للفاصلة؛ ولأنَّ الواو لا توجب ترتيباً. انتهى[3]. وقال البرهان النسفي: وفي قولهم ﴿**ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ**﴾ فائدتان: الأولى: هي أنَّ فرعون ادّعى الربوبية في قوله: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ**﴾، فلو أنهم قالوا آمنَّا برب العالمين، لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري، فلِدفع هذه التهمة قالوا: ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَـــى﴾، وقال: إنما قُدم ذكر هارون؛ لأنَّ فرعون كان يدّعي ربوبية موســـى، بناء على أنَّه ربّاه في قوله: ﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً**﴾ [الشـــعراء: 18]. الثانية: هي أنهم لما شاهدوا أنَّ الله تعالى خصَّهما بتلك المعجزات العظيمة والدرجات الشريفة، لا جرم قالوا: ﴿**بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ**﴾، ثم إنَّ فرعون لما شاهد منهم السجود والإقرار، خاف أن يصير ذلك سبباً لاقتداء سائر الناس بهم في الإيمان بالله ورســوله، ففي الحالِ ألقى شـبهة أخرى في البَيْن، وهي قوله: ﴿**قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ**﴾ [طه: 71] بغير مد حفص[4]، وبهمزة ممدودة بصـــريٌّ وشـــامي وحجازيٌّ، وبهمزتين غيرهم، ﴿**لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**﴾ أي لموســـى، يقال: آمن له وآمن به[5]. قال الزمخشـــري: واللام مع الإيمان في كتاب لغير الله تعالى كقوله: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، وهذا توبيخ منه لهم ﴿**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّـــحْرَ**﴾ [طه:

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 259/7.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /224.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /374.

[4] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 290.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /374.

71] أي: لعظيمكم، يُريد أنَّه أسحرهم وأعلاهم درجةً في صناعتهم، أو لكبيركم أي: لمعلِّمكم، من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا، يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء. كذا في الكشاف[1]. قال القرطبي: إنَّه لكبيركم، أي: رئيسكم[77/ب] في التعليم، وإنما علّمكم؛ لأنَّه أحذقُ به منكم، وإنما أراد فرعون بقوله هذا؛ ليشبّه على الناس، حتى لا يتّبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد عَلِمُوا السحر قبل قدوم موسى وولادته. انتهى[2]. ثم بعد إيراد الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيراً لهم عن الإيمان، وتنفيراً لغيرهم عن الاقتداء بهم في ذلك، فقال: ﴿**فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ**﴾ [طه: 71]، القطع من خلاف: أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى؛ لأنَّ كل واحد من العضوين يُخالف الآخر، بأنَّ هذا يدٌ وذلك رجلٌ، وهذا يمين وذلك شمالٌ، و"من" لابتداء الغاية؛ لأنَّ القطع مُبتدئٌ وناشئٌ من مخالفة العضوِ العضوَ، لا من وفاقه إياه، ومحلَّ الجار والمجرور النصب على الحال، أي: لأقطعنّها مختلفات؛ لأنَّها إذا خالف بعضُها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف. كذا في الكشاف[3]. والجمهور: على أنه قطعهم وصلبهم حتى ماتوا رحمهم الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا في أول النهار كفاراً سحرَة وفي آخره شهداء بررة[4]، وقيل: إن فرعون لم يقدر على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿**فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص: 35]. كذا في تفسير

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 76/3.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 224/11.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 76/3.

[4] أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، (بيروت: دار التراث، ط2، 1387هـ)، 1،250.

القرطبي[1]. قال النســـفي: ليس في القرآن أنَّ فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين ما أوعدهم به ولكن ثبت ذلك في الأخبار [2].

﴿**وَلَأُصَـلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه: 71] يقال في المشـــهور: إن "في" بمعنى "على". وقال الزمخشري: شبه تمكُّنُ المصلوب في الجذع بتمكن الشيء المظروف في الظرف؛ فلذا قال في جذوع النخل. انتهى[3]، وخَصَّ النخل؛ لطول جذوعها. ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَـــدُّ عَذَاباً**﴾ [طه: 71] قال في المدارك: أي أنَا على إيمانكم بموســى أو رب موســى على ترك الإيمان به. وقيل: يريد بقوله أيُّنا نفســه لعنه الله[78/أ] وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، انتهى[4]. قال الزمخشري: وفيه نفاحةٌ باقتداره وقهره، وما ألفه وضَرِيَ به من تعذيب الناس بأنواع العذاب، وتوضيع لموسى عليه السلام، واستضعاف له من الهزْءِ به؛ لأنَّ موسى عليه السلام لم يكن قط من التعذيب في شـــيء، انتهى[5]. قال البرهان النســـفي: فإن قلت: إَّن فرعون مع قرب عهده بمشـــاهدة انقلاب العصا حيةً بتلك العظمة التي شرحتموها، وذكرتم أنها قصدت ابتلاع قصر فرعون، وآل الأمر إلى أنْ استغاث بموسى، واستغاثته من شر ذلك اللحيين[6]، فمعَ قرب عهده بذلك وعجزه عن دفعه، كيف يُعقل أن يهدد السحرة، ويبالغ في وعيدهم إلى ذلك الحد، ويستهزئ بموسى في قوله: ﴿**أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾ ؟ قلنا: لا يجوز أن يقال: أنَّه لم يخف بل كان في أشـــد الخوف، إلا أنَّه كان يظهر تلك الجلادة والوقاحة تمشـــيةً لناموســـه، وترويجاً لأمره، ومن اســـتقرأ أحوال العالم علم أنَّ العاجز قد يفعل أمثال هذه

---

[1] لم أجده في تفسير القرطبي.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 80/22.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 76/3.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 374/2.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 76/3.

[6] لدى الرازي: الثعبان. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 77/22.

الأشياء، ومما يدلُّ على صحة ذلك، أنَّ كل عاقل يعلم بالضرورة أنَّ عذاب الله أشدُّ من عذاب البشر، ثم إنَّه أنكر ذلك، وأيضـــاً: فقد كان عالماً بكذبه في قوله: ﴿**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّـــحْرَ**﴾ [طه: 71]؛ لأنَّه علم أنَّ موسى عليه السلام ما خاطبهم البتَّة وما لقيهم، وكان يَعرف من سحرته أنَّ أستاذ كل واحد من هو، وكيف حصَّـــل ذلك، انتهى [1]. ﴿**وَأَبْقَى**﴾ [طه: 72] وأدوم ﴿قَالُوا﴾ [طه: 72] يعني الســـحرة ﴿**لَنْ نُؤْثِرَكَ**﴾ [طه: 72] لن نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [طه: 72] القاطعة الدالة على صدق موسى[2]. إنَّه تعالى لما ذكر[78/ب] تهديد فرعون لأولئك المؤمنين، ذكر جوابهم عن ذلك بما يدل على اليقين التام والنصـــرة الكاملة لهم في أمر الدين، فقالوا: ﴿**قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ**﴾ [طه: 72]، وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان، وإلا فعل بهم ما أوعدهم، فقالوا: "لَن نُّؤۡثِرَكَ" جواباً لما قاله، وبيَّنوا العلة، وهي: إنَّ الذي جاءهم بيناتٌ وأدلةٌ، والذي يذكره فرعون محض الدنيا، ومنافع الدنيا ومضـــارها لا تُعارضُ بمنافع الآخرة ومَضـــارها[3]. قال القرطبي: ﴿**قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ**﴾، قال ابن عباس: يريد من اليقين والعلم. وقال عكرمة وغيره: لما ســـجدوا أراهم الله في ســـجودهم منازلهم في الجنة؛ فلهذا قالوا: لن نؤثرك. وكانت امرأة فرعون تســـأل من غلب، فقيل لها: غلب موســـى وهارون، فقالت: آمنت برب موســـى وهارون، فأرســـل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صـــخرة، فإن مرَّت على قولهم فألقوها عليها، فلمَّا أتوها رفعت بصـــرها إلى السماء فأبصرت منزلها في الجنة، فمضت على قولها، فانتزعت روحها، وأُلقِيت الصخرة على جسدها وليس فيها روح. وقيل: قال مقدَّم الســـحرة لمن يثق به لما رأى، انظر إلى هذه الحية هل تَجوفَتْ فتكون جِنّياً، أو لم تتجوف فهي من صنعة الصانع الذي لا يعزبُ عنه مصنوعٌ، فقال: ما تجوفت، فقال: آمنت

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 77/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 374/2.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 77/22.

برب موسى وهارون، انتهى كلام القرطبي[1]. ﴿**وَالَّذِي فَطَرَنَا**﴾ [طه: 72] عطفٌ على ما جاءنا، أي: لن نختارك على الذي جاءنا، ولا على الذي خلقناز. وقيل: هو قسم وجوابها "لن نؤثرك" مُقدّمٌ على القسم. ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾ [طه: 72] فاصنع ما أنت صانع من القَطْع والصَلْبِ، قال: [79/أ] وعليهما مسرودتان قضاهُما[2]، أي: صنعهما أو احكم ما أنت حاكم أي: من القطع والصلب ﴿**إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [طه: 72] أي: في هذه الحياة، فانتصب على الظرف، أي: إنما تحكم فينا مدَّة حياتنا ﴿**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا**﴾ [طه: 73] صدقنا بالله وحده لا شريك له وما جاء به موسى ﴿**لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ**﴾ [طه: 73]"ما" موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا ﴿**مِنَ السِّحْرِ**﴾ [طه: 73] حال من "ما"[3]. رُوي أنَّ السحرة -يعني رؤوسهم -كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط، والباقي من بني إسرائيل، وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر[4]. وروي: أنهم قالوا لفرعون: أرِنا موسى نائماً ففعل، فوجدوه تحرُسُه عصاه، فقالوا ما هذا بسحر، الساحر إذا نام بَطل سحره، فكرِهوا معارضته خوف الفضيحة، أو كرِهوا معارضته خوفاً من الله تعالى، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر[5].

﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ**﴾ [طه: 73] ثواباً لمن أطاعه ﴿**وَأَبْقَى**﴾ [طه: 73] عقاباً لمن عصاه. وهو ردٌّ لقول فرعون، ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾ [طه: 71]. قال في المدارك: انظر كيف نفَعهم علمهم بالسحر، وضَرَّ فرعونَ جهلهُ به، فكيف بعلم الشرع[6]، ثم ختم هذا الكلام بشرح أحوال المجرمين وأحوال

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 225/11.

[2] من قول أبو ذؤيب: وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبَّع. مسرودتان:درعان مخروزتان أو منسوجتان، من السرد، وهو الخرز؛ وقيل: النسج. وقضاهما: أي أحكمهما. الشعراء الهذليون، **ديوان الهذليين**، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، من دون ذكر طبعة، ١٣٨٥هـ)، 19/1.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 77/3.

[4] من قول مقاتل. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 219/2.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 375/2.

[6] المصدر نفسه،

المؤمنين في عَرصة القيامة، فقال في المجرمين: ﴿**إِنَّهُ**﴾ [طه: 74] هو ضمير الشأن ﴿**مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً**﴾ [طه: 74] أي: كافراً. قال القرطبي: قيل: إنَّه من قول السحرة لما آمنوا. وقيل: هو ابتداء كلام من الله عز وجل. انتهى[1]. ﴿**فَإِنَّ لَهُ**﴾ [طه: 74] للمجرم ﴿**جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا**﴾ [طه: 74] فيستريح بالموت ﴿**وَلَا يَحْيَى**﴾ [طه: 74] حياة ينتفع بها، قال الشاعر[2]:

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيى حياةً لها طعم

[79/ب]. قال القرطبي: وقيل نفس الكافر معلَّقة في حنجرته، كما أخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها، ولا يحيى باستقرارها[3]. ثم ذكر حال المؤمن فقال: ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً**﴾ [طه: 75] مات على إيمانه ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ [طه: 75] بعد الإيمان ﴿**فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**﴾ [طه: 75] جمع العليا[4]. قال النسفي: واعلم أنَّ قوله: قد عمل الصالحات يقتضي أن يكون آتيا بجميع الطاعات. وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن، فينبغي أن يحمل ذلك على أداء الواجبات، ثم ذكر أن من أتى بالإيمان والأعمال الصالحة كانت له الدرجات العُلى، ثم فسَّرها فقال: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ [طه: 76] بدل من الدرجات[5]. ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [طه: 76] من الخمر والعسل واللبن والماء ﴿**خَالِدِينَ**﴾ [طه: 76] دائمين ﴿**فِيهَا**﴾ [طه: 76] قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 226/11.

[2] والمعنى: لا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 226/11.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /375.

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 76/22.

الْكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِي السَّـمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»[1]. ﴿**وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [طه: 76] تطهر من الشـرك بقول لا إله إلا الله. قال القرطبي: ومن قال هذا من قول السـحرة فقال: لعلَّ السـحرة سمعوه من موسى، أو من بني إسرائيل إذ كان منهم في مصر أقوام مؤمنون، وكان فيهم أيضاً المؤمن من آل فرعون. قال القرطبي: ويحتمل أن يكون ذلك إلهاماً من الله أنطقهم بذلك لما آمنوا. انتهى[2]. قال في المدارك: قيل هذه الآيات الثلاث، يعني من قوله ﴿**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً**﴾ [طه: 74] إلى قوله: ﴿**تَزَكَّى**﴾ [طه: 76] حكاية قول السـحرة. وقيل: خبرٌ من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر[3]. ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [طه: 77] نزلت هذه الآية بعد سنين من إيمان السحرة، وهو يدلَّ على أنَّ موسى عليه السلام في تلك الحالة كثُر مستجيبوه، فأراد الله تعالى تمييزهم من طبقة فرعون[80/أ] فأوحى إليه أن يسري بهم ليلاً، فالسُرى سير الليل، والإسراء مثله. لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلاً، ويأخذ بهم طريق البحر[4]. قال النسفي: فإن قلت: ما الحكمة في أن يسير بهم ليلاً، فنقول فيه وجوه:

أحدها: أن يكون اجتماعهم لا بمشهد من العدو فلا يمنعهم عن استكمال مرادهم في ذلك، ثانيها: ليكون أقرب إلى أن لا يطلبه فرعون ويتبعه، وثالثها: ليكون إذا تقارب العسكرُ أن لا يَرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم[5].

---

[1] أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، 17/ 302، حديث رقم: 11206. وأخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، 39/6، حديث رقم: 3658، حسن.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /227.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2 /376.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 80/22.

[5] **المصدر نفسه**.

﴿**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ**﴾ [طه: 77] أي: اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً، والبحر: هو بحر القلزم، أو بحر النيل. روي أنَّ موسى قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء، فلمَّا ضرب موسى البحر بعصاه انفلق منه اثنتي عشرة طريقاً، وبَيْن الطرق الماء قائماً كالجبال[1]. وفي سورة الشعراء: ﴿**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: 63] فأخذ كل سِبط طريقاً، وأوحى الله إلى أطواد الماء أن تشبكي فصارت شبكات يَرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلام بعض، وكان هذا من أعظم المعجزات، فلما أقبل فرعون لعنه الله ورأى الطرق في البحر والماء قائماً أوهمهم أن البحر فعل هذا لهيبته؛ فدخل هو وأصحابه فانطبق البحر عليهم. كذا في القرطبي[2]. ﴿**يَبَساً**﴾ [طه: 77] أي: يابساً ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أنَّ الله تعالى أيبس لهم الطريق في البحر، ويبساً: مصدر وُصِفَ به، يقال: يَبِسَ يُبساً ويَبَساً، ونحوهما العُدْمُ والعَدَم ﴿**لَا تَخَافُ**﴾ [طه: 77] حال من الضمير في: "فاضرب لهم طريقاً"، أي: غير خائف. "لا تخف" حمزة[3] على الجواب، ﴿**دَرَكاً**﴾ [طه: 77] هو اسم من الإدراك، أي: لا يُدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك، ﴿**وَلَا تَخْشَى**﴾ [طه: 77] الغرق، وعلى قراءة[4]حمزة [80/ب] ولا تخشى استئنافٌ، أي: وأنتَ لا تخشى، أو يكون الألف للإطلاق كما في قوله: ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ [الأحزاب: 10] ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾ [الأحزاب: 67] قال النسفي: إنَّه تعالى بيّن أن جميع أسباب الأمن كان حاصلاً في ذلك الطريق:

أحدها: أنَّه كان يابساً، المراد أنَّه ما كان فيه وَحْلٌ ولا بِلّةٌ فضلاً عن الماء. وثانيها: قوله: ﴿**لَا تَخَافُ دَرَكاً**﴾، أي: لا تخاف أن يدركك فرعون، فإني سأحُول بينك وبينه. وثالثها: قوله ولا تخشى أي الغرقَ.

---

[1] أخرجه ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 144/6.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 229/11.

[3] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 421.

[4] الفارسيّ، **الحجة للقراء السبعة**، (239/5.

انتهى[1]. قال القرطبي: قال ابن جريج: قال أصحاب موسى له هذا فرعون أدركنا، وهذا البحر قد غشينا، فأنزل الله تعالى: ﴿**لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى**﴾ [طه: 77] أي: لا تخافَ دركاً من فرعون، ولا تخشى من البحر. انتهى[2].

﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ**﴾ [طه: 78] حال، أي: خرج خلفهم ومعه جنوده، ﴿**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ**﴾ [طه: 78] أصابهم من البحر، ﴿**مَا غَشِيَهُمْ**﴾ [طه: 78] من باب الاختصار، وهو من جوامع الكلم التي تستقلُّ مع قلتِها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يعلم كُنْهَهُ إلا الله عز وجل[3].

﴿**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ**﴾ [طه: 79] عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَى﴾ [طه: 79] وما أرشدهم إلى الحق والسداد[4]. قال الزمخشري: وهذا تهكُّمٌ به في قوله: ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[غافر: 29][5]. وقال البرهان النسفي: ولنذكر القصة وما فيها من المباحث، قال ابن عباس: لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر؛ استعار بنو إسرائيل من قوم فرعون الحُلِيَّ والدوابَّ لعيدٍ يخرجون إليه، فخرج بهم ليلاً وهم ستمائة ألف وثمانون ألفاً ونيّف، وليس فيهم ابن ستّين ولا عشرين سنة، وقد كان يوسف عليه السلام قد عهد إليهم عند موته[81/أ] أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر، فلم يخرجوا بها، فتحيَّر القوم حتى دلَّتهم عجوز على موضع العظم فأخذوه، وقال موسى للعجوز: احتكمي، فقالت: أكون معك في الجنة، ثم خرج فرعون في طلب موسى، وعلى مقدمته ألفُ ألفٍ وخمس مائة ألف سوى الجَنْبين والقلب، فلمَّا انتهى موسى إلى البحر، قال موسى للبحر انفَرِقْ، فأبى، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 80/22.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 228/11. أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 344/18.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 376/2.

[4] **المصدر نفسه**، 372/2.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 78/3.

البحر فانفلق، فقال لهم موسى: ادخلوا فيها، فقالوا كيف وهي رطبة؟ فدعي ربه فهبتْ عليه ريحُ الصَبا، فجفّتْ، فقالوا: نخافُ من بعضنا، فجعل بينهم كُوىً، حتى يرى بعضهم بعضاً، ثم دخلوا حتى جازوا البحر، وأقبل فرعون إلى تلك الطرق، فقال قومه له: إنَّ موسى قد سحر البحر فصار كما ترى، وكان على فرس حصان، فأقبل جبريل عليه السلام على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة، فسار جبريل عليه السلام بين يدي فرعون، وأبصر الحصانُ الفرسَ فأقحم بفرعون على أثرها، وصاحت الملائكة في الناس، الحقوا الملك حتى إذا دخل آخرهم، وكاد أولهم أن يخرج انطبق البحرُ عليهم، فغرقوا، فسمع بنو إسرائيل خَفْقَة البحر عليهم، فقالوا: ما هذا يا موسى، فقال: أغْرق الله فرعون وقومه، فرجعوا للنظر إليهم، وقالوا: يا موسى ادعُ الله أن يخرجهم إلينا حتى ننظر إليهم، فدعي فلفظَهُم الساحل إلى البحر، فأصابوا من سلاحهم[1]. قال في زهرة الرياض: إخواني تجنبوا الدنيا فإنها غدّارة مكّارة، ألا ترى أنَّ فرعون لعنه الله كان في أوَّل حاله فقيراً مسلماً يبيع البطيخ، حتى آل أمره إلى أخذ الخراج من الأموات، وادَّعى الربوبية أربع مائة سنة، وقتل اثنين وثلاثين ألف صبي في أرض مصر، وجاء إبليس لعنه الله يوماً وهو في الحمام فقال: يا فرعون كلُّ شيء قلتُ لك، فمتى قلتُ لك ادّعي الربوبية، فضربه فرعون أربعين سوطاً، وكان لفرعون أربع عجائب، كانت لحيته خضراً ثمانية أشبار، وقامته سبعة أشبار، ولحيته أطول منه بشبر، وعمره أربع مائة سنة، وكانت له فرس إذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه، وإذا انحدر على ضده، وكان يجري النيل بأمره كما قال: ﴿**وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**﴾ [الزخرف: 51]، ولأجل هذه الأربعة ادعى الربوبية، وما هلك إلا بشؤم الدنيا، والحرص عليها، انتهى[2]. ثم في القصة أبحاث: الأول: روي أنَّ موسى عليه السلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقاً يابساً مهيئاً سلوكُه، وبقي الماء قائماً بين

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 81/22.

[2] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 194/أ-ب.

الطريق، والطريق كالطود العظيم، وهو الجبل، فأخذ كل سبط من بني إسرائيل في طريق من هذه الطرق[81/ب]. ومنهم من قال: بل حصل طريق واحد، ويدلُّ على القول الأول قوله تعالى: ﴿**كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: 63]؛ لأنَّ الماء لا يكون كالطود إلا وأن يكون قائماً بين الطريقين، والقول الثاني ظاهر، وهو الأقرب في قوله تعالى: ﴿**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ**﴾ [طه: 77]. الثاني: روي أنَّ بني إسرائيل بعد أن أظهر الله لهم الطريق تعنَّتُوا وقالوا: نريد أن يرى بعضاً بعضاً، وهذا كالبعيد؛ لأنَّ القوم لما أبصروا مجيءَ فرعون صاروا في نهاية الخوف، والخائف إذا وجَدَ طريق الفرار والخلاص كيف يتفرغ للتعنت؟. الثالث: أنَّ فرعون كان عاقلاً، بل كان في نهاية الدهاء، فكيف اختار إلقاء نفسه في التهلكة؟ فإنَّه كان يعلم من نفسه أنَّ انقلاب البحر ليس بأمره، فعند هذا ذكروا وجهين: أحدهما: أنَّ جبريل كان على الرمَكَة فتبعه فرعون، وهذا بعيد؛ لأنَّه يبعد أن يكون خوض الملك في أمثال هذه المواضع مقدَّماً على خوض جميع العسكر، بل الأقرب ما قيل أنَّه أمرَ مقدمة عسكره بالدخول، فدخلوا وما غرقوا، فغلب على ظنه السَّلامة، فلمَّا دخل الكل أغرقهم الله سبحانه. الرابع: أنَّ الذي نُقل عن جبريل عليه السلام أنَّه كان يدُسُّه في الماء والطين خوفاً من أن يؤمن، فبعيدٌ؛ لأنَّ المنع من الإيمان لا يليق بالملائكة والأنبياء. الخامس: أنَّ الذي روي من أنَّ موسى كلم البحر، فقال له: انفرق لي لأعبُرَ عليك، فقال البحر: لا، فإنه يمُرّ عليّ رجلٌ عاصٍ فهو غير ممتنع عند أهل السنة، وعند المعتزلة ذلك على لسان الحال لا على لسان المقال، انتهى كلام البرهان النسفي[1]. ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعدما أنجاهم من البحر، وأهلك فرعون وقومه بقوله: ﴿**يَابَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [طه: 80] أي: أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي، وقلنا يا بني إسرائيل: ﴿**قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ**﴾ أي: فرعون، ﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ**﴾ بإيتاء الكتاب ﴿**جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ**﴾[82/أ]، وذلك أنَّ الله تعالى وعد موسى أن يأتي هذا المكان، ويختار سبعين رجلاً يحضرون معه لنزول التوراة، وإنما

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/81-82.

نسبت إليهم المواعدة؛ لأنَّها كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم[1].

قال النسفي: لما جاوز موسى ببني إسرائيل البحر قالوا له: أليس وعدتنا أن تأتينا من ربنا بكتاب فيه الفرائض والأحكام؟ قال: بلى، ثم تعجَّل موسى إلى ربه ليأتيهم بالكتاب، ووعدهم أن يأتيهم إلى أربعين ليلة، وإنما قال ﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ**﴾ لأنَّه إنما وعد موسى أن يؤتيه التوراة لأجلهم، وقال مقاتل: إنما قال ووعدناكم؛ لأنَّ الخطاب له وللسبعين المختارة. قال النسفي في بيان المقصود من الآية: إنَّه تعالى لما أنعم على موسى عليه السلام بأنواع النعم، ذكّرهم تلك النعم، ولا شك أنَّ إزالة المضرة يجب أن يكون مقدماً على إيصال تلك المنفعة، ولا شك أنَّ إيصال المنفعة الدينية أعظم في كونه نعمةً من إيصال المنفعة الدنيوية؛ فلهذا بدأ الله تعالى بقوله: ﴿**أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ**﴾ [طه: 80] ثم ثنّى بذكر المنفعة الدينية، وهي قوله: ﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ**﴾ [طه: 80]، فإنَّ ذلك الوقت وقتُ إنزال الكتاب، ثم ثلّث بذكر المنفعة الدنيوية، وهي قوله: ﴿**وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾ [طه: 80]، ثم زجرهم عن العصيان بقوله: ﴿**وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي**﴾ [طه: 81]، ثم بيَّن أن من عصى ثم تاب كان مقبولاً عند الله بقوله: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ**﴾ انتهى[2]. "والأيمنَ" نصبٌ؛ لأنَّه صفة جانبَ، وقرئ بالجر على الجوار[3]. قال القرطبي: وليس للجبل يمين ولا شمال، فإذا قيل عن يمين الجبل؛ فمعناه خُذ عن يمينك من الجبل، وكأنَّ الجبل على يمين موسى إذا أتاه[4]. وقال النسفي: قال المفسرون: ليس للجبل يمين ولا يسار[82/ب]، بل المراد أن طور سيناء عن يمين من انطلق من مصر إلى الشام، ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾ [طه: 80] في التيه، وقلنا لكم: ﴿**كُلُوا**﴾ [طه: 81] ليس من إيجاب، بل أمر إباحة كقوله:

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 376/2.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 81/22-82.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 79/3. قال أبو حيان: "وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي ألا تخرج القراءة عليه". أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 364/7.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 230/11.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: 2] قاله النسفي[1]. ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ [طه: 81] حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [طه: 81] المن: هو الترنجبين، كان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاعٌ، والسلوى: كان يبعث الله عليهم الريح الجنوب فيحشر السلوى، وهي: السُمَاني، فيذبح الرجل منه ما يكفيه[2]، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة، وذلك أن أعطاهم المن والسلوى في التيه أربعين سنة، إذا كان عند انفجار الصبح، يرسل الله الطير على رؤوس أشجارهم، وكانت تصيح بلذيذ صياحها، فإذا كان عند طلوع الشمس تجيء ريح فتُذهب بريشها، يشبه السُمَان، يضرب إلى الحمرة، ويقال: كان إذا ولد لهم ولد، يولد معه ثيابه بطول الصبي، لا يتدنس، ولا يُخْرَق، ولا تطول أشعارهم ولا أظفارهم، وظلل عليهم الغمام الأبيض كالنور، وشعاعاً لهم بالليل، وكان أحدهم يأخذ الطير المهزول، فيرسله ويطير ويسمن ويسقط بين يديه مشوياً سميناً بقدرة الله تعالى، وأعطاهم الله هذه النعمة في الدنيا الفانية، وأعطى أمة محمد بدل المن الأيمان، وهو خير من المن، وبدل السلوى الإسلام، وهو النعيم الباقي، وأعطى النبي أنواع الطعام الحسن، وأعطى لهذه الأمة الاسم الحسن، ففي كل موضع: بأيُّها الذين آمنوا، وفي التوراة: بأيُّها المساكين، فما ينفعهم المنُّ والسلوى، والاسم اسم المساكين، وما يضر بالأمة المحمدية البلوى، والاسم اسم الأحبَّاء، فذلك قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78]، قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وللمحمدية: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، شغل قوم موسى بالنعمة، والمحمدية بالمنعم، فمن وجد المنعم فإنه يجد النعمة، وليس كل من يجد النعمة يجد المنعم. كذا في زهرة الرياض[3]. أنجيتكم ووعدتكم ورزقتكم، كوفي غير عاصم[4]﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه: 81] ولا تتعدوا

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 83/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 91/1.

[3] سليمان بن داودا، **زهرة الرياض**، اللوحة 38/أ.

[4] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، **معاني القراءات للأزهري**، (المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، ط1، 1412هـ)، 156/2.

حدود الله فيه، بأن يكفُروا النعم، يشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وينفقوها في المعاصي، وأن يَزْووا حقوقَ الفقراء فيها، وأن يُسرفوا في إنفاقها، ويبطروا فيها، ويأشروا فيها ويتكبروا، أو معنى ولا تطغوا أي: لا يظلم بعضكم بعضاً فيه فيأخذه من صاحبه ﴿**فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي**﴾ [طه: 81] عقوبتي ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: 81] هلك، أو سقط سقوطاً لا نهوض بعده، وأصله أن يسقط من جبل فيهلَك، وتحقيقه سَقَط من شُرف الإيمان إلى حُفَر النيران. قال القرطبي: فقد هوى أي: صار إلى الهاوية، وهي قعر النار، من "هوى يهوى هوياً"، أي: سقط من علو إلى سفل. ذكر ابن المبارك بسنده عن شُفَيٍّ الْأَصْبَحِيِّ[1] قال: إنَّ في جهنم جبلاً يُدعى صَعُوداً، يطلع فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يَرقاه، قال الله تعالى: ﴿**سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً**﴾ [المدثر: 17]، وإن في جهنم[83/أ] قصراً يقال له هوى، يُرمى الكافر من أعلاه فيهوى به أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: 81] وذكر الحديث[2]، انتهى[3]. قرأ علي[4]: فيَحُل ويحلُل[5]، والباقون بكسرهما، فالمكسور في معنى الوجوب من: حَل الدين يَحل أداؤه، والمضموم في معنى النزول. كذا في المدارك[6].

﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ**﴾ [طه: 82] عن الشرك، ﴿**وَآمَنَ**﴾ [طه: 82] وحَّدَ الله تعالى وصدَّقه فيما أنزل، ﴿**وَعَمِلَ صَالِحاً**﴾ [طه: 82] أدَّى الفرائض، ﴿**ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[طه: 82] ثم استقام وثبت على

---

[1] هو شفي بن ماتع الأصبحي المصري روى عن عبد الله بن عمرو وعنه أبو قبيل ويزيد بن عمرو وربيعة بن سيف، مات في خلافة هشام، سنة: 105هـ. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، 289/4. الذهبي، **تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 293/4**.

[2] عبد الله بن المبارك المروزي **الزهد والرقائق لابن المبارك**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2004م)، 504. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف، **صفة النار**، جبال النار وأوديتها، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1417هـ)، 40/1، حديث رقم: 37.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 231/11.

[4] علي الكسائي.

[5] الأزهري، **معاني القراءات**، 156/2.

[6] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 377/2.

الهدى المذكور، وهو: التوبة والإيمان والعمل الصـــالح، ونحوه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت: 30][1]. وقال الكواشي: وقيل: ثم اهتدى إلى محبة أهل البيت بشرط محبة جميع الصحابة. انتهى[2]. قال الزمخشري: وكلمةُ التراخي دلَّت على تباين المنزلتين، دلالتها على تباين الوقتين في: جاءني زيد ثم عمرو، أعني: أنَّ منزلة الاستقامة مُباينة لمنزلة الخير نفسه؛ لأنَّها أعلى وأفضل، انتهى[3]. قال في زهرة الرياض: يقال إنَّ الله تعالى جعل تحت كل اســـم من أسمائه لطفاً وكرماً للمؤمن، سماه ضـــعيفاً ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾ [النساء: 28]، وسمى نفسه قوياً ﴿**وكانَ اللَّهُ قَوياً عَزيزاً**﴾ [الأحزاب: 25]، وعلى القوي أن ينصر الضعيف، وسماه عجولاً ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ [الأنبياء: 37]، وسمى نفســـه حليماً، وعلى الحليم أن يجاوز عن العجول، وسماه جهولاً ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: 72]، وسمى نفسه غفوراً رحيماً، وعلى الرحيم أن يقبل عُذر الجاهل، وسماه فقيراً، وسمى نفسه غنياً ﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [المدثر: 17] وعلى الغني أن يواسي الفقير، وسماه ظلوماً، وسمى نفسه كريماً ﴿**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار: 6]، وقال موسى: يارب أترزق فرعون[83/ب] وهو يدَّعي الربوبية، قال الله: يا موسى إن كان فرعون ترك العبودية، فأنا لا أترك الربوبية، فيه إشارة كأنه قال: عبدي من عادتك وصفتك المعصية، ومن صفتي الرحمة، وصفتك مجازية وصفتي حقيقة، فأنت لا تترك صفتك المجازية، وأنا أولى أن لا أترك صـــفتي الحقيقة[4]. ولما هبط آدم إلى الأرض بكى، وقال: إلهي لم نهيتني عن الشجرة، وجعلت سريري تحتها، قال الله: يا آدم ما لم أكتُب الرحمة بجنْب المعصية، لم أضع السرير تحت الشـــجرة، قال: يا رب لمَ لم تغفر لي في الجنة، قال الله: لو غفرت لك في الجنة لم يظهر كرمي بغفران ذنب

---

[1] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 186/3.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 377/2.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 80/3.

[4] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة،160/ب.

رجل واحد، بل أردت أن تخرج إلى الدنيا، وتأتيني بألوف من العصـــاة من ذريتك، حتى أغفر لهم ليتبين كرمي وجودي، انتهى[1]. وقال في موضـــع آخر في زهرة الرياض: علّق الله مغفرته بأربعة أشـــياء في آية واحدة: أحدها: التوبة. والثاني: الإيمان. والثالث: العمل الصالح. والرابع: الاستقامة في قوله: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: 82]. وكذلك علق رحمته بأربعة أشياء: وهي التقوى، وإيتاء الزكاة، والإيمان، واتباع محمد صـــلى الله عليه وســـلم، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِـــعَتْ كُلَّ شَـــيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الاعراف: 156] ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـــولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**﴾ [الاعراف: 157] الآية، انتهى[2]. وقال في زهرة الرياض في موضـــع آخر: قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحجر: 49]، معناه: خبّر يا محمد إني أنا الغفور المتجاوز لمن تاب، ومعنى الآية: إني أنا الغفور في الدنيا، وأنا الرحيم في العقبى[84/أ]، وأنا الغفور وقت المحاســبة، كأنَّ الله تعالى يقول: عبدي لك أسماء مشـــتقة من اسمي: ظالمٌ وظلوم وظلّام، إن كنت ظالماً، فأنا غافر الذنب، وقابل التوب، وإن كنت ظلوماً، فأنا غفور ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾، وإن كنت ظلّاماً فأنا غفّار ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَـــالِحاً**﴾ [طه: 82] انتهى[3]. وقال الإمام فخر الدين: إنَّه تعالى وصـف نفسـه بكونه غافراً وغفوراً وغفّاراً في القرآن، والأنبياء كلهم طلبوا المغفرة، أمَّا آدم فقوله: ﴿**وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا**﴾ [الأعراف: 23]، وأمَّا نوح فقوله: ﴿**وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِـــرِينَ**﴾ [هود: 47]، وأمـا إبراهيم فقولـه: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشـعراء: 82]، وأما يوسـف فقوله: ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [يوسـف: 92]،

---

[1] **المصدر نفسه**، اللوحة،1/161.

[2] **المصدر السابق**، اللوحة 190/أ.

[3] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 170/أ.

وأمَّا موسى فقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الاعراف: 151]، وأمَّا داود ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص: 24]، وأمَّا سليمان فقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35]، وأمَّا عيسى فقوله: ﴿تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، وأمَّا محمد صلى الله عليه وسلم فقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19]، وأمَّا الأمَّة فقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر: 10]. انتهى[1].

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ [طه: 83] أي شيء عَجِل بك ﴿عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى﴾ [طه: 83]، أي: عن السبعين الذين اختارهم، وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب، ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه، وأمرهم أن يتبعوه، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ أيُّ شيء أوجب عُجلتك، استفهام انكار، و"ما": مبتدأ، و"أعجلك": الخبر[2].

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ [طه: 84] أي: هم خلفي يلحقون بي ليس بيني[84/ب] وبينهم إلا مسافة يسيرة، ثم ذكر موجب العجلة فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ﴾ [طه: 84]، أي: إلى الموعد الذي وعدت ﴿لِتَرْضَى﴾ [طه: 84] لتزداد عنّي رضىً، وهذا دليل على جواز الاجتهاد، وهو على الله محال، والجواب: إنَّه إنكار في صيغة الاستفهام، ولا امتناع فيه، فإن قلت: إنَّ موسى عليه السلام إما أن يكون ممنوعاً عن ذلك التقدم أو لا يكون، فإن كان ممنوعاً كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية من الأنبياء، وإن لم يكن ممنوعاً كان ذلك الإنكار غير جائز من الله سبحانه، والجواب: لعله عليه السلام

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 84/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 377/2.

ما وجد نصاً في ذلك إلا أنَّه تقدم باجتهاده فأخطأ في ذلك الاجتهاد، فإن قلت: قوله: وعجلت والعجلة مذمومة، والجواب: إنها ممدوحة في الدين، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [آل عمران: 133]، فإن قلت: قوله لترضى يدل على أنَّه إنما فعل ذلك ليحصِّل رضى الله تعالى، وذلك باطل من وجهين: أحدهما: أنَّه يلزم تجدد صفة لله تعالى. وثانيهما: أنَّه تعالى قبل حصول ذلك الرضى وجب أنَّه ما كان راضياً من موسى؛ لأنَّ تحصيل الحاصل محال. والجواب: المراد تحصيل دوام الرضا كما في قوله: ﴿**ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ**﴾ ، المراد: دوام الاهتداء، فإن قلت: قوله: وعجلت إليك يدل على أنَّه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله تعالى له، وإلا لم يكن ذلك تعجيلاً، ثم ظن أن مخالفة أمر الله سببٌ لتحصيل رضاه، وذلك لا يليق بموسى عليه السلام. والجواب: قد مرَّ أنَّ ذلك كان بالاجتهاد. فإن قلت: قوله" ﴿**إِلَيْكَ**﴾ يقتضي كونه تعالى في الجهة؛ لأنَّ "إلى" لانتهاء الغاية[85/أ]، الجواب: "إلى": المراد إلى مكان وعدك. فإن قلت: قوله ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة، فكان جوابه اللائق به أن يقال: المبالغة في طلب رضاك، والشوق إلى كلامك، فأمَّا قوله: ﴿**هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾ فغير منطبق عليه، والجواب: من وجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿**وَمَآ أَعْجَلَكَ**﴾ تضمن شيئين: الأول: السؤال عن نفس العجلة، والثاني: السؤال عن سبب التقدم؛ فكان أهمُّ الأمرين عند موسى عليه السلام. الجواب عن هذا الثاني: فقال لم يُوجد مني إلا تقدم يسير لا يحتفل به في العادة، وليس بيني وبين قومي إلا تقدم يسير، ثم عقّبه بجواب السؤال عن العجلة، فقال: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ**﴾ [طه: 84]. الثاني: أنَّه عليه السلام من هيبة عتاب الله تعالى ذهل عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام. واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ**﴾ يدلُّ على أنَّه تعالى أمره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين، ثم اختلفوا في المراد بالقوم، فقال قوم: هم النقباء السبعون، اختارهم الله تعالى ليخرجوا معه إلى الطور، فتقدمهم موسى شوقاً إلى الله تعالى. ومنهم من قال: القوم جُملة بني إسرائيل، وهم الذين خَلَفَهم مع هارون، فأمره أن يقيم فيهم خليفة إلى أن

يرجع هو مع السبعين، فقال: ﴿**هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾، يعني: بالقرب مني ينتظروني. انتهى[1]. قال القرطبي: قيل لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء بالوعد اشتاق إلى ربه وطال عليه المسافة من شدة شوقه إلى الله تعالى، فضاق به الأمر حتى شق قميصه، ثم لم يصبر حتى خلّفهم ومضى وحده، فلمَّا وقف في مقامه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يٰمُوسَىٰ**﴾ [طه: 83]، فبقي صلى الله عليه وسلم متحيراً عن الجواب لهذه الكلمة لما استقبله من صدق الشوق، فأعرض عن الجواب[85/ب]، وكنّى عنه بقوله: ﴿**هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾، ، وإنما سأله عن السبب الذي أعجله بقوله "ما" فأخبر عن مجيئهم بالإثر، ثم قال: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ**﴾[طه: 84] فكنى عن ذكر الشوق وصرفه إلى ابتغاء الرضى، عن قتادة في قوله: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ قال: شوقاً، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا أوت إلى فراشها تقول: هاتوا المجيد فَتُؤتَى بالمصحف، فتأخذه في صدرها وتنام معه، تتسلى بذلك[2]. وكان عليه السلام إذا أمْطَرت السماء خلع ثيابه، وتجرد حتى يصيبه المطر، ويقول: إنَّه حديث عهد بربه[3]، فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم وممن بعده من قبيل الشوق؛ ولذلك قال تبارك اسمه فيما يُروى عنه: طال شوقُ الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشوق. انتهى كلام القرطبي[4].

﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ**﴾ [طه: 85] ألقيناهم في فتنة، ﴿**مِنْ بَعْدِكَ**﴾ [طه: 85] من بعد خروجك من بينهم، وأراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر، وكانوا ستمائة ألف افتتنوا بالعجل، ما نَجيَ من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً، فإن قلت: في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها، وقالوا: قد أكملنا العدة، ثم كان أمر

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/85-86، بتصرف.

[2] لم أجده.

[3] مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، 615/2، حديث رقم: ٨٩٨.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11/232-233.

العجل بعد ذلك، فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مَقْدَمِه﴿**فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ**﴾ [طه: 85]؟ قلت: قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته، أو افترض السامري غيبته، فعزم على إضلالهم غَبَّ انطلاقه، وأخذ في تدبير ذلك فكان بَدْءُ الفتنة موجوداً[1]. ﴿**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾ [طه: 85] بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له. قال ابن عباس: كان السامري من قوم يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر، فدخل في دين بني إسرائيل من قبيلة[86/أ] تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام[2]. وفي الكشاف: هو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة، وقيل: السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم، وقيل: كان من أهل باجرنا موضع بالعراق. وقيل: كان عِلْجاً من كِرمان فاتخذ عجلاً، واسمه موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، انتهى[3]. أنشد الزمخشري لنفسه في موسَيْن بمكة حرسها الله:

سُئِلْتُ عن مُوسَى ومُوسَى ما الخَبَرْ فقُلْتُ: شَيْخَانِ كقِسْمَي القَدَرْ

والفَرْقُ بَينَ مُوسَيَيْن قَدْ ظَهَر مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمُوسَى بْنِ ظَفَر[4].

﴿**فَرَجَعَ مُوسَى**﴾[طه: 86]من مناجاة ربه ﴿**إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً**﴾ [طه: 86] شديد الغضب، أو حزيناً، رجع موسى إلى قومه بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة، ثم إنَّه تعالى حكى أنَّ موسى عاتبهم بعد رجوعه إليهم بقوله: ﴿**قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً**﴾ [طه: 86] وعدهم الله تعالى أن يعطيهم التوراة التي فيها هدىً ونور، ولا وعداً أحسن من ذلك وأجمل، وكانت

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 81/3.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 232/11-233.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 81/3.

[4] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط1، 1412هـ)، 233/4.

التوراة ألف سورة، كلَّ سورة ألف آية، يحمل أسفارها سبعون جملاً، كذا في الكشاف[1]. قال القرطبي: ﴿**وَعْدًا حَسَنًا**﴾ [طه: 86]، وعدهم عز وجل الجنة إذا أقاموا على الطاعة، ووعدهم أنَّه يُسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى؛ ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم. وقيل: وعدهم النصر والظفر. وقيل: وعداً حسناً هو قوله: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً**﴾ [طه: 82] الآية ﴿**أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ**﴾ العهد الزمان، أي: مدة مفارقتي إياكم، يقال طال عَهدِي بك، أي: طال زماني بسبب مفارقتك[86/ب]، ﴿**أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [طه: 86] أي: أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم الغضبُ من ربكم، ﴿**فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾ [طه: 86] وعدوه أن يقيموا على أمره، وما تركهم عليه من الإيمان، فأخلفوا مَوعده باتخاذِ العجل. ﴿**قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا**﴾ [طه: 87] بفتح الميم مدني وعاصم، وبضمها حمزة وعلي، وبكسرها غيرهم[2]، أي: ما أخلفنا مَوعدك بأن مَلكنا أمْرنا، أي: لو ملكنا أمرنا وخُلّينا ورَأْيَنَا لما أخلفناه، ولكن غُلبنا من جهة السامري وكيده. قال القرطبي: قيل: قوله عامٌ يراد به الخاصّ، أي: قال الذين ثبتوا على طاعة الله تعالى إلى أن يرجع إليهم من الطور، وكانوا اثني عشر ألفاً، وكان جميع بني إسرائيل ستمائة ألف[3]. قال الإمام فخر الدين: فإن قيل: كيف يُعقل رجوع قريب من ستمائة ألف إنسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعةً واحدةً إلى عبادة العجل التي عُرف فسادُها بالضرورة، ثم إنَّ الجميع لما فارقوا الدين وأظهروا الكفر كيف يُعقل رجوعهم دفعةً واحدةً عن ذلك الدين بسبب رجوع موسى عليه السلام وَحْدَهُ إليهم؟ قلنا: هذا غير ممتنع في حق البُلهْ من الناس. انتهى[4] ﴿**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا**﴾ [طه: 87] بالضم والتشديد[5]حجازي وشامي وحفص أي: حُمِّلْنَا غيرنا، وبفتح

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 82/3.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 422.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 234/11.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 89/22.

[5] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 423. الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، 245/5.

الحاء والميم غيرهم أي: حَمّلْنَا غيرهم، ﴿**أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ**﴾ [طه: 87] أثقالاً من حُليّ القِبط التي استعرناها منهم، أو أراد بالأوزار أنها آثام وتبعات؛ لأنَّهم كانوا معهم في حكم المستأمَنين في دار الحرب، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي، على أنَّ الغنائم لم تكن تحل حينئذ[1]. قال الكواشي: أوزاراً أي: حُلياً من زينة القوم -قوم فرعون- كانوا استعاروها منهم لعلّة[87/أ] عُرس فبقيتْ عندهم، وقيل: قذف البحر حُلي آل فرعون فأخذها بنو إسرائيل فبقيت غنيمة عندهم، وكانت الغنيمة لا تحل لهم، فحفروا حفرة ليتركوها فيها إلى عود موسى، وقيل: أوقدوا في الحفيرة ناراً، فأحرقوها، فجاءت في حُفرة النار قالَبَ عجل فانصاغت عجلاً مُجوفاً، فخار بدخول الريح في مجاري منه أَشْبَاهَ العُروق. وقيل: نفخ فيه تراب موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق، وهو فرس حَيَاةٍ، فَحَيِيَ فَخَارَ ومال طباعهم إلى الذَهَب فعبدوه[2]. ﴿**فَقَذَفْنَاهَا**﴾ [طه: 87] في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحليَّ[3]. قال القرطبي: قال قتادة: إنَّ السامري قال لهم حين استبطأ القوم: موسى إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحليّ فجمعوه ودفعوه إلى السامري، فرمى به النار وصاغ لهم منه عجلاً، ثم ألقى عليه قبضة من أثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام، وقال معمر: الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة، فلما ألقى القبضة عليه صار عجلاً جسداً له خوار، والخوار: صوت البقر. وقال ابن عباس: لما انْسَكَبَتِ الحلي في النار جاء السامري وقال لهارون: يا نبي الله ألقِ ما في يدي وهو يظن أنَّه كبعض ما جاء به غيره من الحلي، فقذف التراب فيه وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان كما قال للبلاء والفتنة، فخار خورةً واحدةً لم يُسمع مثلها[4]. وقيل: خُواره وصوته كان بالريح؛ لأنَّه كان عَمِل فيه خُروقاً فإذا دخلت الريح في

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 82/3.

[2] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 188/3.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 379/2.

[4] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 64/2.

جوفه خار ولم يكن فيه حياة، وهذا قول مجاهد[1]، وعلى القول الأول: كان عجلاً من لحم[87/ب] ودم، وهو قول الحسن وقتادة[2]والسدي. وروي حماد[3]عن سماك[4]عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ هارون بالسامري وهو يصنع العجل فقال: ما هذا؟ فقال: ينفع ويضر، فقال: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فقال: اللهم إني أسألك أن يَخور فكان إذا خار سجد، فكان الخوار من أجل دعوة هارون[5]، قال ابن عباس: خار كما يخور الحيُّ من العجول، وروي أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب هذا السامري أَخرَجَ لهم عجلاً جسداً له خوار من حليهم، فمن جعل الجسد والخوار؟ قال الله تعالى: أنا. قال موسى عليه السلام: وعزتك وجلالك وارتفاعك وعلوك وسلطانك ما أضلَّهم غيرك، قال: صدقت يا حكيم الحكماء[6]، وقد تقدم هذا في سورة الأعراف[7]. انتهى كلام القرطبي[8].

﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ [طه: 87] ما معه من الحلي في النار، أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام[9]. قال الزمخشري: أراهم أنَّه يُلقى حلياً في يده مثل ما ألقوا، وإنما ألقى التربُة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل، أوحى إليه وليُّه الشيطان أنها إذا خالطت مواتاً صار حيواناً، فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلاً، خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار يخور كما

---

[1] مجاهد، **تفسير مجاهد**، 465.

[2] قتادة، **تفسير قتادة**، 38/3.

[3] هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار الربعي، مولى ربيعة بن مالك، ويقال مولى تميم، من أعلام البصريين وأئمتهم، كثير الحديث، واسع الرواية، مشهور بالسُّنة والعِبَادَة توفي سنة: 167هـ. ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، 318/12.

[4] هو أبو المغيرة، سِمَاك بن حَرْب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة بن ربيعة بن عامر بن ذُهْل بن ثعلبة الذُّهْلي البَكري الكوفي، تابعي مشهور، قال: أدركتُ ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ذهب بصره، ثم شفي وعاد إليه، توفي سنة: 123هـ. ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، 477/12. الزركلي، **الأعلام**، 138/3.

[5] أخرجه الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، 351/2، صحيح على شرط مسلم.

[6] لم أقف عنده، ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية التي رويت في هذا الباب.

[7] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 284/7.

[8] **المصدر نفسه**، 235/11.

[9] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 379/2.

تخور العجاجيل[1]. قال الإمام فخر الدين: اختلفوا في ذلك الجســـد الذي له خوار هل كان حيَّاً أم لا؟ فقيل: لا؛ لأنَّه لا يجوز إظهار خارق العادة على يد الضال بل السامري صوّر صورة على شكل العجل، وجعل فيها منافذ ومجاري بحيث تدخل فيها الرياح، ويخرج صوت يشبه صوت العجل. وقيل: صار حياً وخار كما يخور العجل؛ بدليل قوله تعالى ﴿**فَقَبَضْتُ**[88/أ] **قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ**﴾ [طه: 96]، ولو لم يصير حياً لما بقي لهذا الكلام فائدة؛ لأنَّه تعالى سماه عجلاً، والعجل هو الحيوان، فيجب أن يكون حياً[2].

﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ**﴾ [طه: 88] السامري من الحفرة ﴿**عِجْلاً**﴾ [طه: 88] خلقه الله تعالى من الحليّ التي سَبكتها النار ابتلاءً، ﴿**جَسَداً**﴾ [طه: 88] مجسَّداً ﴿**لَهُ خُوَارٌ**﴾ [طه: 88] صوتٌ، فكان يخور كما تخور العجاجيل[3]. قال الزمخشـــري: فإن قلت: كيف أثَّرت تلك التربة في إحياء الموَات؟ قلت: أما يصــح أن يؤثر الله ســبحانه رُوحَ القدس بهذه الكرامة الخاصّــة، كما أمره بغيرها من الكرامات، وهي: أن يباشر فرسُه بحافره تربةً، إذا لاقت تلك التربة جماداً أحياه الله إن شاء عند مباشرته حيواناً، ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أبٍ عند نفخه في الدرع. فإن قلت: فلمَ خلق الله تعالى العجل من الحليّ حتى صار فتنة لبني إســرائيل وضــلالاً؟ قلت: ليس بأول محنةٍ محَنَ الله بها عباده ل ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ**﴾ [ابراهيم: 27]ومن عَجِب من خلق العجل، فليكن من خلق إبليس أعجَبَ. انتهى كلامه[4]. ﴿**فَقَالُوا**﴾ [طه: 88] أي: الســـامري وأتباعه ﴿**هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَـــى**﴾ [طه: 88] فأجاب عامتهم إلا اثني عشـــر ألفاً[5]. قال الإمام فخر الدين: في هذا

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 82/3.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 89/22.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 379/2.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 82/3-83.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 379/2.

إشـــكال، وهو أنَّ القوم إن كانوا في الجهالة بحيث اعتقدوا أن ذلك العجل المعمول في تلك الســـاعة هو الإله الخالق، فهم مجانين وليســـوا بمكلفين، وإن لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا إلهكم وإله موســـى؟ والجواب: لعلَّهم كانوا من الحلولية[1]، فجوَّزوا حلول الإله أو حلول صـفةٍ من صـفاته في ذلك الجسـم، وإن كان ذلك أيضـاً في غاية البعد؛ لأنَّ ظهور الخُوار لا يناسـب[88/ب] الإلهيَّة[2] ﴿**فَنَسِـيَ**﴾ [طه: 88] موسـى ربه وذهب يطلبه عند الطور، أو هو ابتداء كلام من الله تعالى، أي: نسـي السـامري ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر، أو نسـي السـامري الاسـتدلال على أن العجل لا يكون إلهاً، وأن الإله لا يَحِلُّ في شـيء، ولا يَحِلُّ فيه شـيء، بدليل قوله: ﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ**﴾ [طه: 89]، أي: أنَّه لا يرجع فأنْ مخففة من الثقيلة ﴿**إِلَيْهِمْ قَوْلاً**﴾ [طه: 89] أي يجيبهم ﴿**وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً**﴾ [طه: 89] أي: هو عاجز عن الخطاب، والضرّ والنفع، فكيف يتخذونه إلهاً؟ والإله الذي يعبده موسى عليه السلام يضـــر و ينفع ويثيب وتعطي و يمنع. وقيل: إنَّه ما خار إلا مرة واحدة. كذا في المدارك[3]. ونظير هذا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـــئاً﴾ [مريم: 42]. قال الإمام فخر الدين: وهذه الآية تدل على وجوب النظر في معرفة الله تعالى، وقال في آية أخرى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَـــبِيلاً**﴾ [الأعراف: 148] ، وهو قريب في المعنى من قوله تعالى في ذم عبدة الأصـــنام: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُـــونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُـــونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِـــرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَا**﴾ [الاعراف: 195]، وليس المقصـود من هذا أنَّ العجل لو كان يكلمهم لكان إلهاً؛ لأنَّ حصول الشرط وهو الكلام، لا يقتضي حصول المشروط، قال بعض اليهود لعلي رضي الله عنه: ما دفنتم

---

[1] وهم فرق ظهرت في دولة الإسلام، لإفساد التوحيد على المسلمين، منهم غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الإله في الأئمة، والمقنعية بما وراء النهر والرزامية والبركوكية والحلمانية والحلاجية والغذافرة، طاهر بن محمد الأسـفراييني، أبو المظفر، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، (لبنان، عالم الكتب، ط1، 1403هـ)، 130.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 90/22.

[3] **المصدر السابق**، 378/2-379.

نبيكم حتى اختلفتم، فقال: ما اختلفنا فيه، وأنتم ما جفت أقدامكم عن ماء البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة[1]. انتهى كلامه[2].

﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ**﴾ [طه: 90] لمن عبدوا العجل ﴿**هَارُونُ مِنْ قَبْلُ**﴾ [طه: 90] من قبل رجوع موسى إليهم ﴿**يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ**﴾ [طه: 9] ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿**وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ**﴾ [طه: 90] لا العجل ﴿**فَاتَّبِعُونِي**﴾ [طه: 90] كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿**وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾ [طه: 90] في ترك عبادة العجل[3]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنَّ هارون[89/أ] عليه السلام، إنما قال ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق، أمَّا شفقته على نفسه؛ فلأنَّه كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مأموراً من عند أخيه موسى عليه السلام بقوله: ﴿**ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: 142]، ولو لم يشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفاً لأمر الله تعالى ولأمر موسى، وذلك لا يجوز. أوحى الله سبحانه إلى يوشع بن نون: إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ، وَسِتِّينَ أَلْفاً مِنْ شِرَارِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا، وَكَانُوا يُؤَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ[4]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، ومَنْ أَصْبَحَ لا يَهْتَمُّ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»[5]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ (وَتَعَاطُفِهِمْ) مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى (مِنْهُ)[6]

---

[1] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **فضائل الصحابة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ، 725/2)، حديث رقم: 1245.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 90/22.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 90/22.

[4] ابن أبي الدنيا، **العقوبات**، 27، برقم: 13. البيهقي، **شعب الإيمان**، فصل ومن هذا الباب مجانبه الظلمة، 53/7، برقم: ٩٤٢٨.

[5] أخرجه الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، من الطبقة الأولى من التابعين، فرقد السبخي ومنهم المعرض عن الفاني الوبي. 48/3. والبيهقي، **شعب الإيمان**، باب: الزهد وقصر الأمل، 155/13، حديث رقم:10102، ضعيف.

[6] (وتعاطفهم – منه) مثبتتان في تفسير الرازي.

عُضْـوٌ تَدَاعَى لَهُ سَـائِرُ الْجَسَـدِ بِالسَّـهَرِ وَالْحُمَّى »[1]، وأما على الخلق فلأن الإنسـان يجب أن يكون رقيق القلب مشـفقاً على أبناء جنسـه، وأيُّ شـفقة أعظم من أن تَرى جمعاً يتهافتون على النار فتمنعهم منها، وعن أبي سـعيد الخدري عن النبي صـلى الله عليه وسـلم يقول الله تعالى: «يَقُولُ اللَّه تَعَالَى اطْلُبُوا الْفَضْـلَ (عِنْدَ) الرُّحَمَاءِ مِنْ عِبَادِي تَعِيشُـوا فِي أَكْنَافِهِمْ (فَإِنِّي جَعَلْتُ فِيهِمْ رَحْمَتِي) [2] وَلَا تَطْلُبُوهَا فِي الْقَاسِـيَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ غَضَبِي»[3]. إذا ثبت (ذلك[4]فاعلم) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على الخلق واجبٌ، فإنَّ هارون عليه السـلام رأى الخلق متهافتين على النار، فلم يبال بكثرتهم، ولا بقوتهم بل صـرّح بالحق، وقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾ الآية، واعلم أنَّ هارون عليه السلام سلك في هذه الموعظة الوجه الأحسن؛ لأنَّه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله: ﴿**إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ**﴾ ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى، ثانياً بقوله: [89/ب] ﴿**وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ**﴾، ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿**فَاتَّبِعُونِي**﴾، ثم دعاهم إلى الشـرائع رابعاً بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾، وهذا هو الترتيب الجيد؛ لأنَّه لا بدَّ قبل الإقدام على الشـيء من إماطة الأذى عن الطريق، وهو إزالة الشـبهات، ثم معرفة الله تعالى، فإنها هي الأصـل، ثم النبوة، ثم الشـريعة. وإنما قال: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ**﴾؛ لأنَّه ينبههم على أنهم متى تابوا قَبِل الله توبتهم برحمته، ومن رحمته أن خلَّصـهم من آفات فرعون، ثم إنهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسـن في الاسـتدلال بالتقليد والجحود، كما قال تعال: ﴿**قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ**﴾ [طه: 91]، لن نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿**حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ**﴾ [طه: 91] فننظر هل يعبده كما عبدناه وهل يصـدق السـامري أم لا؟! فتوهموا أنَّ موسى يعبد

---

[1] مسـلم، **صـحيح مسـلم**، كتاب البر والصـلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضـدهم، 4 /1999، حديث رقم: 2586، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

[2] مثبتة من تفسير الرازي.

[3] أخرجه أبو عبد الله محمد بن سـلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصـري، **مسـند الشـهاب**، اسـتغنوا عن الناس ولو بشـوص سـواك، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ)، 406/1، حديث رقم: 700، ضعيف.

[4] مثبتة من تفسير الرازي.

العجل، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل، فلمَّا رجع موسى وسمع الصياح والجلبة[1]، وكانوا يرقصون حول العجل؛ قال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلمَّا رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضباً كما قال تعالى[2] ﴿**قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ**﴾ [طه: 92] بعبادة العجل ﴿**أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ**﴾ [طه: 93] بالياء في الوصل والوقف مكي[3]، وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل، وغيرهم بلا ياء، أي ما دعاك إلى أن لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي إلى تركه. وقيل: "لا" مزيدة، والمعني: أي شيء منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني، أو ما منعك أن تتبِعَني في الغضب لله، وهلا قاتلت من كفر بمن آمن، ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهداً ﴿**أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي**﴾ [طه: 93] الذي أمرتك به من القيام[90/أ] بمصالحهم[4]، وهو قول موسى لأخيه هارون ﴿**ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**﴾ [الأعراف: 142] فلمَّا أقام معهم، ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم، نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره[5].

قال القرطبي: وسئل الإمام أبو بكر الطُّرْطُوشِيُّ[6]رحمه الله: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية أنَّه يجتمع جماعة من الرجال فيكثروا من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ويحضرون شيئاً يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا، وهذا القول يذكرونه:

---

[1] هي اختلاط الصوت. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: جلب.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 237/11.

[3] مكي: يقصد به من القراء السبعة ابن كثير المكي. الدوسري، **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، 122.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 380/2.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 237/11.

[6] محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي المالكي، معروف بالعبادة والفضل نزل بالإسكندرية، توفي بالإسكندرية سنة: ٥٢٠هـ. محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409هـ)، 117.

يَا شَيْخُ كُفَّ عَنِ الذُّنُوبِ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَالزَّلَلْ

وَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحاً مَا دَامَ يَنْفَعُكَ الْعَمَلْ

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ مَضَى وَمَشِيبُ رَأْسِكَ قَدْ نَزَلْ

وفي مثل هذا وجوه، ما الجواب يرحمك الله؟ فأجاب: مذهب الصوفية بَطَالَةٌ وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما الرقص والتواجد[1] فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم العجل جسداً له خوار[2]، وأمَّا القضيب فأول من اتخذه الزنادقة؛ ليُشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار[3]، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم، هذا هو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من المسلمين[4]، والله الموفق. انتهى كلام القرطبي[5]. ثم أخذ موسى شعرَ رأس هارون

---

[1] يختلف الصوفية في بيان معناه، فمنهم من يراه مستعصيا على التعريف، وكأنه من باب الوجدانيات القلبية التي يصعب تصورها وتصويرها، ومنهم من عرّفه بأنه" ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة "، أو هو: لهب يتأجج من شهود عارض القلق "، أو: كما يصادف القلب ويرد عليه، بلا تكلف وتصنع.

[2] والخُوار: صوت الثور، وما اشتد من صوت البقرة والعجل، تقول: خارَ يَخُورُ خَوْرا وخُواراً. الفراهيدي، **العين** ، 303/3.

[3] أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث أسامة بن شريك، 394/30، حديث رقم: 18453. وأخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الطب، باب: في الرجل يتداوى، 175/1، حديث رقم: 3855، صحيح.

[4] أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، 319. شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 348/6. أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي، **كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار**، (دمشق: دار الخير، ط1/ 1994م)، 191. أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، (المغرب، مطبعة فضالة، ط1، 1970م)، 54/2. أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، **المدخل**، (بيروت: دار التراث، بدون طبعة وتاريخ)، 97/3. موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، **المغني**، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ)، 159/14.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 237/11-238.

بيمينه ولحيته بشماله غضباً وإنكاراً عليه؛ لأنَّ الغيرة لله ملكتْه[90/ب]. قال الزمخشري: كان موسى صلوات الله عليه رجلاً حديداً مجبولاً على الحدَّة والخشونة والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله، من بعد ما رأوا من الآيات العظام، أنْ أَلْقَى أَلواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضباً لله، واستنكافاً وحمية، وعنّف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف، قابضاً على شعر رأسه، وكان أفْرَعَ[1]، وعلى شعر وجهه يجرّه إليه، انتهى[2].

﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ**﴾ [طه: 94]وبخفض الميم شامي وكوفي غير حفص[3]، وكان أخاه لأبيه وأمه عند الجمهور[4]، ولكنه ذكر الأمر استعطافاً وترقيقاً[5]﴿**لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾ [طه: 94] قال القرطبي: أي لا تفعل هذا بي يتوهموا أنَّه منك استخفاف أو عقوبة. قيل: إنَّ موسى عليه السلام لم يفعل هذا استخفافاً ولا عقوبة، بل كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه. انتهى[6]. قال الإمام فخر الدين: واعلم أنَّه ليس في القرآن من يدل على أنَّه أخذ بلحيته ورأسه، فإنَّ النهي عن الشيء، لا يدل على كون المنهي فاعلاً للمنهي عنه، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ**﴾ [الأحزاب: 48]ومن الناس من يقول أنَّه أخذ ذؤابته بيمينه ولحيته بيساره، انتهى[7]. ثم ذكر هارون عُذره فقال: ﴿**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ**﴾ [طه: 94] إذا قاتلت بعضهم ببعض ﴿**فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [طه: 94] أو خفتُ أن تقول إن فارقتهم

---

[1] أفرع: تام الشعر. الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 1258/3.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 84/3.

[3] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 423. أبو عمرو الداني ، **جامع البيان في القراءات السبع** ، 1362/3.

[4] قاله ابن عباس والكلبي. الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 58/6. ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، 157/2.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 380/2.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 238/11-239.

[7] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 94/22.

واتبعتك ولحق بي فريقٌ وتبع السـامري فريق: فرّقت بين بني إسـرائيل ﴿**وَلَمْ تَرْقُبْ**﴾ [طه: 94]تحفظْ ﴿**قَوْلِي**﴾ [طه: 94] واخلفني في قومني وأصـلح. وفي قول هارون دليل على جواز الاجتهاد[1]. واعلم أنَّ موسـى عليه السـلام[91/أ] لما فرغ من مخاطبة هارون عليه السـلام، وعرف عذره في التأخر، تركه وأقبل على السامري، ولا يبعد أن يكون حاضراً مع هارون ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ**﴾ [طه: 95] ما أمرك الذي تخاطَبُ عليه. وقيل: ما أمرك وشـأنك، وما الذي حملك على ما صـنَعتَ. قال القرطبي: قال قتادة: كان السامري عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكنَّ عدوَّ الله نافَقَ بعد ما قطع البحر مع موسـى، فلمَّا مرت بنو إسـرائيل بالعمالقة[2]، وهم يعكفون على أصـنام لهم، قالوا يا موسـى: ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ**﴾ [الأعراف: 138] فاغتنمها السـامري، وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل، فقال السـامري مجيباً لموسـى كما حكى الله عنه: ﴿**قَالَ بَصُـرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُـرُوا بِهِ**﴾[3][طه: 96] وبالتاء حمزة وعلي[4]، قال الزجاج: بَصُرَ عَلِم، وأبصَرَ نَظَر أي: علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل، قال موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس الحياة فأُلقي في نفسـي أن أقبِضَ من أثر فرسـه، فما ألقيته على شـيء إلا صار له روحٌ ولحم ودمٌ[5]﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً**﴾ [طه: 96] القبضة: المرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقرئ: فقبصتُ[6]قبصةً، فالضادُ الأخذ بجميع الكف، والصاد بأطراف الأصـابع، ونحوهما الخَضْـمُ، والقَضْـمُ الخاء بجميع الفم، والقاف بمقدّمه. كذا في الكشـاف[7]. ﴿**مِنْ**

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 380/2.

[2] العمالقة: هم الجبابرة الذين كانوا بالشَّـام من بقايا قوم عاد، وهو جمع مفرده عملاق أو عمليق. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 301/3.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 239/11.

[4] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 424. الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، 43/7.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 381/2.

[6] وهي عن الحسـن، وقَتَادَة وبرواية أبي عوانة. يوسـف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سـواده أبو القاسـم الهُذَلي اليشـكري المغربي، **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، (الشارقة:مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط1، 1428هـ)، 599.

[7] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 ،84.

أَثَرِ الرَّسُــولِ﴾ [طه: 96] أي: من أثر فرس الرســول، وقرئ بها[1] **﴿فَنَبَذْتُهَا﴾** [طه: 96] فطرحتها في جوف العجل[2]. قال الزمخشــري: فإن قلت: لمَ سمَّاه الرســول دون جبريل وروح القدس؟ قلت: حين حلَّ ميعاد الذهاب إلى الطور، أرسل الله تعالى إلى موسى جبريل، وجبريل راكبٌ حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامري، فقال[91/ب]: إنَّ لهذا لشأناً، فقبض القبضة من تربة موطئه، فلمَّا سأله موسى عن قصــته، قال: قبضــت من أثر فرس المرسَــلِ إليك يوم حلول الميعاد، ولعلَّه لم يعرف أنَّه جبريل[3]. انتهى كلامه[4]. وقال الإمام فخر الدين: اختلفوا متى رأى الســامري جبريل؟ فقال الأكثرون: إنما رآه يوم فلق البحر، وعن علي رضــي الله عنه: أنَّ جبريل لما نزل ليذهب بموســى إلى الطور أبصــره الســامري من بين الناس[5]. واختلفوا أنَّ السامري كيف اختُصَّ برؤية جبريل عليه السلام، ومعرفته بين الناس؟ وقال ابن عباس في رواية الكلبي: إنما عرفه؛ لأنَّه رباه في صغره، وحفظه من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد بني إسرائيل، فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها، فتأخذ الملائكة الولد فيربونه إلى أن يترعرع ويخالط الناس، فكانت أم السامري جعلته في غار حين وضعته، خوفاً من فرعون أن يقتله، فكان السامري ممن أخذه جبريل، فجعل كفَّ السامري في فم السامري، وارتضع منه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه من حينئذ، فلما رآه عرفه. قال أبو مسلم الأصبهاني[6]: ليس في القرآن تصريحٌ بهذا الذي ذكره المفسرون[7]، وهنا وجه آخر: وهو أن يكون المراد بالرسول موسى، وبأثره سُنّته ورسمه الذي أمر به، والتقدير: أنَّ موسى عليه السلام لما

---

[1] وهي من قراءة ابن مسعود رضي الله عنه. الماوردي، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، 120/1.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 381/2.

[3] وهو قول علي رضي الله عنه. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 376/7.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /84.

[5] أخرجه ابن كثير في تفسيره، **تفسير القرآن العظيم**، 313/5.

[6] هو محمد بن علي بن مهر بزد، أبو مسلم الأصبهاني الاديب، المفسر، النحوي له تفسير كبير، من كبار المعتزلة، توفى سنة: 459هـ. الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 655/3.

[7] **و**كل هذا ليس عليه أثارة من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلميه، ط1، 1418هـ)، 144/7.

أقبل على السامري باللَّوم على الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال: ﴿**بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ**﴾، أي: عرفت أنَّ الذي أنتم عليه ليس بحق فقد كنت قبضتُ قبضةً من أثرك أيها الرسول، أي: شيئاً من سنتك ودينك فقذفته، أي: طرحته؛ فعند ذلك[92/أ] أعلمه موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة، ولا يُستراب في أنَّ ما ذكره أبو مسلم فهو أقرب؛ لأنَّه لا بدَّ من التعسف في بيان أنَّ السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته؟ ثم كيف عرف أنَّ التراب حافر فرس جبريل؟ وهذا الأثر يفيد الحياة، والذي ذكره من أنَّ جبريل رباه بعيد أيضاً؛ لأنَّ السامري إنْ عرف أنَّه جبريل حال كمال عقله، عرف قطعاً أنَّ موسى نبي صادق؛ فكيف يحاول الإضلال؟ وإن كان ما عرفه فأنى ينفعه كون جبريل عليه السلام مُربياً له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة؟ وأيضاً لو جاز اطلاع بعض الكفرة على ترابٍ هذا شأنه، لكان لقائل أن يقول: فلعلَّ موسى عليه السلام اطلع على شيء آخر يشبه ذلك، فلأجله أتى بالمعجزات، انتهى كلام فخر الدين[1]. قال القرطبي: ويقال إنَّ السامري سمع كلام موسى عليه السلام حيث عمل تمثالين من شمع: أحدهما: ثورٌ، والآخر: فرسٌ، فألقاهما في النيل طلبَ قبرَ يوسف، وكان في تابوت من حجر في النيل، فأتى به الثور على قرنه، فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى، وألقى القبضة في جوف العجل. انتهى[2].

﴿**وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ**﴾ [طه: 96] زيّنت، ﴿**لِي نَفْسِي**﴾ [طه: 96] أنْ أفعله، ففعلته اتباعاً لهواي. وهذا اعترافٌ منه بالخطأ واعتذار منه[3]. ثم إنَّ موسى عليه السلام لما سمع من السامري جوابه، بيَّن حاله في الدنيا وفي الآخرة، وبيَّن حال إلهه ما حاله في الدنيا، أما شرح حاله في الدنيا فقوله[4]: ﴿**قَالَ**﴾

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/95-96.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /240.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 2/381.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/96.

[طه: 97] له موســـى ﴿**فَاذْهَبْ**﴾ [طه: 97] من بيننا طريداً ﴿**فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ**﴾ [طه: 97] ما عشــت ﴿**أَنْ تَقُولَ**﴾ [طه: 97] لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك ﴿**لَا مِسَـاسَ**﴾ [طه: 97] لا يمسـني أحد ولا أمسّه[1]. قال الزمخشري: عُوقب السامري في الدنيا بعقوبة لا شيء أطمُّ منها وأوحش، وذلك أنَّه منع من مخـالطـة النـاس منعـاً كليـاً، وحُرِّم عليهم ملاقـاتـه ومكـالمتـه ومبـايعتـه ومواجهتـه، وكـلُّ مـا يُعايش[92/ب] به الناس بعضـهم بعضـاً، وإذا اتفق أن يماسَّ أحداً رجلاً أو امرأة حُمَّ الماسُّ والممسـوس، فتحامى الناس وتحاموه، وكان يصيح لا مساس، وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم، ومن الوحشـيّ النافر في البرية، ويقال: إنَّ قومه باقٍ فيهم ذلك – أي النفور وترك المســاس- إلى اليوم[2]. قال القرطبي: يقال بقاياهم إلى اليوم يقولون لا مســـاس، وإنْ مسّ واحد من غيرهم أحداً منهم حُمَّ كلاهما في الوقت. ويقال: ابتُلي السامري بالوسواس، وأصل الوسواس من ذلك الوقت. ويقال: إنَّ موسى هَمَّ بقتل السامري، فقال الله تعالى له: لا تقتله فإنَّه سخيٌّ. ويقال: إنَّ السامري لما قال له موسى: ﴿**فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَـــاسَ**﴾ [طه: 97] خاف فهرب، فجعل يهيم في البرية مع الســـباع والوحش، لا يكاد أحدٌ من الناس يمسُّه حتى صار كالقائل لا مساس؛ لبُعده عن الناس، وبعد الناس عنه. قال القرطبي: وهذه الآية أصـــل في نفي أهل البدع والمعاصـــي وهجرانهم، وأن لا يخالَطوا، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خُلِّفوا[3]، ومَن التجأ إلى الحرم وعليه دم لا يقتل عند بعض الناس[4]، ولكن لا يُبَايَع ولا يعامل ولا يُشـارى، ويُرهق إلى الخروج، ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنا. انتهى كلام القرطبي[5]. قال الإمام فخر الدين: قال مقاتل: إنَّ موسـى عليه السـلام أخرجه من

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 381/2.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /85.

[3] الحديث بطوله لدى مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، 105/8، حديث رقم: ٢٧٦٩.

[4] الكيا الهراسي، **أحكام القرآن**، 18/1.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 241/11.

مَحلة بني إسرائيل، وقال له: اخرج أنت وأهلك، فخرج طريداً فريداً إلى البواري[1]. قال أبو مسلم[2]: يجوز في جملة ما أريد من قول: لا مساس أمْرُ التناسل، فيكون من بُعد الله تعالى إياه انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنسه، فيخليه الله تعالى من زينة الدنيا، وأمَّا شرح حاله في الآخرة فهو قوله تعالى[93/أ]: ﴿**وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ**﴾ [طه: 97] لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض يُنجزُه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. لن تُخلفه[3]مكي وأبو عمرو، وهذا من أخْلَفْتُ الموعد إذا وجدته خُلْفاً، وأمَّا شرح حال إلهه، فهو قوله تعالى: ﴿**وَانْظُرْ إلى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ**﴾ [طه: 97] وأصله: ظَلِلتَ فَحَذف اللام الأولى تخفيفاً، ﴿**عَاكِفاً**﴾ [طه: 97]مقيماً ﴿**لَنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ [طه: 97] بالنار ﴿**ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ**﴾ [طه: 97] لنذَرّيّنّهُ ﴿**فِي الْيَمِّ نَسْفاً**﴾ [طه: 97] فحرقه وذَرّاه في البحر فشرب بعضهم من مائه حُبَّاً له، فظهرت على شفاههم صُفرة الذهب[4]. قال الزمخشري: وهذه عقوبةٌ ثالثة، وهي إبطال ما أفتن به وفتَنَ وإهدار سعيه، وهدْمُ مكره ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ**﴾ [آل عمران: 54] انتهى[5]. قال الكواشي: رُوي أنَّه ذبح فسال منه دم، وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه ثم برد عظامه بالمبرد، ثم ذراه في البحر. وعن مجاهد: لم يكن له روح وإنما كانت الريح تجري في جوفه. انتهى[6]. وقال القرطبي: قال ابن مسعود: اللحم والدم إذا أحرقا صارا رماداً فيُمكن تذريته في اليم، فأمَّا الذهب فلا يصير رماداً. وقيل:

---

[1] مقاتل، **تفسير مقاتل**، 106/1.

[2] وهو قول ضعيف جداً. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1414/1هـ)، 453/3.

[3] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 424.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 96/22.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 85/3-86.

[6] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 191/3.

عرَف موسى ما صيَّر به الذهب رماداً، وكان ذلك من آياته. انتهى[1]. واعلم أنَّ موسى عليه السلام لما فرغ من إبطال ما ذهب إليه السامري عاد إلى بيان الدين الحق، فقال: ﴿**إِنَّمَا إِلَهُكُمُ**﴾ [طه: 98] أي المستحق للعبادة والتعظيم ﴿**اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ [طه: 97] تمييز، أي: وسع علمه كلَّ شيء. وقيل: يعلم من يعبده ومن لا يعبده، ومحل الكاف من ﴿**كَذَلِكَ**﴾ [طه: 99] نصبٌ، أي: مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿**نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ**﴾ [طه: 99] من أخبار الأمم الماضية، تكثيراً لبيّناتك، وزيادةً في معجزاتك ﴿**وَقَدْ آتَيْنَاكَ**﴾ [طه: 99] أعطيناك ﴿**مِنْ لَدُنَّا**﴾ [طه: 99] من عندنا ﴿**ذِكْراً**﴾ [طه: 99] قرآناً فهو ذكر[93/ب] عظيم، وقرآن كريم، فيه النجاة لمن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار، الحقيقة بالتفكر والاعتبار[2]. قال الإمام فخر الدين: وسمى القرآن ذكراً كما قال، وهذا ذكر مبارك وعليه وجوه: منها: إنَّه كتاب فيه ذكر ما يحتاج الناس إليه في أمور دينهم، ومنها: أنهم يذكُر آلاء الله ونعماءه، وفيه التذكير والموعظة. ومنها: فيه الذكر والشرف كما قال: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [الزخرف: 44]. واعلم أنَّه تعالى سمَّى جميع كُتبه ذكراً فقال: ﴿**فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ**﴾ [النحل: 43]. انتهى[3].

﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ**﴾ [طه: 100] عن هذا الذكر، وهو القرآن ولم يؤمن به ﴿**فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً**﴾ عقوبةً ثقيلة، سماها وزراً، تشبيها في ثقلها على المعاقب، وصُعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهرهن ويُلقى عليه بُهَرَهْ[4]، أو لأنَّها جزاء الوزر وهو الإثم، ﴿**خَالِدِينَ**﴾ [طه: 101]حال من الضمير في يحمل، وإنما جمع على المعنى ووُحِّد في "فإنَّه" حملاً على لفظ "مَنْ" ﴿فِيهِ﴾ في الوزر، أي: في

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /242-243.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 382/2.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 97/22.

[4] البهر: تتابع النفس. كذا في المخطوط.

جزاء الوزر وهو العذاب، ﴿**وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً**﴾ ساء في حكم بئس، وفيه ضمير مُبهم يفسّره "حِمْلاً"، وهو تمييز، واللام في لهم للبيان، كما في ﴿**هَيْتَ لَكَ**﴾ [يوسف: 23]، والمخصوص بالذم محذوف؛ لدلالة الوزر السابق عليه[1].

﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ**﴾ [طه: 102] بدل من يوم القيامة، نَنفخ[2]بالنون أبو عمرو ﴿فِي الصُّورِ﴾القَرن، أو هو جمع صورةٍ، أي: ينفخ الأرواح فيها، دليله قراءة قتادة في الصوَر بفتح الواو جمع صورةٍ[3]. قال الإمام فخر الدين: فالله تعالى يُعرّف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شوهد في الدنيا، ومن عادة الناس النفخ في البوق عند الأسفار وفي العساكر، والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية في الصور لأنَّه أتبعه بقوله ونحشر المجرمين، فهو نظير قوله: ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**﴾ [94/أ] ﴿**فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً**﴾ [النبأ: 18][4].

﴿**وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً**﴾ [طه: 102] حال من المشركين، والزُرق خلاف الكُحل، والعرب تتشاءم بزرقة العيون وتذمّه، أي: يُشوَّه خلقهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم[5]. قال الزمخشري: والزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأنَّ الرومَ أعداؤُهم وهم زرق العيون؛ ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكبد[6] أصهب السبال[7] أزرق العين. وقيل زرقاً أي: عمياً؛ لأنَّ حدقة من يذهب نور

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 382/2.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 424.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 382/2.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 98/22.

[5]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /244.

[6] عدو أسود الكبد، أي: قد احترق جوفه من الشر. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، **كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)**، (**بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م**)، **60**.

[7] (أصهب السِّبَالِ)، النهاية: الصهبة مختصةٌ بالشعر وهي حمرةٌ يعلوها سواد. الطيبي، **حاشية الطيبي على الكشاف**، 242/10.

بصـره تزراق[1]. وقال الأزهري[2]: زُرْقاً أي: عطاشـاً قد ازرقَّت عيونُهم من شـدة العطش، قال الزجاج: لأنَّ سـواد العيون يتغير، ويزرقّ من العطش[3]. قال سـعيد بن جبير: قيل لابن عباس في قوله: ﴿**وَنَحْشُـرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً**﴾، وقال في موضـع آخر: ﴿**وَنَحْشُـرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً**﴾ [الإسراء: 97]فقال: إنَّ لِيوم القيامة حالات: فحالةٌ يكونون فيها زُرقاً، وحالةٌ عُمياً[4].

﴿**يَتَخَافَتُونَ**﴾ [طه: 103] يتسـارُّون ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ [طه: 103] أي: يقول بعضـهم لبعض سِرَّاً؛ لهول ذلك اليوم ﴿**إِنْ لَبِثْتُمْ**﴾ [طه: 103]ما لبثتم في الدنيا ﴿**إِلَّا عَشْراً**﴾ [طه: 103]أي: عشر ليال، يسـتقصـرون مدة لبثهم في القبور، أو في الدنيا[5]، أو بين النفختين وهو مقدار أربعين سـنة[6]، كما يعاينون من الشـدائد التي تذكّرهم أيام النعمة والسـرور، فيتأسَّـفون عليها، ويصِـفُونها بالقِصَـر؛ لأَّن أيام السـرور قصـارٌ، أو لأنَّها ذهبت عنهم، والذاهب وإن طالت مدته قصُرت بالانتهاء، ومنه توقيع عبد الله بن المعتز[7] تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قِصَـرَاً، أو لاسـتطالتهم الآخرة؛ لأنَّها أبدٌ سـرمدٌ يُسـتقْصَـرُ إليها عمر الدنيا ويتفاءل لُبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد رجَّح الله تعالى قول من يكون أشدَّ تقالّاً منهم[8]بقوله: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ**﴾ [طه: 104] يتشـاورون بينهم ﴿**إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ**﴾ [طه: 104] [94/ب] ﴿**طَرِيقَةً**﴾ أوفاهم عقلاً، أعْدَلهم قولاً﴿**إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً**﴾ قَصُرَ ذلك في أعينهم في جنب ما

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /87.

[2] هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصـور، إمام في اللغة والأدب، ونسـبته إلى جده الأزهر. له: تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ، وتفسير القرآن، وغيرها. توفي بخراسان سنة: 370 هـ. الزركلي، **الأعلام**، 202/6 .

[3] الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، 376/3.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /242-243.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 383/2.

[6] البغوي، **معالم التنزيل**، 294/5.

[7] هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصـم ابن الرشـيد العباسـي، شـاعر مبدع، خليفة يوم وليلة. من مؤلفاته: الزهر والرياض، البديع، الآداب، وغيرها، توفي سنة: 296هـ. الزركلي، **الأعلام**، **118/4**.

[8] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 383/2.

استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نَسُوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم[1]، وهو نظير قوله تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**﴾ [المؤمنون: 112] ﴿**قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ**﴾ [المؤمنون: 113] قال الزمخشري: وقيل المراد لبثهم في القبور، ويعضده قوله عز وجل: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ**﴾ [الروم: 55] انتهى[2]. قال القرطبي: وقيل: أراد ما بين النفخين، وهو أربعون سنة، يُرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس، فيستقصرون تلك المدة. انتهى[3].

﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ**﴾ [طه: 105] سألوا النبي صلى الله عليه وسلم[4]: «ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟» وكان سؤالهم على سبيل الاستهزاء، وقيل: لَمْ يُسأل عنها وتقديره: إنْ سألوك ﴿**فَقُلْ**﴾ [طه: 105] ولذا قرن بالفاء، بخلاف سائر السؤالات مثل قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى**﴾ [البقرة: 222] ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**﴾ [البقرة: 220] ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة: 219]، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾ [الأعراف: 187]﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء: 85] ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً**﴾ [الكهف: 83] لأنَّها سؤالات تقدمت فورَد جوابُها، ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء. ذكر تعالى لأحوال يوم القيامة وأهوالها صفات: الصفة الأولى قوله تعالى: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً**﴾ [طه: 105] يجعلها كالرمل،

---

[1] البغوي، **معالم التنزيل**، 294/5.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 87/3-88.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 245/11.

[4] قال الضحاك: نزلت في مشركي مكة. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 100/22.

ثم يرسل الرياح فَيُفَرِّقُهَا كما يُذَرِّيَ الطعام، وقال الخليل: ينفسها أي: يقلعها[1]. وقال ابن الأعرابي وغيره: يقلعها قلعاً من أصولها، ثم يصيّرها رملاً يسيل سيلاً، ثم تصير هباء كالصوف المنفوش يطيّرها الريح هكذا وهكذا[2] ﴿**فَيَذَرُهَا**﴾ [طه: 106]أي: فيذر مقارَّها ومراكزها، أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها، كقوله: ﴿**مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ**﴾ [فاطر: 45]﴿**قَاعاً صَفْصَفاً**﴾ [طه: 106] مستوية ملساء لا نبات فيها ﴿**لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً**﴾ [طه: 107] [95/أ] انخفاضاً ﴿**وَلَا أَمْتاً**﴾ [طه: 107] ارتفاعاً، قال في المدارك: والعوج بالكسر، وإن كان في المعاني، كما أن المفتوح في الأعيان، والأرض عينٌ ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجهٍ ما، وإن دقَّتِ الحِيلةُ ولَطُفَت جَرتْ مجرى المعاني. انتهى[3]. وقال الزمخشري: فإن قلت: قد فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا: العِوج بالكسر في المعاني، والعَوج بالفتح في الأعيان، والأرضُ عين فكيف صح فيها الكسر؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقعٌ حسنٌ بديعٌ في وصف الأرض بالاستواء والمِلاسة ونفي الاعوجاج عنها، وذلك إنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوَّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البُصراء، واتَّفقتم على أن لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرتَه أن يعرِض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عَوج في غير موضع لا يُدرَك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله ذلك العِوج الذي دقّ ولطُف عن الإدراك، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لَحِق بالمعاني فقيل فيه عِوجٌ بالكسر. انتهى[4]. قال القرطبي: وهذه الآية تدخل في باب الرُّقَى، تُرْقَى بها الثَّآلِيلُ تطلع في الجسد، وخاصَّة في اليَد، تأخذُ ثلاثةَ أعوادٍ من تِبْنِ الشَّعِير، يكون

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 383/2.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 245/11.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 383/2.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /88.

في طرف كُلِّ عُودٍ عُقدَةٌ، تُمِرُّ كُلَّ عقدة على الثآليل وتقرأ الآية مرّة، ثم تَعُفِّنُ الأعواد في مكان نديٍّ يَعفن وتَعفن الثآليل فلا يبقى لها أثر، جرّبتُ ذلك في نفسي وفي غيري فوجدُّتُه نافعاً بإذن الله تعالى[1][95/ب].

قال الإمام فخر الدين: وهذه الآية يعني قوله: ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾ يدلُّ على أنَّ الأرض ذلك اليوم تكون كُرةً حقيقةً؛ لأنَّ المضُلَّعَ لا بدَّ وأن يتصل بعض سطوحها بالبعض لا على الاستقامة، انتهى[2].

قال: ويحصل من هذه الصفات الأربع، أنَّ الأرض تكون ذلك اليوم مستويةً ملساء خاليةً من الارتفاع والانخفاض، انتهى[3]. الصفة الثانية ليوم القيامة: قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ [طه: 108] أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال، أي: يوم إذ نُسفَت، وجاز أن يكون بدلاً بعد بدلٍ من يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [طه: 108] إلى المحشر، أي: صوت الداعي، وهو إسرافيل حين يضع الصور على فيه ينادي قائماً على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، واللحوم المتفرقة، هَلُمِّي إلى عرْضِ الرحمن، فيُقبِلُون من كل أوبٍ[4]إلى صوته لا يعدلون عنه، نظيره: ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ [ق: 41] الآية[5]. قال الإمام فخر الدين: وفي الدَّاعي قولان: أحدهما: إن ذلك (الدعاء)[6] هو النفخ في الصور. وثانيهما: إنَّه مَلَكٌ قائم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول: أيتها العظام النخرة، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة، قومي إلى ربك للحساب والجزاء، ويقال: إنَّ إسرافيل عليه السلام يضع قدمه على الصخرة. فإن قيل: هذا الدعاء يكون قبل الإحياء أو بعده؟ قلنا: إن كان المقصود بالدعاء الإعلام وجب أن يكون ذلك بعد الحياة، وإن لم يكن المقصود إعلامهم بل غير ذلك، مثل أن يكون لُطفاً

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /246.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 101/22.

[3] **المصدر نفسه**، 101/22.

[4] الأوب الناحية. كذا في المخطوط.

[5] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 384/2.

[6] في تفسير الرازي: الدَّاعي.

للملائكة ومصـــلحةً لهم فذلك جائز قبل الإحياء ﴿**لَا عِوَجَ لَهُ**﴾ [طه: 108] لا يعوجّ له مدعوّ بل يستوون إليه من غير انحراف يميناً ولا شمالاً، متَّبعين لصوته، الصفة الثالثة:[96/أ] قوله: ﴿**وَخَشَعَتِ**﴾ [طه: 108] وسكنت وذلَّت ﴿**الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [طه: 108] أي: أصحاب الأصوات من شدة الفزع وخفتت هيبة وإجلالاً، فكل لسان ساكت هناك للهيبة، قال[1]:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشّع

﴿**فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً**﴾ [طه: 108] صوتاً خفياً كتحريك الشفاة من غير نُطْقٍ، ومنه الحروف المهموسة وهي عشرة أحرف. وقيل: هو من همس الإبل وهو: صوت أخفافِهَا إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفقَ الأقدام ونقلها إلى المحشـر. قال أبو مسـلم: وقد عَلِم الإنس والجن أن لا مالك لهم سـواه فلا يُسمع لهم صوتٌ يزيدُ على الهمس، وهو أخفى الصوت ويكاد يكون كلاماً لا يُفهَم بتحريك الشفتين لضعفه، وحُقَّ لمن كان الله يحاسبه أنْ يخشع طرقه، ويضعف صوته، ويختلط قوله، ويطول غمه. انتهى[2].

الصـفة الرابعة: قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ**﴾ [طه: 109] محلّ "مَن" رفْعٌ على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي: لا تنفع إلا شفاعة من أذن له الرحمن أي: أذن لِلشَّافع في الشفاعة ﴿**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ [طه: 109] أي: رضي قوله لأجله بأن يكون المشفوع المشفَّعُ له مسلماً، أو نصبٌ على أنَّه مفعول تنفع، فالآية تدل على أن المشفوع فيه لا بد وأن يكون مرضياً،كذا في المدارك[3]. قال الإمام فخر الدين: واعلم أن هذه الآية تدل على الشفاعة في حق الفُسَّاق؛ وذلك لأنَّ قوله: ﴿**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ يكفي في صدقه أن يكون الله تعالى قد ارتضى قولاً واحداً من أقواله، والفاسق

---

[1] والبيت من قول جرير. **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، (القاهرة: دار المعارف، ط3)، 913/2.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 101/22.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 384/2.

قد ارتضى له قولاً واحداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله، الصفة الخامسة: قوله: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [طه: 110] أي الذين يتبعون الداعي. ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ [طه: 110] أي يعلم[96/ب] ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه. قال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا. وقال مجاهد: ما بين أيديهم من أمر الدنيا والأعمال، وما خلفهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب. وقال الضحاك: يعلم ما مضى وما بقي ومتى تكون القيامة[1]. ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [طه: 110] قال الزمخشري: لا يحيطون بمعلوماته علماً[2]. وفي المدارك: أي: لا يحيطون به أي: بما أحاط به علم الله، فرجع الضمير إلى ما، أو يرجع الضمير إلى الله تعالى، أي: لا يحيطون بالله علماً؛ لأنَّه تعالى ليس بِمُحَاط. الصفة السادسة: قوله: ﴿**وَعَنَتِ**﴾ [طه: 111] أي: خضعت وذلَّت، ومنه قيل للأسير عانٍ، ﴿**الْوُجُوهُ**﴾ [طه: 111] أي: أصحابُ الوجوه[3]، كقوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ**﴾ [الغاشية: 27]، وإنما خصَّ الوجوه بالذكر؛ لأنَّ الخشوع بها يتبين وفيها يظهر[4]. قال الزمخشري: المراد بالوجوه وجوه العصاة، وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقاوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية، أي: ذليلة خاشعة مثل وجوه العُناةِ، وهم الأسارى، ونحو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [الملك: 27] ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**﴾ [القيامة: 24][5]. ﴿**لِلْحَيِّ**﴾ [طه: 111] الذي لا يموت، وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن، ﴿**الْقَيُّومِ**﴾ [طه: 111] الدائم القائم على كل نفس بما كسبت، أو القائم بتدبير الخلق[6]. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: « اطْلُبُوا اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 102/22.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 88/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 102/22.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 384/2-385.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 102/22.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 89/3.

[6] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 385/2.

مِنْ هَـذِهِ السُّـــوَرِ الثَّلَاثِ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه »[1]. قال الراوي: وهو أبو أمامة الباهلي[2] فوجدنا المشـــتَرَكَ بين هذه الســـور قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: 255][3]. ﴿**وَقَدْ خَابَ**﴾ [طه: 111] يئس من رحمة الله تعالى ﴿**مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾ [طه: 111]من حمل إلى موقف القيامة شِرْكاً؛ لأنَّ الظلم وضع الشيء في غير[97/أ] موضعه، ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خَلَقَه[4]. واعلم أنَّه تعالى لما شرح أحوال يوم القيامة ختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين، فقال: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّـالِحَاتِ**﴾ [طه: 112] الطاعات ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ [طه: 112]مصـدِّقٌ بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه دليلٌ على أنَّه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة، وأنَّ الإيمان شرطُ قبولها، وهو كقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّـالِحَاتِ**﴾ [طه: 75][5] ﴿**فَلَا يَخَافُ**﴾ [طه: 112] أي: فهو لا يخاف، "فلا يخف": على النهي [6]مكيٌّ ﴿**ظُلْماً**﴾ [طه: 112] أن يُزاد في ســيئاته ﴿**وَلَا هَضْماً**﴾ [طه: 112] ولا يُنْقَصُ من حسناته، وأصل الهضْمِ: النقص والكسر[7]. قال الزمخشري: الهضم: أن يكسر من حق أخيه فلا يوفّيه له، كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا يستوفون ويسترجحون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون[8]، وهو كقوله تعالى: ﴿**فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً**﴾ [الجن: 13].

---

[1] الحديث من رواية أبي أمامة الباهلي بلفظ: «إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن، في سورة البقرة، وآل عمران، وطه». الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، 684/1، حديث رقم: 1961. البيهقي، **متون الحديث**، 59/1، حديث رقم:27.

[2] هو الصحابي صدي بن عجلان بن وهب، آخر من توفي من الصحابة بالشام، غلبت عليه كنيته، كان يسكن حمص توفي سنة: 81هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 736/2.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 102/22.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 385/2.

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 103/22.

[6] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 424.

[7] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 385/2.

[8] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 89/3.

﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ [طه: 113] عطف على كذلك نقصُّ، أي: ومثل ذلك الإنزال ﴿**أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ [طه: 113] بلسان العرب[1]. وصف القرآن بأمرين: أحدهما: كونه عربياً لِتَفْهَمْهُ العرب، فَيَقِفُوا على إعجازه وخروجِه عن جنس كلام البشر. وثانيهما: ﴿**وَصَرَّفْنَا**﴾ [2] [طه: 113] كرَّرنا ﴿**فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [طه: 113] يجتنبون الشِّرك ﴿**أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ**﴾ [طه: 113] الوعيد أو القرآن ﴿**ذِكْراً**﴾ [طه: 113] أي: عِظَةً، أو شرفاً بإيمانهم به. وقيل: "أو" بمعنى الواو، ثُمَّ إنَّهُ سبحانه لما عَظَّمَ أمرَ القرآن أردَفَهُ بأَنْ عَظَّمَ نَفْسَهُ، فقال: ﴿**فَتعالى اللَّهُ**﴾ [طه: 114] ارتفع عن فنون الظنون، وأوهام الأفهام، وتنزّه عن مضاهاة الأنام، ومشابهة الأجسام ﴿**الْمَلِكُ**﴾ [طه: 114]الذي احتاج إليه الملوك. ﴿**الْحَقُّ**﴾ [طه: 114] المحقق في الألوهية[3]. قال الإمام فخر الدين: وإنما وصفه بالحق؛ لأنَّ مُلكَه[97/ب] لا يزول ولا يتغير ولا يكون من قبل الغير ولا غيره أولى به[4].

﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ**﴾ [طه: 114]أي بقراءة القرآن، لما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقّنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنَّ عليك ريثما يُسمِعُك ويُفهِمُك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوِقَةً لقراءته، ونحوه قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ [القيامة: 16]، ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه: 114] من قَبْلِ أن يفرُغ جبريل من الإبلاغ. وقيل: معناه لا تبلّغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان[5]. قال القرطبي: قال ابن عباس: كان صلى الله عليه وسلم يبادر جبريل فَيَقْرَأُ قبلَ أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على الحفظ وشفقةً على

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 385/2.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 103/22.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 385/2.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 104/22.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 90/3.

القرآن مخافة النســيان؛ فنهاه الله عن ذلك وأنزل: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ**﴾، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا تتْلُه قبل أن تتبيَّنه. وقيل: ولا تعجل أي: ولا تسأل إنزاله قبل أن يقضى إليك، أي: يأتيك وحيه. وقيل: المعنى لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله. وقال الحســـن: نزلت في رجل عظيم لطَم وجه امرأته فجاءت إلى النبي صــلى الله عليه وســلم تطلبُ القصــاص، فجعل النبي صــلى الله عليه وســلم لها القصـــاص، فنزل: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَــاءِ**﴾ [النســاء: 34][1]. ولهذا قال: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه: 114] أي: فهماً؛ لأنَّه صـلى الله عليه وسـلم حكم بالقصـاص وأبَى الله ذلك. انتهى كلام القرطبي[2]. قال الإمام فخر الدين: وهذا القول بعيد، والاعتماد على الأول، قال: وقال الضحاك في سبب نزولها: أنَّ أهلَ مكة وأســقُفَ نجران قالوا: يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا، وقد ضــربنا لك أجلاً ثلاثة أيام، فأبطأ الوحي وفشَـــتِ المقالة أنَّ اليهود قد غلبوا محمداً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ**﴾ [طه: 114]، أي: بنزوله من قبل[98/أ] أن يُقضى إليك وحيه من اللوح المحفوظ إلى إسرافيل، ومنه إلى جبريل، ومنه إليك[3]، ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه: 114] بالقرآن ومعانيه. قال الزمخشـــري: وقوله: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما**﴾ [طه: 114] متضمِّن للتواضع لله والشكر له عندما عُلم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم، وأدباً جميلاً لم يكن عندي فزدني علماً إلى علم، فإنّ لك في كل شيء حكمةً وعلماً. وقيل: ما أمر الله تعالى رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. انتهى كلام الزمخشري[4].

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف**، القصاص بين الرجال والنساء، 172/15، حديث رقم: ٢٩٢٩٢، مرسل.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 250/11.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 104/22.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 90/3.

قال الكواشـــي: وفي قوله: ﴿**زِدْنِي عِلْماً**﴾ إشـــارةً إلى أنَّ الإحاطةَ بجميع العلوم ممتنعة لغير الله تعالى، انتهى[1].

﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ**﴾ [طه: 115] اعلم أنَّ هذا هو المرة الخامسة من قصة آدم عليه السلام في القرآن، أولها في البقرة، ثم في الأعراف، ثم في الحجر، ثم في الكهف، ثم في هذه الســـورة. قال الإمام فخر الدين: وأما تعلُّقُ هذه الآية بما قبلها ففيه وجوه: أحدها: أنَّه تعالى لما قال ﴿**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَـــبَقَ**﴾ [طه: 99] عظّم أمر القرآن وبالغ في ذكر هذه القصـــة إنجازاً للوعد في قوله ﴿**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَـــبَقَۚ**﴾. وثانيها: لما قال ﴿**وَصَـــرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً**﴾ [طه: 113] أردفه بقصـة آدم عليه السـلام،كأنه قال: إنَّ طاعة بني آدم للشـيطان أمرٌ قديمٌ، فإنا عهدنا إلى آدم من قبل، أي: من قبل هؤلاء الذين صـرّفنا لهم الوعيد، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا: إنَّه عدو لك ولزوجك. وثالثها: لما قال لمحمد: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾، ذكر بعده قصة آدم عليه السلام، فإنه بعدما عهد الله إليه وبالغ في التحذير عن العدو نسِي؛ فدَلَّ ذلك على ضعف قوة البشـر عن الحفظ فيحتاج حينئذ إلى الاسـتعانة بالله تعالى ليوفقه[98/ب] لِتَحَصُّـلِ ذلك ويجنّبه عن السـهو والنسـيان. ورابعها: أنَّ محمداً صـلى الله عليه وسـلم لما قيل له: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَـىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه: 114] دلّ على أنَّه كان في الجِدّ والمبالغة في أمر الدِّين، بحيث زاد على قدر الواجب، فلما وصفه بالإفراط؛ وصف آدم بالتفريط في ذلك، فإنَّه تساهل في ذلك حتى نسي، فوصف الأول بالتفريط والآخر بالإفراط؛ ليُعلَم أنَّ البشـر لا ينفك عن نوع زَلة. انتهى[2]. قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ**﴾ [طه: 115] أي: وصـينا إليه أن لا يأكل من الشـجرة. يقال في أوامر الملوك وَوَصَـاياهم: تقدَّم

[1] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 195/3.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 105/22.

المِلِكُ إلى فلان وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه، فعطفت قصة آدم على ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: 113]، والمعنى: وأقسم قسماً لقد أمرنا أباهم آدم، ووصيناه أنْ لا يقرب الشجرة، وتوعّدناه بالدخول في جملة الظالمين إنْ قربَها، وذلك من قبل وجودهم، ومن قبل أن نتوعدهم، فخالف إلى ما نُهي عنه وتوعّد في ارتكابه كما أنَّه يخالفون، ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون، كأنه يقول: إنَّ أساس أمرِ بني آدم على ذلك وعرقهم راسخٌ فيه[1] ﴿مِن قَبْلُ﴾ [طه: 115] أي: من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهي عنه كما أنهم يخالفون ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: 115] العهد أي: النهي، والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفون لحفظوه. كذا في المدارك[2]. قال القرطبي: وآدم عليه السلام في ذلك الوقت مأخوذٌ بالنسيان، وإن كان النسيان عنا اليوم مرفوعاً، قال: أو يكون ونسي معناه ترك، ونسيان الذهول لا يمكن هنا؛ لأنَّه لا يتعلق به عتابٌ. انتهى[3]. ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً﴾ [طه: 115] قصداً إلى الخلاف لأمره، أو لم يكن آدم من أولي العزم، والوجود بمعنى العلم، ومفعولاه له عزماً، أو بمعنى نقيض العدم، أي: وعدِمنا[99/أ] له عزماً، وله متعلق بنَجِد[4]. قال الزمخشري: والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل، وأن يتصلّب في ذلك تصلباً يوئِسِ الشيطان من التسويل له. انتهى[5]. قال الإمام فخر الدين: في النسيان قولان: أحدهما: المراد منه نقيض الذكر، وإنما عُوتب آدم على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولَّد منه النسيان، وكان الحسن رحمه الله يقول: واللهِ ما عصى قط إلا بنسيانٍ. وثانيهما: أنَّ المرادَ من النسيان الترك وأنه ترك ما عُهد ما عهد إليه من الاحتراز عن الشجرة وأكل ثمرتها، وقُرئ "فنُسِّي"[6] أي: نسّاه

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 90/3.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 251/11.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[5] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 91/3.

[6] وهي من قراءة وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «فَنُسّيَ» برفع النون وتشديد السين، وهي من الشواذ. ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، 179/3.

الشـيطان، وعلى هذا التقدير: يحتمل أن يقال: أقدم على أكل الشـجرة من غير تأويل، وأن يقال: أقدمَ عليه مع التأويل. انتهى كلام فخر الدين[1]. وقال في المدارك في سورة الأحقاف: أولوا العزم من الرسل هم المذكورون في الأحزاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الأحزاب: 7]ويونس ليس منهم لقوله: ﴿**وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ**﴾ [القلم: 48]، وكذا آدم عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ انتهى[2]. وقال القرطبي: قال قوم: آدم لم يكن من أُولِي الْعَزْمِ من الرسل؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ وقال معظم المفسرين: كلُّ الرسل أولو العزم[3]، وفي الخبر: ما نبيّ إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريا[4]، فلو خرج آدم بسبب خطيئته من أولي العزم لخرج جميع الأنبياء سوى يحيى، وقد قال أبو أمامة: لو أنَّ أحلام بني آدم جُمِعَت منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة ووضعت في كفة ميزان، ووضع حلم آدم في كفّة أخرى لرجحهم[5]، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ انتهى كلام القرطبي[6]. وقال السلمي في الحقائق: عهدنا إلى آدم أن لا يطالع معي سواي فنسيَ عهدي وطالع الجنان، ولم نجد له أي: لم نطالع بسره، ولكن طالع بعينه فنادى عليه وعصى آدم ربه. وقال جعفر: عهدنا إلى آدم أن لا ينسانا في حال فنسينا وانشغل بالجنة فابتلي بارتكاب

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 106/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 319/2.

[3] وهو قول ابن عباس وابن زيد. أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (دمشق: دار هجر للطباعة، ط1، 1422هـ)، 177/21.القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 220/16.

[4] وجدته عن ابن عباسٍ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: "مَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلا قَدْ أَخْطَأَ، أَوْ هَمَّ، بِخَطِيئَةٍ لَيْسَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، وَمَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى".أبو يعلى، **مسند أبي يعلى الموصلي**، مسند ابن عباس، 256/4.حديث رقم: 2544. ضعيف.

[5] سعيد بن منصور، **سنن سعيد بن منصور**، (الرياض: دار الألوكة للنشر، ط1، 1433هـ)، 275/6، ضعيف.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 252/11.

النهي، وذلك أنَّه ألهاه النعيم عن المنعم، فوقع من النعمة في البليَّةِ، فأخرج من النعيم والجنة؛ ليعلم أنَّ النعيم هو مجاورة المنعم، لا الإلتذَاذُ بالأكل والشرب. انتهى[1].

﴿**وَإِذْ**﴾ [طه: 116] منصوب بمضمر أي: اذكره [99/ب] وقت ما جرى على آدم من معاداة إبليس ووسوسته وتزيينه له الأكل من الشجرة، وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده، حتى يتبين لك أنَّه لم يكن من أولى العزم والثبات. كذا في الكشاف[2]. ﴿**قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ [طه: 116] قال في المدارك: قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل. وقيل: كان آدم كالقِبْلَةِ لضرب تعظيم له فيه، انتهى[3]. قال الشيخ أبو منصور الماتريدي: إنَّه كان سجود تحية بمنزلة السلام منهم عليه، وتحية الأمم الماضية كان بالسجود كالسلام والمصافحة لنا اليوم[4]، وعن قتادة قال: كانت الطاعة لله تعالى والسجدة لآدم أكرمه الله بسجدة الملائكة[5]؛ وهذا لأنَّ السجود له طرفان: طرف التحية وطرف العبادة، فالتحية كانت لآدم، والعبادة كانت لله تعالى، كصلاة الجنازة لها طرفان: طرف العبادة وطرف الدعاء والشفاعة للميت. وقيل: قوله ﴿**ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ**﴾ [طه: 116] معناه: اسجدوا لله لأجل آدم شكراً لما خلق خلقاً جديداً. واختلفوا في موضع السجود قال بعضهم: سجدوا له في الأرض بدليل قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: 39]، وحرف الفاء للوصل والتعقيب، فهذا يقتضي السجود بعد نفخ الروح فيه. وقال بعضهم: كان سجودهم له في السماء. وقيل[6]: أول من سجد لآدم إسرافيل. ﴿**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾ [طه: 116]

---

[1] السلمي، **حقائق التفسير**، 449/1-45.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 91/3.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[4] الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، 423/1.

[5] **المصدر نفسه**، 423/1.

[6] نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، **التيسير في التفسير**، (إسطنبول: دار اللباب، ط1، 1440هـ)، 88/2.

عن ابن عباس رضـي الله عنهما: إنَّ إبليس كان ملكاً من جنس المسـتَثنى منهم. وقال الحسـن: الملائكة لُبابَ الخليقة من الأرواح لا يتناسـلون، وإبليس من نار السـموم، وإنما صـحَّ اسـتثناؤه منهم؛ لأنَّه كان يصـحبهم ويعبد الله معهم[1]. قال الزمخشـري: [100/أ] فإن قلت: كيف صـح اسـتثناؤه وهو أجنبيٌّ عن الملائكة؟ قلت: حُمل على التغليب في إطلاق اسـم الملائكة عليهم وعليه فأُخرج الاسـتثناء على ذلك كقولهم خرجوا إلا فلانة لامرأةٍ بين الرجال. انتهى[2]. ﴿**أَبَى**﴾ [طه: 116] جملة مسـتأنفة كأنَّه جوابٌ لمن قال: لِمَ لمْ يسجد؟، والوجه: أن لا يقدّر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله:"فسجدوا"، وأن يكون معناه أظهر الآباء والتوقف.

﴿**فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**﴾ [طه: 117]حين لم يسـجد لك ولم يرَ فضـلكَ[3]. قال الإمام فخر الدين: فإن قلت: ما سبب تلك العداوة؟ فالجواب عنه من وجوه: أحدها: أنَّ إبليس كان حسـوداً فلما رأى آثار نعم الله تعالى في حق آدم حسـده فصـار عدواً له. وثانيها: أنَّ آدم كان شـاباً عالماً لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: 31]وإبليس كان شـيخاً جاهلاً، والجاهلون لأهل العلم أعداء. وثالثها: أنَّ إبليس مخلوق من النار وآدم مخلوق من الماء والتراب وبين أصليهما عداوة، فبقيت تلك العداوة ﴿**فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: 117] فلا يكون سـبباً لإخراجكما ﴿**فَتَشْـقَى**﴾ [طه: 117] فإن قلت: لمَ أسـند فعل الشـقاء إلى آدم وحده بعد اشـتراكهما في الخروج؟ الجواب: من وجهين: أحدهما: أنَّ شـقاء المرأة في ضـمن شـقاء الرجل لما أن الرجل قيّم أهله وأميرهم. وثانيهما: أريد بالشـقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة[4]. وقال في المدارك: إنما لم يقل فتشـقيا اكتفاء لرؤوس

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 91/3.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 106/22.

الآي[1]. قال القرطبي: الإخراج واقع عليهما وَالشَّقَاوَةُ على آدم وحده، وهو شقاوة البدن، ألا ترى أنَّه عقبه بقوله: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى**﴾ [طه: 118] أي: في الجنة ﴿**وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ**﴾ [100/ب] ﴿**فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾فأَعلَمَهُ أنَّ له في الجنة هذا كله، الكسوة والطعام والشراب والمسكن، وأنَّك إن ضيّعت الوصية وأطعت العدو أخرجتما من الجنة، وشقيت وتعِبتَ تعباً ونصباً، أي: جعُت وعرِيتَ وظمئتَ وأصابتك الشمس؛ لأنك تردُّ إلى الأرض إذا خرجت من الجنة، وإنما خصَّه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان؛ لعلمنا أنَّ نفقة الزوجة على الزوج، فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج، فلمَّا كانت نفقة حواء على آدم، كذلك نفقة بناتها على بني آدم بحق الزوجية، وأعلَمَنَا في هذه الآية أنَّ النفقة التي تجِب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن، فإذا أعطاها حقها من هذه الأربعة، فقد برئت ذمته من نفقتها، فإن تفضّل بعد ذلك فهو مأجور، فأمَّا هذه الأربعة فلا بدّ منها؛ لأنَّ بها وقاية المهجة. وقال الحسن: فتشقى شقاء الدنيا لا ترى ابن آدم إلا ناصباً. وقال الْفَرَّاءُ: الشقاء هو أن يأكل من كدّ يديه. وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أُهْبِطَ إلى آدم ثورٌ أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فهو شقاؤه الذي قال الله تعالى[2]. وقيل: لما أُهبط من الجنة كان من أول شقائه أنَّ جبريل عليه السلام أَنْزَلَ عليه حبَّاتٍ من شعير الجنة، فقال: ياآدم ازرعْ هذا، فحرث وزرع ثم حصد ثم دَاسَ، ثم نقّي، ثم طحن، ثم عجن، ثم خبز، ثم جلس لِيَأكل بعد التعب، فتدحرج رغيفَهُ من يده حتى صار أسفل الجبل، وجرى وراءه آدم حتى تعب، وقد عرِق جبينه، قال: يا آدم فكذلك رزقك بالشقاء والتعب، ورزق ولدك من بعدك في الدنيا. انتهى كلام القرطبي[3]. قال في زهرة الرياض: روي أنَّ جبريل حمل

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 386/2.

[2] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 553/6. وأبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، سعيد بن جبير، 282/4، ضعيف.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 253/11.

إلى آدم عليه السلام ثلاث حبات من الجنة، وزن الحبة ما بين ألف إلى ثمان مائة درهم، وقال: يا آدم لك حبتان وحواء حبة، فمِن ذلك يكونُ الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين[1].

﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا**﴾ [طه: 118] في الجنة ﴿**وَلَا تُعْرَيَ**﴾ [طه: 118] عن الملابس؛ لأنَّه معدة أبداً فيها، ﴿**وَأَنَّكَ**﴾ [طه: 119] [101/أ] بالكسر[2] نافع وأبو بكر عطفاً على أنَّ الأولى، وغيرهما بالفتح عطفاً على أنْ لا تجوع، ومحله: نصبٌ بأنَّ. فإن قلتَ: "إنّ" لا تدخل على "أنّ" فلا يقال: إنَّ أنَّ زيداً منطلق، والواو نائبةٌ عن أنّ وقائمة مقامها فلِمَ أُدخلت عليها؟ فالجواب: يجوز ذلك للفصل، كما تقول: إنّ في علمي أنك جالسٌ. ﴿**لَا تَظْمَأُ فِيهَا**﴾ [طه: 119] لا تعطش لوجود الأشربة فيها، ﴿**وَلَا تَضْحَى**﴾ [طه: 119] لا يصيبك حرُّ الشمس، إذ ليس فيها شمس، فأهلها في ظل ممدود كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[3]. قال أبو[4] العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر[5]. قال الزمخشري: الشِبع والريُ والكسوة والكِنُّ: هي الأقطاب التي يدور عليها كَفَافُ الإنسان، فذكّره استجماعها له في الجنة، وأنه مَكْفِيٌّ لا يحتاج إلى كفاية كافٍ، ولا إلى كسب كاسبٍ، كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظِ النفي لنقائضِها التي هي: الجوع والعُري والظمأ والضُحُوُّ؛ ليِطْرُقَ سمعه بأسامي أصناف الشقاوة التي حذَّره منها، حتى يتحامى السبب الموقِعَ فيها كراهة لها. انتهى[6].

---

[1] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 46/ب.

[2] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 424.

[3] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 387/2.

[4] أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام،من كبار التابعين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بسنتين، توفي سنة: 93هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 4/**207**. عادل نويهض، **معجم المفسرين**، 191/1.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 254/11.

[6] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 92/3.

﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾ [طه: 120] أي: أنهى إليه الوسوسة كأسرَّ إليه[1]. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف عُدّي "وسوس" تارةً باللام في قوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ**﴾ وأخرى بإلى؟ قلت: وسوسة الشيطان: كوَلْوَلَةِ الثكلى، وَوَعوَعَة الذئب، ووَقوَقَة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات، وحكمها حكم صوّت وأجْرَسَ، ومنه: وسوس المبرسَمْ، وهو موسوسٌ والفتح لحنٌ، فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله[101/ب]، ومعنى وسوس إليه: أنهى إليه الوسوسة، كقوله: حدَّث إليه وأسَرَّ إليه، ﴿**قَالَ**﴾ [طه: 120] الشيطان ﴿**يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ [طه: 120] أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود؛ لأنَّ من أكل منها خلد بزعمه فلا يموت، كما قيل لحيزوم فرس جبريل: فرسُ الحياة؛ لأنَّ من باشر أثره حيي ﴿**وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾ [طه: 120] لا يفنى، وهو دليلٌ على قراءة الحسين بن علي وابن عباس رضي الله عنهم، ﴿**إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ**﴾ بالكسر[2]. قال الإمام فخر الدين: إنَّه تعالى بيّن أنَّه عظّم آدم عليه السلام بأنْ جعله مسجود الملائكة، وبيّن أنَّه عرّفه شدة عداوة إبليس له ولزوجته، وإنه لعداوته يدعو إلى المعصية التي إذا وقع فيها زالت تلك النعم بأسرها، ثم إنّه مع جميع ذلك اتفق منه ومن حواء من الإقدام على الزلّة ما اتفق. وهذه الواقعة عجيبة لما أنَّه تعالى رغّبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله: ﴿**فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: 117] الآية، ورغّبه إبليس أيضاً في دوام الراحة بقوله: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ وفي انتظام المعيشة بقوله: ﴿**وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ فكان الشيء الذي رغّب الله آدم فيه هو الذي رغبه إبليس فيه، إلا أنَّ الله وقَّف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة، وإبليس وقفه على الإقدام عليها. ثم إنَّ آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأنه تعالى مولاه وناصره ومربّيه، وعلمه بأنَّ إبليس عدوه، حيث امتنع عن السجود له، وعرّض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبِل في هذه

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 387/2.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /92-93.

الواقعة الواحدة؟ والمقصود الواحد قول إبليس مع علمه بكمال عداوته له، وأعرض عن قول الله سبحانه[102/أ] مع علمه بأنه ناصره ومربيه، ومن تأمَّل في هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الأمر أنَّ هذه القصة كالتنبيه على أنَّه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه، ثم قال تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ**﴾ ثم بيّن تلك الوسوسة بالتطميع في أمرين: أحدهما: قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود؛ لأنَّ من أكل منها صار مخلداً بزعمه. وثانيهما: قوله: ﴿ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120] أي: من أكل من هذه الشجرة دام ملكه. انتهى[1]. واختلفوا في الشجرة، قيل: هي السنبلة، قال بعضهم: كيف لا يعصى الإنسان وقوته من شجرة العصيان. وقيل: هو الكَرْم، ولهذا صار فتنة لأولاد آدم. وقيل: شجرة التين، ولهذا أقسم الله به، وقد تقدم في سورة البقرة[2]، ﴿**فَأَكَلَا**﴾ [طه: 121] أي آدم وحواء، بادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها. وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر فأدنته إليها فأكل[3]. وقال إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً[4]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ آدم لما أكل من الشجرة قال الله عز وجل: يا آدم ما حملك على ما صنعت، قال يا رب زيَّنَتْهُ لي حواء، قال: فإني أعقَبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كُرهاً، ودمَّيتُهَا في الشهر مرتين فرنَّت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنَّة وعلى بناتك[5] ﴿**مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**﴾ [طه: 121] عوراتهما. قال السلمي في الحقائق: ﴿**فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا**

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 22/107-108.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 305/1.

[3] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 655/1، وأحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي، **مباحث التفسير لابن المظفَّر**، (المملكة العربية السعودية: كنوز إشبيليا، ط1، 1430هـ)، 88، قال ابن المظفر:" خمر الجنة لا يُسكر، ولو كان كذلك لما كان معاتباً ملوماً على أكل الشجرة"، سنده ضعيف جداً.

[4] أخرجه الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 183/1.

[5] أخرجه البيهقي، **شعب الإيمان**، الفصل الثالث في طلب المطعم والملبس، 520/7، حديث رقم: 5407. وأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 123/1، موقوف.

﴾، أي بدت لهما ولم تبد لغيرهما؛ لئلا يعلم الأغيار من مكافأة الجناية ما علماه، ولو بدت للأغيار لقال: بدت منهما، انتهى[1]. ﴿**وَطَفِقَا**﴾ طفق يفعل كذا مثل: جعل يفعل، وهو ككاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً، إلا أنَّه للشروع في الأمر، وكاد للدنو منه ﴿**يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: 121] أي: يلزقان الورق بسوءاتهما للتستر، وهو ورق التين[2]. وقيل: كان[3]. [102/ب] وقال الليث بن سعد[4]: وإنما صحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى عليهما السلام من أجل أن الله عز وجل قد غفر لآدم خطيئته وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يعيّره بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال آدم: أنت موسى الذي آتاك الله التوراة، وفيها كل شيء، فوجدت فيها أنَّ الله قدّر عليّ المعصية، وقدّر عليّ التوبة منها، وأسقط بذلك اللوم عني، أفتلومني أنت والله لا يلومني[5]. وبمثل هذا احتج ابن عمر رضي الله عنهما على الذي قال له: إنَّ عثمان فرّ يوم أحد، فقال ابن عمر: ما على عثمان ذنب؛ لأنَّ الله تعالى قد عفا عنه بقوله: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ [آل عمران: 152]. وقد قيل: أنَّ آدم عليه السلام أبٌ، وليس من بر الابن أن يعير الأب مما يُعيّر به غيره، فإنَّ الله تعالى قال في الأبوين الكافرين ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً**﴾ [لقمان: 15]، ولهذا إنَّ إبراهيم عليه السلام لما قال له أبوه وهو كافر: ﴿**لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ**﴾ [مريم: 46-47]، فكيف بأب هو نبي قد اجتباه ربه وتاب عليه وهداه. قال القرطبي: وأما من عمِل الخطايا ولم تأته المغفرة فإنَّ العلماء مجمِعون على أنَّه لا يجوز له الاحتجاج بمثل حجة آدم فيقولَ: تلومني على أنْ قتلت أو زنيت أو سرقت، وقد قدَّر الله ذلك عليّ،

---

[1] وهو قول الحصري. السلمي، **حقائق التفسير**، 452/1.

[2] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 387/2.

[3] لوحة كاملة غير موجودة في الملف وهي تفسير وعصى آدم ربه فغوى.

[4] الليث بن سعد أبوا الحارث، مولى لقيس، ثقة، كثير الحديث، وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر، توفي سنة: 165هـ. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، 517/7.

[5] البزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**،مسند أبي حمزة أنس بن مالك، 362/15، حديث رقم: ٨٩٤٤.

والأمّة مجمعة على جواز حمد المحسنِ على إحسانه، ولوم المسيء على إساءته وتعديد ذنوبه عليه. قال القرطبي: وقوله غوى أي: فسد عليه عيشه، حكاه النقاش واختاره القشيري[1]. قال القرطبي: وسمعت شيخنا الأستاذ المقري أبا جعفر القرطبي يقول: فغوى ففسد عيشته بنزوله إلى الدنيا، والغي: الفساد، وهو تأويل حسن، وهو أولى من تأويل من يقول أنَّ فغوى، معناه: ضلّ [104/أ] من الغي الذي هو ضد المرشد. وقيل: معنى قوله فغوى أي: جهل أن تلك الشجرة هي التي نُهي عنها، والغي: الجهل. وعن بعضهم: فغوى: فبَشِم من كثرة الأكل. قال الزمخشري: وهذا وإن صحَّ على لغة مَن يقلِبُ الياء المكسور ما قبلها ألفاً، فيقول: في "فني وبقي" فنا و بقا، وهم بنو طيء تفسيرٌ خبيث[2]. قال القشيري: قال قوم: يقال عصى آدم وغوى، ولا يقال له: عاصٍ ولا غاوٍ، كما أنَّ من خاط مرةً يقال له: خاط، ولا يقال له: خياط ما لم تتكرر منه الخياطة. وقيل: يجوز للسيد أن يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره أن يطلقه، وهذا تكلُّف، وما أضيف من هذا إلى الأنبياء فإنَّه يكون صغائر، أو ترك الأولى، أو قبل النبوة، وهذا حسن، قال الإمام أبو بكر بن **فورك**[3]: كان هذا من آدم قبل النبوة، ودليل ذلك قوله: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ**﴾، فذكر أنَّ الإجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليها الذنوب وجهاً واحداً؛ لأنَّ قبل النبوة لا شَرعَ علينا في تصديقهم، فإذا بعثهم الله إلى خلقه، وكانوا مأمونين في الأداء معصومين لم يضرُ ما قد سَلَفَ منهم من الذنوب وهذا نفيس. انتهى كلام القرطبي[4].

---

[1] لم أجده لدى القشيري.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 94/3.

[3] محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريبا من المئة، توفي سنة: 406 هـ. الزركلي، **الأعلام**، 83/6.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 256/11-257.

وقال السلمي في الحقائق: قال بعضهم: عصى آدم فعوقب أولاده بثلاث: ما ولدوا يموت، وما يبنوا يهدم، وما يصلوا يقطع[1].

﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ**﴾ [طه: 122] قرّبه إليه واصطفاه، وقرئ به ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ [طه: 122] قبل توبته ﴿**وَهَدَى**﴾ [طه: 122] وهداه إلى الاعتذار والاستغفار. وفي كتاب اللطائف لابن رجب: لما أُهبِطَ آدم من الجنة بكى على تلك المعَاهد فيما يروى ثلثمائة عام، وحُقَّ له ذلك، كان في دارٍ لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ فيها ولا يضحى، فلمَّا نزل إلى الأرض أصابَه ذلك كلَّه، فكان إذا رأى جبريل عليه السلام يتذكر برؤيته تلك المعاهد، فيشتد بكاؤه حتى بكى جبريل معه لبكائه، ويقول: ما هذا البكاء يا آدم فيقول: وكيف لا أبكي وقد أُخرجت من تلك النعمة إلى دار البؤس. وقال به بعض ولده: لقد آذيت أهل الأرض ببكائك، فقال: إنما أبكي على أصوات الملائكة حولَ العرش. وفي رواية: إنما أبكي على جوار ربي في دارٍ تربتها طيبة، أسمع فيها أصوات الملائكة. وفي رواية: قال: أبكي على دار لو رأيتها لزَهِقَت نفسك شوقاً إليها. وروى أنَّه قال لولده: كُنَّا نسلاً من نسل السماء، خلقنا كخلقهم وغذاؤنا كغذائهم، فسَبانا عدونا إبليس، فليس لنا فرحة ولا راحة إلا الهمَّ والعناء، حتى نُرَدَّ إلى الدار التي أخرجنا منها: فحيَّ على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ

ولكنَّنا سبيُ العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلِّمُ انتهى[2]. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود عليه السلام كان بكاؤه أكثر، ولو جمع كل ذلك إلى بكاء نوح لكان بكاؤه أكثر، ولو جمع كل ذلك إلى بكاء آدم صلوات الله عليه على خطيئته كان

---

[1] السلمي، **حقائق التفسير**، 452/1.

[2] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ)، 56.

بكاؤه أكثر»[1]. قال وهب[104/ب]: لما كثر بكاؤه أي: آدم أمره الله عز وجل أن يقول: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سواءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك خير الغافرين، فقالها آدم، ثم قال: قل لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي فارحمني، إنك أنت أرحم الراحمين، ثم قال: قل لا إله إلا أنت عملت سوءاً، وظلمت نفسي فتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم، قال ابن عباس هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه[2]. قال في زهرة الرياض في بكاءِ الأنبياء عليهم السلام: وأنَّ شعيباً عليه السلام بكى من الشوق إلى ربه ثلثمائة سنة حتى عمي، فردَّ الله إليه بصره بعد ما بكى مائة سنة، كذلك ثلاث مرات، ثم إنَّ الله يوم أوحى إليه "إنْ أردَّت الجنة فلك ذلك، وإنْ خِفْتَ النار فالأمان لك، وإنْ أردَّت الحور فلك"، فقال: لا يا جبريل، ولكن أبكي شوقاً إلى الله تعالى، قال الله تعالى: قل له يا جبريل فابك حتى تلقاني لا حيلة لك في هذا سوى لقائي، فوعزتي وجلالي بهذه المحبة التي أحببتني لأُخْدِمنَّك نبيَّاً من الأنبياء وصفياً من الأصفياء عشر سنين، فقيَّض الله له نبيَّه وكليمه موسى عليه السلام، حتى رعى غنم شعيب عشر سنين كرامة له من الله لمحبته لله، وآدم عليه السلام بكى على الجنة مائتي عام، والجنَّة باقية، ولذلك لم يذهب بَصرُه. وروي[3] أنَّ آدم عليه السلام بكى على ساحل البحر، فزعموا أنَّ صَدَفةً كانت ترتفع فوق الماء، فإذا قَطَرَ من دموع آدم في الصدفة انغمس، فيقال: إنَّ الدر من دموع آدم عليه السلام، وكان يجلس ويبكي ويضع يده على وجهه وعينيه وينادي، ويبكي حتى رحمته[105/أ] الملائكة فينزلون من السماء ويجلسون حوله ويبكون معه، ولم يرفع آدم رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى، وكلما قطر من دموعه على الأرض قطرةٌ نبت منها نباتٌ يصلح لمرض في دواء، مثل الزنجبيل والقرنفل والدارصين وما أشبه ذلك. وأما بُكاء يعقوب عليه السلام فبكى على يوسف أربعين سنة وهو

---

[1] **لم أجده.**

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 109/22.

[3] هذه الرواية من الإسرائيليات التي لا أصل لها.

شيخ فان؛ ولذلك ذهب بصره، فلمَّا حبس يوسف بنيامين أخاه بالسرقة، كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنَّه يوسف، بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إلى عزيز مصر، سلامٌ عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنَّا أهل بيت مُولَع بنا أسباب البلايا، كان جدي إبراهيم ألقي في النار في طاعة ربه، فجعلها الله برداً وسلاماً، وأمَرَ الله جدِّي أن يذبح أبي ففداه الله، وكان لي ابنٌ من أحب الناس إليّ فقدته، فأَذهَبَ حُزني عليه نور بصري، وكان له أخٌ من أمِّه كنت إذا ذكرته ضمَمْتُهُ إلى صدري، فأذهب عني بعض وجدي، وهو المحبوس عندك في السرقة، وإني لم أسرق ولم ألد سارقاً، قال: فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب بكى وصاح، وقال: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً. انتهى. قال في زهرة الرياض: آدم عليه السلام عَلِم أسماء المخلوقين فوجد به الرِّيَاسَةَ وسجود الملائكة، وسليمان علم منطق الطير والفهم فوجد المملكة وتسخير الريح، والهدهد علم الماء فوجد النجاة من الذبح ورئاسة الطيور وتاجاً على رأسه، ويوسف علم الرؤيا فوجد النجاة من السجن والنبوة أيضاً، كأنّ الله تعالى يقول: يا مؤمن[105/ب] أنت علمت التوحيد، فأيّ عجب أن تجد الجنة والرؤية أيضاً، كان لآدم عِلْمُ الأسماء فصار هو رفيقاً، ولك علم أسماء إله السماء، أفلا تصير رفيقاً. وهنا إشارة: آدم عليه السلام أخرج مع نفسه من الجنة أربعة أشياء: عصى من آس، وورقاً من التين، والبكاء، والخاتم، فوضع العصى في يد موسى فوجد بها النبوة، والورق في الظبي فنال بها المسك، والخاتم عند سليمان فنال بها الملك، والبكاء للعاصي أفلا ينال به الرحمة[1]. قال في زهرة الرياض: يقال كتب قيصر إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: هل يَجمُل من المضِيفِ أن يخرج ضيفه من داره يعني آدم وحواء؟! فكتب إليه ابن عباس لم يخرجهما، ولكن قال لهما: ضَعا اللباس واخرجا لقضاء الحاجة حيث أكلتما من الحنطة، كالضيف يذهب إلى المستراح ويَدَع ثيابه ثم يرجع إلى المائدة، ألا ترى أنَّه قال له: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ**

[1] سليمان بن داوود، **زهرة الرياض**، اللوحة 46/أ.

عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أنْ أوقعه إبليس في اسمين: عاصٍ وغاوٍ، فإن الله أوقعه في ثلاث أسامي حسانٍ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ**﴾ الآية، وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً**﴾ [آل عمران: 33] الآية، وقوله: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30] الآية، وما دام في الجنَّة كان ضيفاً فلما هبط صار خليفة، كما قال: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ . انتهى[1]. قوله: ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ [طه: 122] اكتفى بذكر توبة آدم وقد تِيب على حواء أيضاً؛ لأنَّ حوَّاءَ كانت تبعاً لآدم، وقد طَوَى ذكر النساء في أكثرِ القرآن والسنة كذلك، ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جميعاً**﴾ [طه: 123] يعني آدم وحواء ﴿**بَعْضُكُمْ**﴾ [طه: 123] يا ذرية آدم ﴿**لِبَعْضٍ عَدُو**﴾[طه: 123] بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين، وكان الذين هبطوا خمسة[106/أ]: آدم وحواء وإبليس والحيَّة والطاووس، ويروى أن آدم خرج من الهند إلى مكة أربع مائة مرة، من ذلك أربعون حجة، والباقي عمرة، ولم يصل إلى حواء إلا بعد مائتي سنة، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نَوْد، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة، والحيَّة بأصبهان، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بقتل الحيات، وقال: «مَنْ تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثأرِهِنَّ فَلَيْسَ مِنَّا»[2]، وقال: «مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ»[3]. قال الزاهدي في تفسيره: يروى أنَّ خطاب الهبوط في قوله: قلنا اهبطوا منها جميعاً للخمسة، قوله: ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ يعني طبعياً واختيارياً، أي هذه العداوة نوعان: ديني وطبعي، فمع إبليس ديني، ومع الحية طبعي، فلا ترتفع العداوة مع إبليس ما دام الدين باقياً، ولا ترتفع مع الحية ما دام الطبع باقياً. انتهى[4]. قال الإمام فخر الدين: فإنْ قلت: قوله:"اهبطا": إما أن يكون خطاباً مع شخصين أو أكثر، فإن كان مع شخصين فكيف قال بعده: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**﴾ [طه:

---

[1] **المصدر نفسه**، اللوحة 46/ب.

[2] البزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، من حديث عثمان بن أبي العاص، 313/6، حديث رقم: 2325.

[3] أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، 477/3. حديث رقم: ٢٠٣٦.

[4] لم أعثر على الكتاب.

123] وهو خطاب الجمع؟ وإن مع أكثر فكيف قال: "اهبطا" وهو خطاب الاثنين؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: قال أبو مسلم: الخطاب لآدم عليه السلام ومعه ذريته، ولإبليس ومعه ذريته، فمن حيث أنهما جنسان صحَّ قوله تعالى اهبطا، ومن حيث إنَّ كلَّ واحد منهما من هذين الجنسين يشتمل على الكثرة، صحَّ قوله: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًي**﴾. وثانيهما: قال صاحب الكشاف: لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصْلَى البشر، والسببين الذين منهما نشؤوا وتفرّعوا جُعِلا كأنهما البَشَرُ في أنفسهما، فخوطبا مخاطبتهم، فقيل: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ**﴾ على لفظ الجماعة. انتهى[1].

﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**﴾ [طه: 123] كتاب وشريعة[106/ب] ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ**﴾ [طه: 123] أي: ودام عليه حتى مات ﴿**فَلَا يَضِلُّ**﴾ في الدنيا ﴿**وَلَا يَشْقَى**﴾ في العقبى[2]. قال ابن عباس: ضمن الله لمن اتبع القرآن أنْ لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلى قوله: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾[3]. والمعنى أنَّ الشقاء في الآخرة هو عقابُ من ضلَّ في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله، وامتثل أوامره، وانتهى عن نواهيه نجى من الضلال ومن عقابه[4].

﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي**﴾ [طه: 124]عن القرآن ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾ [طه: 124] ضيقاً، وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث. عن ابن جبير[5]: نسلبُه القناعة حتى لا يشبع[6]. قال الزمخشري: فمع الدين التسليم والقناعة، والتوكل على الله تعالى وعلى قسمته، فصاحبه ينفق ما رزقه

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 110/22.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 388/2.

[3] ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الزهد، كلام ابن عباس رضي الله عنه، 136/7. حديث رقم: 34781.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3 /95.

[5] سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، وكان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه، قتل سنة: 95هـ. الزركلي، **الأعلام**، 93/3.

[6] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 388/2.

بســماحٍ وســهولةٍ فيعيش عيشــاً رافعاً، كما قال عز وجل: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل: 97]، والمعرضُ عن الدِّين مسْتَولٍ عليه الحرصُ الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلّط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته، وتشوَّش عليه رزقه، ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره، قال الله تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: 112]، وقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ [المائدة: 66]، وقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: 96]، وقال: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**﴾ [نوح: 10]، وقال: [107/أ] ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً**﴾ [الجن: 16]. وعن الحسن: المعيشة الضنك: هو الضريع والزقوم في النار. وعن أبي سعيد الخدري: هو عذاب القبر[1]. قال أبو هريرة: يُضَيَّقُ على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، وهو المعيشة الضنك[2]. قال القرطبي: وهذا القول هو الصحيح[3]. قال الإمام فخر الدين: الضنك: إمَّا أن يكون في الدنيا، أو في القبر، أو في الآخرة، أو في الدين، أو في الكل، أما الأول: فقد قال به جمعٌ من المفسرين[4]، وذلك؛ لأنَّ المسلم لتوكله على الله يعيش في الدنيا عَيشاً طيباً، كما قال: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل: 97]، والكافر يكون حريصاً على الدنيا فعيشه ضنك وحاله مظلمة. وأما الثاني: وهو

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 95/3.

[2] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 398/18. وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، 238/16، حديث رقم: 6179.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /259.

[4] المعيشة الضنك في الدنيا، وهي: الكسب الحرام، أو أن صاحبها ينفق من ماله على تكذيب منه بالخَلَف من الله، فتشتد لذلك عليه معيشته وتضيق. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 392/18.الومخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 96/3. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، 394/7.

عذاب القبر[1]، وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس، ورفعه أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه عذاب القبر، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطَ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً »[2]. قال ابن عباس: نزلت الآية في الأسود بن عبد الأسد المخزومي[3]. وأما الثالث: وهو الضِّيقُ في الآخرة، فإنَّ طعامهم فيها الضريع والزقوم، وشرابهم الحميم والغسلين، وهذا قول الحسن وقتادة والكلبي[4]. وأما الرابع: وهو الضيق في أحوال الدين. فقال ابن عباس: المعيشة الضنك هي أنْ يضيَّقَ عليه أبوابُ الخير فلا يهتدي لشيء منها[5]. وأما الخامس: وهو أن يكون في الكل أو في الأكثر. يروى عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: عقوبة المعصية ثلاثة: ضيق المعيشة، والتعبة في اللذة، وأنْ لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية[6]، انتهى كلام فخر الدين[7].

﴿**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ عن الحجة[8]، وعن ابن عباس: أعمى البصر[9]، وهو كقوله: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً**﴾ [الإسراء: 97]، وهذا هو الوجه. كذا في المدارك[10]. قال القرطبي: قيل: أعمى في حالٍ وبصيراً في حال، وقد تقدم في آخر سبحان. وقيل: أعمى

---

[1] وهو الذي رجحه الطبري في تفسيرة، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 392/18.

[2] أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، **التقاسيم والأنواع – صحيح ابن حبان**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1433هـ)، 159/6. أبو يعلى، **مسند أبي يعلى**، شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، 521/11، حديث رقم: 6644، إسناده حسن.

[3] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، 44/3.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 392/18-393. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 284/5.

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، 181/3.

[6] أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 415/13.

[7] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 111/22.

[8] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 395/18-

[9] أخرجه الطبري، **المصدر نفسه**.

[10] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 388/2.

عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها. انتهى[1]. قال الكواشي: وقيل: إنَّه يحشر من قبره بصيراً، فإذا سيق إلى الموقف يكون أعمى. انتهى[2].

﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً**﴾ [طه: 125] في الدنيا. قال القرطبي: بأي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت بصيراً، أي: في الدنيا، وكأنَّه يظن أن لا ذنب له[3]. ﴿**قَالَ كَذَلِكَ**﴾ [طه: 126] أي: مثل ذلك فعلتَ أنت، ثم فسَّر فقال: ﴿**أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ [طه: 125] أي: أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك، ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ [طه: 127] لما توعّد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمى في الآخرة، ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾كأنَّه قال: وللحشر على العَمَى الذي لا يزول أبداً أشد من ضيق العيش المنقضي. اعلم أنَّه تعالى لما بيَّن حالَ من أعرض عن ذكره يوم القيامة أتبعه بحال المكلف في الدنيا من تكذيب الرسل، فقال: ﴿**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ**﴾ [طه: 128] أي: الله، بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون، ﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ**﴾ [طه: 128] حال من الضمير المجرور في لهم ﴿**فِي مَسَاكِنِهِمْ**﴾ [طه: 128] يريد أن قريشاً يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط، ويعاينون آثار هلاكهم ﴿**فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾ [طه: 128] لذوي العقول إذا تفكروا أنَّ استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا، ثمَّ بيَّن الوجه الذي لأجله لم ينزل العذاب على من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا، فقال: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ**

---

[1] وقد رجح هذا القول الطبري في تفسيره **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 392/18. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 259/11.

[2] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 198/3.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 259/11.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ [طه: 129] أي: الحكم بتأخير[108/أ] العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَكَانَ لِزَاماً﴾ [طه: 129] لازماً، أي لكان العذاب لازماً لهم، فاللزام: مصدر لازم فوُصِفَ به، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: 129] القيامة، وهو معطوف على كلمةٌ، والمعنى: ولولا حكمٌ سبق بتأخير العذاب عنهم وأجلٌ مسمىً -وهو القيامة- لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة[1]. قال الإمام فخر الدين: ولا شبهة في أنَّ الكلمة إخبار الله ملائكته وكُتبَهُ في اللوح المحفوظ، أنَّ أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كذّبوا فسيؤخرون، ولا يفعل بهم ما فُعل بغيرهم من الاستئصال، واختلفوا فيما لأجله أُخِّر العذاب عنهم، فقال بعضهم: لأنَّه علم أنَّ منهم من يؤمن[2]. وقال آخرون: علم أنَّ في نسلهم من يؤمن ولو أنزل بهم العذاب لعمّهم الهلاك. وقال آخرون: المصلحة فيه خفيّة لا يعلمها إلا هو.انتهى[3]. ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 130] فيك، أمره تعالى بالصبر على أقوالهم، إنَّه ساحر، إنَّه كاهن، إنَّه كذاب إلى غير ذلك، والمعنى: لا تحتفل بهم فإنَّ لعذابهم وقتاً مضروباً لا يتقدم ولا يتأخر. ثم قيل: هذا منسوخ بآية القتال. وقيل: ليس منسوخاً إذ لم يستأصل الكفار بعذابه بالقتال بل بقي المعظم منهم[4].

﴿وَسَبِّحْ﴾ [طه: 130]وصلّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: 130] في موضع الحال، أي: وأنت حامدٌ لربك على أنْ وفقك للتسبيح وأعانك عليه، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ [طه: 130]يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130] يعني: الظهر والعصر؛ لأنَّهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 389/2.

[2] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 79/11.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 112/22.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 260/11.

زوال الشـــمس وغروبها[1] ﴿**وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَـــبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ**﴾ [طه: 130]، أي: وتعمّد آناء الليل، أي: ســاعاته، وأطراف النهار، مختصــاً لها بصــلواتك[108/ب] وذلك أنَّ أفضــل الذكر ما كان بالليل؛ لاجتماع القلب وهدوء الرِجْل والخُلوّ بالرب، وقال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ [المزمل: 6] ؛ ولأنَّ الليل وقت الســـكون والراحة، فإذا صُـــرف إلى العبادة كانت على النفس أشـدَّ وأشـقَّ، وللبدَن أتعَبَ وأنصَبَ، فكانت أدخَلَ في معنى التكليف، وأفضـل عند الله عز وجل، وقد تناول التســبيح في آناء الليل صــلاة العَتمة، وفي أطراف النهار صــلاة المغرب، وصــلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ [البقرة: 238] عند بعض المفســـرين، فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿**وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ**﴾ [طه: 130]على الجمع، وإنما هما طرفان كما قال: ﴿**أقم الصـــلاة طرفي النهار**﴾ [هود: 114]؟ قلت: الوجه أمْنُ الإلباس، وفي التثنية زيادة بيان، ونظير مجيء الأمرين –أي التثنية والجمع– في الآيتين مجيئهما في قوله: ظهراهما مثل ظهور التُرْسَـــينْ[2]، كذا في الكشـــاف[3]. وقوله: ﴿**وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ**﴾عطف على "قبلَ"، قال الكواشـــي: تلخيص معنى الآية: صـــلِّ الصـــلوات الخمس في أوقاتها، ويجوز أن يراد حقيقة التســبيح أي: ســبّحه في جميع الأوقات. انتهى[4]. ﴿**لَعَلَّكَ تَرْضَـــى**﴾ لعل للمخاطب، أي: اذكر الله في هذه الأوقات، رجاءَ أنْ تنال عندَ الله ما بهِ تَرضَى نفسك ويُسَرُّ قلبُك، وتُرْضَى[5]عليٌّ وأبو بكر أي: يرضيك ربك[6].

---

[1] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 389/2.

[2] صـدر البيت: ومهمهين قذفين مرتين، وهولخطام المجاشـعي، والشـاهد: فجاءَ بالتثنيةِ والجمع في بيت واحد.الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، 173/2. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشـــر، الملقب بســـيبويه، **الكتاب**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ)، 48/2.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 97/3.

[4] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 200/3.

[5] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 425.

[6] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 390/2.

﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**﴾ [طه: 131] أي: نظر عينيك، ومدّ النظر: تطويله، وأن لا يكاد يردّه استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنياً أن يكون له، كما فعل نظّارةُ قارون حين قالوا: ﴿**يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ**﴾ [القصص: 79] [109/أ]حتى واجههم أولوا العلم والإيمان ب ﴿**وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ**﴾ [القصص: 80]، وفيه دليل: على أنَّ النظر غير الممدود معفوٌ عنه، وذلك مثل نَظِرَ من بادَهَ الشيء بالنظر ثم غضّ الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأنَّ من أبصر منها شيئاً أحب أن يمدّ إليه نظره، ويملأ منه عينيه قيل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ [طه: 131]، أي: لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه، ولقد شدَّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعُدَدِ الفَسَقَةِ في اللباس والمراكب وغير ذلك؛ لأنَّهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعُيون النظّارة، فالنَّاظر إليها محصّلٌ لغرضهم، وكالمغْري لهم على اتخاذها. كذا في الكشاف[1]. ﴿**إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ**﴾ [طه: 131] أصنافاً من الكفرة. قال الزمخشري: يجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير، والفعل واقع على منهم، كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف، بعضهم وناساً منهم ﴿**زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**﴾ [طه: 131] زينتها وبهجتها. قال الزمخشري: فإن قلت: علام انتصب زهرة؟ قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم: وهو النصب على الاختصاص. وعلى تضمين متَّعنا معنى أعطينا وخوّلنا، وكونه مفعولاً ثانياً له، وعلى إبداله من محلِّ الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجاً على تقدير ذوى زهرةٍ ﴿**لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ**﴾ [طه: 131] لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لَنُعَذِّبنَّهُم في الآخرة بسببه[2]. قال القرطبي: قال بعض الناس سبب هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم[109/ب] قال: «نَزَلَ ضَيْفٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَنِي عَلَيْهِ

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 3/97-98.

[2] **المصدر السابق**.

السَّـــلَامُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَالَ قُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ: نَزَلَ بِنَا ضَـــيْفٌ وَلَمْ يُلْفَ عِنْدَنَا بَعْضُ الَّذِي يُصْـلِحُهُ، فَبِعْنِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الدَّقِيقِ، أَوْ أَسْـلِفْنِي إِلَى هِلَالِ رَجَبٍ فَقَالَ: لَا، إِلَّا بِرَهْنٍ: قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ:" وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ وَلَوْ أَسْلَفَنِي أَوْ بَاعَنِي لَأَدَّيْتُ إِلَيْهِ اذْهَبْ بِدِرْعِي إِلَيْهِ" وَنَزَلَتِ الْآيَةُ تَعْزِيَةً لَهُ عَنِ الدُّنْيَا »[1]، واعترض ابن عطية[2] على هذا وقال: هذا لا يكون سبباً لنزول الآية؛ لأنَّ السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عُمْر النبي صلى الله عليه وســـلم؛ لأنَّه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصـــة التي ذكرت، وإنما الظاهر أنَّ الآية متناســقة مع ما قبلها وذلك أنَّ الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم الســالفة، ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثمَّ أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا، إذ ذاك مُنصرف عنهم صائر إلى آخرين. قال القرطبي: وكذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه مرّ بإبِلِ بني المصطلق وقد عَبَسَت بأبوالها[3]من السَّمْن، فتقنّع بثوبه، ثم مضى لقوله عز وجل: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ**﴾ [طه: 131] الآية[4] انتهى[5]. قال الكواشـــي: عن أبي بن كعب من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع نفسه ما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أنَّ نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه. انتهى[6]، ثم سلّى رسول الله صلى الله

---

[1] أحرجه الطبراني، **المعجم الكبير**، يزيد بن عبد الله بن قســيط عن أبي رافع، 331/1، حديث رقم:989، وأخرجه الرُّوياني أبو بكر محمد بن هارون، **مسند الروياني**، حديث أبي رافع رضي الله عنه، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط1، 1416هـ)، 1 /472، حديث رقم: 715، والبزار، **مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار** ما أسند أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه السلام، 315/9، حديث رقم: 3863، ضعيف.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 70/4.

[3] عبست في أبوالها: هو أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من الشحم. أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، **غريب الحديث**، (حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1384هـ)، 9/3.

[4] **أخرجه** أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، **فضائل القرآن للقاسم بن سلام، كتاب فضل القرآن ومعالمه وأدبه**، باب:حامل القرآن وما يجب عليه أن يأخذ به من أدب القرآن، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1415هـ)، 115، ضعيف جداً.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /262-263.

[6] الكواشي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، 201/3.

عليه وسلم فقال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ [طه: 131] ثوابه وهو الجنة، أو الحلال الكافي. قال الزمخشري: ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خيرٌ منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة، أو لأنَّ أموالهم الغالب عليها الغَصْبُ والسرقة والحرمة[110/أ] من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى؛ لأنَّ الله لا ينسب لنفسه إلا ما حلّ وطاب دون ما حرم وخبث[1]، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131]مما رزقوا ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: 132] أمتك، أو أهل بيتك بِالصَّلَاةِ، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ [طه: 132] أنت، أي : داوم[2] ﴿عَلَيْهَا﴾ [طه: 132] قال القرطبي: وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل في عمومه جميع أمته وأهل بيته خصوصاً، وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما، فيقول: الصلاة[3]، ويروى أنَّ عروة بن الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله، وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمك الله ويصلي[4]، وكان عمر بن الخطاب يوقظ أهله لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالآية[5]. انتهى[6].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 98/3.

[2] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 391/2.

[3] أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة الأحزاب، 352/5، حديث رقم: 3206. أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، 434/21، حديث رقم: 14040. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، 3 /172، حديث رقم: 4748، ضعيف.

[4] أخرجه الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 405/18.

[5] أخرجه مالك بن أنس بلفظ: أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله. حتى إذا كان من آخر الليل، أيقظ أهله للصلاة. يقول لهم: الصلاة، الصلاة. ثم يتلو هذه الآية: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى} [طه 20: 132]، **الموطأ**، كتاب السَّهْوُ، ما جاء في صلاة الليل، 162/12، حديث رقم: 389، صحيح.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 11 /262.

﴿**لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً**﴾ [طه: 132] أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾ [طه: 132] وإياهم. قال الزمخشري: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ**﴾ [طه: 132] أي: أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة، واستعينوا بها على خصاصتكم، ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإنَّ رزقك مكفيّ من عندنا، ونحن رازقوك، ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، ففرّغ بالك لأمر الآخرة، وفي معناه قول الناس: من كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن بكر بن عبد الله المزني[1] كان إذا أصاب أهله خصاصةٌ قال: قوموا فصلوا، وهذا أمر الله أمر الله رسولَهُ، ثم يتلو هذه الآية. وعن مالك بن دينار مثله[2]. وفي بعض المسانيد: كان صلى الله عليه وسلم إذا أصاب أهله ضرٌ أمرهم بالصلاة وتلى هذه الآية[3]. [110/ب] وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ**﴾ [الذاريات: 56 إلى 58]. قال الإمام فخر الدين: اعلم أنَّه ليس في الآية رخصة في ترك الكسب؛ لأنَّه تعالى قال في وصف المتقين: ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[النور: 37] ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَي**﴾ [طه: 132] أي: وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين ﴿**وَقَالُوا**﴾ [طه: 133]، أي: الكافرون ﴿**لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ [طه: 132] هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدلُّ على صحة نبوته، اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة. قال الإمام فخر الدين: أوهموا بهذا الكلام أنَّه تعالى يكلفهم الإيمان من غير آية، وقالوا في موضع آخر: ﴿**فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ**

---

[1] بكر ابن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري ثقة ثبت جليل من الثالثة مات سنة: 106هـ. ابن حجر، **تقريب التهذيب**، 127.

[2] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 267/6.

[3] أخرجه الطبراني بلفظ: كان النبي صلى الله عليه وسلم «إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} [طه: 132]، **المعجم الأوسط**، باب: الألف، من اسمه أحمد، 272/1، حديث رقم: 886.والبيهقي، **شعب الإيمان**، باب: الصلاة، تحسين الصلاة والإكثار منها، 515/4، حديث رقم: 2911، ضعيف.

﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: 5]، فأجاب الله سبحانه عنه بقوله: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِمۡ﴾ [طه: 132] مدني وبصري[1]وحفص، والباقون أولم يَأتهم بالياء لأنَّ البينة في معنى البرهان[2].

﴿بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: 132] الكتب المتقدمة. يعني: أنهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم: أوَلَمْ تأتِكم آية هي أمُّ الآيات، وأعظمُها في باب الإعجاز، يعني: القرآن من قبَل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة، ودليل صحته؛ لأنَّه معجز وتلك ليست بمعجزات[3]، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها، ثم إنَّه تعالى بيّن أنَّه أزاح لهم كلَّ عذر وعلةٍ في التكليف، فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [طه: 134] من قبل الرسول، أو قبل القرآن ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ [طه: 134] هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ [طه: 134][4]، والمراد كان لهم أن يقولوا ذلك فيكون عذراً لهم، فأمَّا الآن فقد أرسلناك وبيّنا على لسانك لهم ما عليهم وما لهم فلا حجة لهم البتَّة، بل الحجة عليهم[5]، ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ [طه: 134] بالنصب؛ لأنَّه جواب الاستفهام، ﴿ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ [طه: 134] بنزول العذاب، ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ [طه: 134] [111/أ] في العقبى[6].

حديث في من كان في الفترة

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال: يَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ لَمْ يَأْتِنِي كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ- ثُمَّ تَلَا- ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن

---

[1] البغدادي، **السبعة في القراءات**، 425.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 116/22.

[3] مسألة: القرآن معجز وسائر كتب الله ليست معجزة. كذا في المخطوط.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 391/2.

[5] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 116/22.

[6] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 392/2.

قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً﴾ [طه: 134] وَيَقُولُ الْمَعْتُوهُ رَبِّ لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَعْقِلُ بِهِ خَيْراً وَلَا شَراً وَيَقُولُ الْمَوْلُودُ رَبِّ لَمْ أُدْرِكِ الْعَمَلَ فَتُرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ فَيَقُولُ لَهُمْ رِدُوهَا وَادْخُلُوهَا- قَالَ- فَيَرِدُهَا أَوْ يَدْخُلُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ سَعِيداً لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ وَيُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ شقيا لو أدرك العمل، فيقول الله تبارك وتعالى: إياك عَصَيْتُمْ فَكَيْفَ رُسُلِي لَوْ أَتَتْكُمْ[1]. ذكره القرطبي[2].

قال أهل السنة: الآية تدلُّ على أنَّ الوجوب لا يتحقق إلا بالشرع، إذ لو تحقق قبل الشرع لكان العقاب حاصلاً قبل مجيء الشرع، وهو يخالف الآية،ثم إنَّه تعالى ختم السورة بطرف من الوعيد[3]، فقال: **﴿قُلْ﴾** [طه: 135] له يا محمد **﴿كُلٌّ﴾** [طه: 135] كل واحد منا ومنكم **﴿مُتَرَبِّصٌ﴾** [طه: 135] منتظر للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم **﴿فَتَرَبَّصُوا﴾** [طه: 135] أنتم **﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾** [طه: 135] إذا جاءت القيامة **﴿مَنْ أَصْحَابُ﴾** [طه: 135] مبتدأ وخبر، ومحلهما نصبٌ **﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾** [طه: 135] المستقيم **﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾** [طه: 135] إلى النعيم المقيم وهذا على سبيل الوعيد والزجر[4]. قال الإمام فخر الدين: قل كل متربص أي: منتظر، وهذا الانتظار يحتمل أن يكون قبل الموت، و أنَّ كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه، ويحتمل أنْ يكون بعد الموت، وهو ظهور أمر الثواب والعقاب، فإنه يتميز في الآخرة أمر المحق من المبطل بما يظهر على المحق من أنواع كرامة الله سبحانه، وعلى المبطل من

---

[1] أخرجه ابن الجَعْد البغدادي علي بن عبيد الجَوْهَري، **مسند ابن الجعد**، فضيل بن مرزوق الرؤاسي الأغر، (بيروت: مؤسسة نادر، ط1، 1410هـ)، 300/1، حديث رقم: 2038. ونور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزار**، باب: فيمن لم يبلغه الدعوة وغير ذلك، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1399 هـ)، 34/3، حديث رقم: 2176. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، (المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ)، 127/18، ضعيف.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 265/11.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 117/22.

[4] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 392/2.

أنواع[111/ب] إهانته[1]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ طه، أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»[2]. رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي بن كعب، وحاله معروفٌ، وقال صلى الله عليه وسلم: « لَا يقْرَأ أهل الْجَنَّة من الْقُرْآن إِلَّا طه وَيس» رواه الثعلبي من حديث الحسن مرسلاً[3]. والله أعلم[4].

| الفصل الرابع: مصادر ابن الضياء ومنهجه في (تفسير القرآن العظيم في سورة طه)

المبحث الأول: مصادر المؤلف في تفسيره

يعود أهمية كل مؤلَّف علمي إلى تنوع مصادر، وأهميتها، وإنَّ تفسير ابن الضياء كثرت فيه المصادر المتنوعة، بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي هذا الفصل يبحث في هذه المصادر.

المطلب الأول: مصادر المؤلف في تفسيره

إنَّ المصادر التي يعتمد عليها المفسِّر تعدُّ الأساس الذي يقوم عليها تفسيره، وهي الأصول التي يظهر من خلالها منهج المفسّر الخاصِّ به، لذا كان من الواجب أن نبحث عن مصادر ابن الضياء لإلقاء الضوء عليها، وللتعرف على مدى اعتماده وتأثره بها. ويمكن القول أنّ ابن الضياء قد جمع مادته العلمية في تفسيره من عشرة تفاسير، بعضها كان مصدراً أساسياً لمادته العلمية، وبعضها الآخر كان اعتماده عيها أقلَّ من غيرها، وإنَّ هذه المصادر هي:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 117/22.

[2] الزيلعي، تخريج **الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، 356/2. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1409هـ)، 825/2، موضوع.

[3] أخرجه الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 6 /235. والبغدادي، **فضائل القرآن للقاسم بن سلام، كتاب فضل القرآن ومعالمه وأدبه**، باب: فضائل سورة هود وبني إسرائيل والكهف ومريم وطه، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1415هـ)، 247، ضعيف جداً.

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 117/22.

تفسير القرطبي، والرازي، والكشاف، والنسفي، والكواشي، والسلمي، والبغوي، والبرهان النسفي، والكرماني.

ثمَّ إنَّ تفسير القرطبي، والرازي، والكشاف، والنسفي، والسلمي، والتحرير والتحبير، والبغوي، كانت هي المصادرَ الأساسية لدى ابن الضياء التي استقى منها مادَّته العلمية، وأمَّا تفسير الكواشي والبرهان النسفي، لم يكثر النقل منها، وبالنسبة لتفسير الكرماني، فقد كان أخذه منها قليلاً جداً.

أولاً: مصادره من التفاسير بالمأثور.

لم يلق تفسير ابن الضياء بكتب التفسير بالمأثور وافر الحظ، فهو لم يعتمد على التفاسير بالمأثور كمصادر أساسية أو مباشرة، وإنما كانت مصادر غير مباشرة، بمعنى أنَّه أخذ مادته العلمية من تفاسير حوت على مصادر بالتفسير بالمأثور، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ تفسير ابن الضياء لا يوجد فيه تفسيراً بالمأثور، بل كان مليئاً به، فنجده قد فسَّر القرآن بالقرآن، وفسَّر القرآن بالسنَّة، وفسَّر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وسنعرض الأمثلة على ذلك في مطالب خاصة بها، في غير هذا الموضع من البحث.

ثانياً: مصادره من التفاسير بالرأي

ورد في تفسير ابن الضياء الكثير من المصادر في التفسير بالرأي، سواء التي نقل منها مادته العلمية بشكل مباشر، أو غير مباشر، وفي هذا المطلب يتعرض الباحث لهذه المصادر.

ثالثاً: مصادره الأخرى

استقى ابن الضياء تفسيره من كتب غير كتب التفسير، وهو ما يزيد التفسير أهمية ومكانة، وذلك: لانَّ أيَّ كتاب تنوعت مصادره، وكثرت مراجعه، يدلُّ على علم المؤلف وجدِّيته في وضع كتاب فيه من الفوائد الجمَّة الكثيرة، ومن هذه المصادر:

1. في علوم القرآن

أسئلة القرآن للبازري، بحسب العنوان هو من قسم علوم القرآن، إنَّ هذا الكتاب لم أجده، رغم البحث الطويل، وقد نقل منه ابن الضياء في موضع واحد.

2. في السير والمغازي

أ. **كتاب السير والمغازي، "سيرة ابن إسحاق"**، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني.

ب. **الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي.

3. في البلدان والرحلات

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري.

4. في الآداب

أ. **حياة الحيوان الكبرى**، لأبي البقاء، كمال الدين الشافعي محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري.

ب. **الدواة والقلم**، لأبي عبد الله محمد بن عثمان المدائني. لم أجده، ووجدت أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، في كتابه" صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، نقل عنه العديد من المسائل.

5. في العقيدة

شـــرح العمدة في عقيدة أهل الســـنة والجماعة المســـمى الاعتماد في الاعتقاد، لأبي البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

6. في الوعظ والإرشاد

أ. **زهرة الرياض**، لسليمان بن داوود، وهو مخطوط.

ب. **كتاب قطب الأنهى**: لم أجده مطلقاً ولم أهدى إلى مؤلفه.

رابعاً: مصادره المباشرة وغير المباشرة

إنَّ ابن الضياء استقى مادّته العلمية من طريقين:

1. مصادر مباشرة

وهي تلك المصادر الذي أخذ منها مادته العلمية من غير واسطة، وإنَّ هذه المصادر هي:

أ. تفســـير القرطبي، المســـمَّى "**الجامع لأحكام القرآن**". للإمام: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

ب. تفسير الرازي، المسمَّى "**مفاتيح الغيب**" للإمام: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي.

ت. تفســير الزمخشــري، المســمَّى "**الكشــاف عن حقائق غوامض التنزيل**"، لأبي القاســم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.

ث. تفســير النســفي المســمَّى "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**"، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي.

ج. تفسير السلمي، المسمَّى "**حقائق التفسير**"، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي.

ح. تفسير البغوي، المسمَّى "**معالم التنزيل في تفسير القرآن**"، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.

خ. تفسير ابن النقيب، المسمَّى "**التحرير والتحبير، لأقوال أئمة التفسير، في معاني كلام السميع البصير**"، للعلامة: جمال الدين، أبي عبد الله: محمد بن سليمان، المعروف: بابن النقيب المقدسي، الحنفي.

د. تفسير الكواشي، المسمَّى "**التلخيص في تفسير القرآن العظيم**" لأحمد بن يوسف الكواشي.

ذ. تفسير البرهان النسفي، المسمَّى "**كشف الحقائق وشرح الدقائق في التفسير**"، لأبي الفضائل محمد بن محمد بن محمد المعروف بالبرهان النسفي.

ر. تفسير الكرماني، المسمَّى "**غرائب التفسير وعجائب التأويل**"، لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني.

ز. **أسئلة القرآن** للبازري. لم أجده.

س. **كتاب السير والمغازي، "سيرة ابن إسحاق"**، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني.

ش. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي.

ص. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري.

ض. **حياة الحيوان الكبرى**، لأبي البقاء، كمال الدين الشافعي محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري.

ط. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي.

ظ. الدواة والقلم، لأبي عبد الله محمد بن عثمان المدائني.

ع. شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى" **الاعتماد في الاعتقاد**"، لأبي البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

غ. **زهرة الرياض**، لسليمان بن داوود، وهو مخطوط.

ف. كتاب **قطب الأنهى**: لم أجده مطلقاً ولم أهدى إلى مؤلفه.

2. مصادر غير مباشرة

هي المصادر التي نقل عنها المصدر الذي نقل منه ابن الضياء، فهو لم يأخذ المعلومة منها مباشرة، بل بواسطة مصدر آخر، وإنَّ من هذه المصادر:

أ. **في التفسير**:

- **تفسير ابن فورك**، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، وقد وجدت ما طبع منه: من أول سورة المؤمنون –آخر سورة السجدة.

- **تفسير الغزنوي المسمى: "عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني"**، لم أجده مطبوعاً.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي.
- **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي.
- **تفسير النقاش: المسمَّى "شفاء الصدور"**، لأبي بكر، محمد بن الحسين بن زياد الموصلي، المعروف بالنقاش.
- **تفسير التستري**، التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع.
- **معاني القرآن وإعرابه:** لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي.

ب. في السنن.

- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، **سنن الدارقطني**.
- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، **مسند الدارمي المعروف بـ "سنن الدارمي"**.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**.
- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح**: المسَّمى "**صحيح مسلم**".
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**.
- أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، **مسند البزار**.

ت. في السيرة النبوية وقصص الأنبياء

- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**.
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، **عرائس المجالس**.

ث. في الفقه

استمدَّ ابن الضياء المسائل الفقهية التي وردت في تفسيره من تفسير القرطبي، والإمام القرطبي استمدَّ مادته العلمية من كتب المذهب المالكي، كونه مالكي المذهب، وعليه فإنَّ من الكتب الفقهية الغير مباشرة في كتابنا هذا كالآتي:

- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**، لأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي.
- **الاستذكار**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.

خامساً: في اللغة والنحو

- **الكتاب**، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه.

وقد أخذ منه بشكل مباشر الزمخشري في الكشاف، والقرطبي في تفسيره، وغيرهما، وعنهم أخذ ابن الضياء ما نقلوه عن سيبويه.

- **المقتضب**، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد. وقد أخذ منه الإمام القرطبي الكثير من مسائله في اللغة.

سادساً: في القراءات

- **جامع البيان في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لأبي الفتح عثمان بن جني.

خلاصة المبحث: هذه هي أهم المصادر التي استمدّ ابن الضياء منها مادته العلمية بشكل مباشر، حيث كان يرجع إليها وينقل منها النصوص مباشرة. وكذلك الأقوال من كتب التفاسير التي كان لها حظاً طيباً، والتي وجدت في تفسيره بشكل غير مباشر، وذلك بنقل تلك الأقوال من كتب التفسير التي أخذت منها.

المبحث الثاني: منهج ابن الضياء في تفسيره

إنَّ لكل مفسِّر منهج خاص به يتفرد به عن غيره من المفسرين، وقد يشارك غيره في المنهج الذي ارتضاه لنفسه، لذلك كان لا بدَّ من النظر في تفسير ابن الضياء لاستخراج منهجه في تفسير القران العظيم. وقبل الخوض في منهجيته لا بدَّ من تعريف المنهج.

تعريف المنهج لغة: الطّريق الواضح، مأخوذ من نهج ينهج نهجاً، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ المائدة: 48، أي سبيلاً وسنّة.

اصطلاحاً: هو الطّريق المؤدي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد، التي تهيمن على سبر العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[1].

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن (عند ابن الضياء)

يعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول لتفسير آيات الذكر الحكيم، فإنَّه ما أجمل في موضع يرد مفصَّلاً في موضع آخر، وما جاء مبهماً في آية تراه مبيَّناً في آية أخرى، وقد اعتمد ابن الضياء في تفسيره على القرآن كمصدر رئيسي.

أولاً: الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن من تفسير ابن الضياء

1. قال ابن الضياء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: 25]. اعلم أنه يجيء والمراد منه القلب، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الزمر: 22].

[1] سعيد أحمد بن صغير أحمد هندي، **أثر الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي بالهند (١٨٥٠ م – ١٩٥٠ م) دراسة نقدية**، (المدينة المنورة: أطروحة دكتوراة، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، 1423هـ)، 23/1.

2. قال ابن الضـــياء في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـــى﴾ [طه: 44]. فإن قلت: كيف كان ذلك الكلام الليّن؟ قيل: القول اللين نحو قوله تعالى: ﴿هَل لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 18-19]، لأن ظاهره الاستفهام والمشورةُ، وعرْضُ ما فيه الفوز العظيم.

3. قال ابن الضـــياء في قوله تعالى:﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6]. قال ابن عباس رضـــي الله عنهما أنَّه قال: الأرض على نون، والنون على البحر، وإنَّ طرفي النون رأســه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صــخرة خضــراء خضــرة الســماء منها، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿فَتَكُن فِي صَـخْرَةٍ أَوْ فِي السَّـمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [لقمان: 16]، والصــخرة على قرن، والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى.

خلاصة المبحث: قد اعتمد ابن الضياء في تفسيره على القرآن كمصدر رئيسي، فيشرح الآية بآية أخرى، ويبين مبهم الآية بآية ثانية.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالحديث النبوي (عند ابن الضياء)

كان المفســرون من الســلف الصــالح يلجؤون في تفســيرهم للقرآن الكريم إلى الســنة النبوية، إذا لم يهتدوا إلى تفســير القرآن بالقرآن، فهي الشــارحة والموضــحة والمبينة له، فق ورد في الســنن عن رســول الله صــلى الله عليه وســلم أنَّه قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِـكُ رَجُلٌ شَـبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ

لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[1].

وقد اعتمد ابن الضياء في تفسيره على السنة النبوية في تفسير آيات الذكر الحكيم، وكان يذكر مصدره من كتب السنن أحياناً، وأحياناً أخرى يذكر الحديث من غير ذكر لمصدره مع ذكر راويه، وأحياناً أخرى يذكر الحديث من غير ذكر للمصدر أو الراوي، ومن الأمثلة على ذلك:

1. يذكر مصدره من كتب السنن، ثم يعقبه فيقول: رواه فلان، وذلك في قوله:

أ. في كتاب النسائي عن القاسم بن محمد سمعت عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلاً فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيراً صَالِحاً، [49/أ] إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ». ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تعالى». رواه البخاري رحمه الله.

ب. وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال: «قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي النَّعْلَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ». ورواه النسائي أيضاً.

ت. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ أَنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» وأسند الخطيب أبو بكر عن أبي هريرة قال: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [65/ب] يَسْتَمِعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ وَيُعْجِبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[1] أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، كِتَاب السُّنَّةِ، باب: لزوم السنة، 200/4، حديث رقم: ٤٦٠٤، صحيح.

وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الْحَدِيثَ يُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تكتب الخطبة التي خطب بها في الجمع من الْحَدِيثُ)، اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ -رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ-لَمَّا سَأَلَهُ». أخرجه مسلم.

2. يذكر الحديث من غير ذكر لمصدره مع ذكر راويه، وذلك كالآتي:

ما رواه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم[109/ب] قال: «نَزَلَ ضَيْفٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَالَ قُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ: نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ وَلَمْ يُلْفَ عِنْدَنَا بَعْضُ الَّذِي يُصْلِحُهُ، فَبِعْنِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الدَّقِيقِ، أَوْ أَسْلِفْنِي إِلَى هِلَالِ رَجَبٍ فَقَالَ: لَا، إِلَّا بِرَهْنٍ: قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ:" وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ وَلَوْ أَسْلَفَنِي أَوْ بَاعَنِي لَأَدَّيْتُ إِلَيْهِ اذْهَبْ بِدِرْعِي إِلَيْهِ" وَنَزَلَتِ الْآيَةُ تَعْزِيَةً لَهُ عَنِ الدُّنْيَا».

3. يذكر الحديث من غير ذكر لمصدره أو من أخرجه، وذلك كالآتي:

أ. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11]. قال سعيد بن جبير: هي النار بعينها، وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

ب. قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: 25]. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر، فقال: نور يُقذف في القلب، قيل: وما أمارته؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل النزول.

4. يذكر الحديث مع مصـــدره وراويه، مبيّناً حكم الحديث، ومثاله: قال القرطبي: وقيل كل نطفة مخلوقة من التراب، على هذا يدل ظاهر القرآن، وروى أبو هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ». أخرجه أبو نعيم الحافظ في كتاب ابن سيرين وقال: هذا حديث غريب.

خلاصة المبحث: اعتمد ابن الضياء في تفسيره على السنة النبوية، وكان يذكر مصدره من كتب السـنن أحياناً، وأحياناً أخرى يذكر الحديث من غير ذكر لمصـدره مع ذكر راويه، وأحياناً أخرى يذكر الحديث من غير ذكر للمصدر أو الراوي.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين (عند ابن الضياء)

إنَّ أعلم الناس بالقرآن الكريم بعد النبي صـلى الله عليه وسـلم هم الصـحابة رضـوان الله عليهم، فإنهم من شاهدو التنزيل، وعاصروا أحواله، وهم من سمع منه صلى الله عليه وسلم الوحي المنزل عليه، وهم أهل اللغة والفصـاحة، ثمَّ كان أعلم الناس بالتفسـير بعد الصـحابة هم التابعون، فمنهم أخذوا علمهم، وبهم اقتدوا، وهم أفضل القرون بعد قرن الصحابة.

أولاً: أمثلة لتفسير القرآن بقول الصحابي (عند ابن الضياء).

وقد اعتمد ابن الضياء في تفسيره على أقوال الصحابة، فيأتي بأقوالهم والآثار التي وردت عنهم، مفسراً بها للآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

1. **قوله تعالى:** ﴿طه﴾ [طه: 1]. قال ابن عباس: معناه يا رجل.

2. **قوله تعالى:** ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّ لِّي وَعَدُوّ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّة مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: 39]. قال ابن عباس: يريد أن ذلك بعيني حيث جُعلتَ في التابوت، وحيث ألقي التابوت في البحر وحيث التقطتك جواري امرأة فرعون، فأرادوا أن يفتحوا التابوت لينظرْن ما فيه فقالت واحدة منهن: لا تفتحنه حتى تأتين به سيّدتكم، فهو أحظى لكُنَّ عندها، وأجدر بألا تتّهِمَكُنَّ أنكن وجدتن فيه شيئاً فأخذتموه لأنفسكم، وكانت امرأة فرعون لا تشرب من الماء إلا ما استقته أولئك الجواري فذهبوا بالتابوت إليها مغلقاً فلما فتحته رأتْ فيه صبياً لم ير مثله قط، وألقي عليها محبتُه فأخذته فدخلت به على فرعون، فقالت له: قرةُ عين لي ولك، فقال لها فرعون: أما لك فنعمْ، وأمّا لي فلا، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن فرعون قال: نعم، هو قرة عين لي ولك لآمن وصدّق فقالت: هَبْهُ لي، ولا تقتله، فوهبه لها».

3. **قوله تعالى:** ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40]. قال ابن عباس: ﴿وَفَتَنَّاكَ﴾ أي: اختبرناك بأشياء قبل الرسالة، أولها حملته أمه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم، ثم منْعُه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرُّه بلحية فرعون، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون، ثم قتله القبطي وخروجه خائفاً يترقب، ثم رعاية الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق، فيقال: إنَّه ندَّ له من الغنم جَدْيٌ فاتّبعه أكثر النهار فأتعبه ثم أخذه فقبّله وضمّه إلى صدْره وقال له: أتعبتني وأتعبت نفسك، ولم يغضب عليه.

ثانياً: أمثلة لتفسير القرآن بقول التابعي (عند ابن الضياء).

1. **قوله تعالى:** ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 33]. قال جعفر: قيل لموسى عليه السلام: استكثرت تسبيحك وتكبيرك ونسيت بدايات فضلنا عليك في اليم، وردَّك إلى أمك وتربيتك في حِجر عدوك، وأكثر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا إياك، وأكثر منه إخبارنا باصطناعنا لك.

2. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾ [طه: 40]. على قدر: أي: موعد مُقَدَّرٍ في علمي أنك تجيء وأستنبئك فيه، وكان مجيئه على رأس أربعين سنة، قال [56/أ] ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان: يريد موافقاً للنبوة والرسالة لأن الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة، المعنى: جئت في الوقت الذي أردنا إرسالك فيه.

خلاصة المبحث: اعتمد ابن الضياء في تفسيره على أقوال الصحابة والتابعين، فيأتي بأقوالهم والآثار التي وردت عنهم، مفسراً بها للآيات، وقد كان يستشهد بها كثيراً في تفسيره.

المطلب الرابع: موقفه من التفسير الإشاري

لا يقصد بالتفسير الإشاري إحالة طواهر النصوص عن ظاهرها، بل ظاهر الآية مفهوم من الآية وما دلت عليه في عرف اللسان، ويضاف إلى ذلك: أفهام باطنة لمن فتح الله قلبه، مستدلين بحديث: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ»[1]. فهم يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم.

[1] أخرجه البزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار** ، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، 441/5، رقم الحديث: 2081. أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها**، النوع السابع والعشرون، ذكر العلة التي من أجلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه"، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1433هـ)، 120/2، رقم الحديث: ١٠٢٨. ضعيف.

قال الزركشي:" كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار} إن المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه"[1].

أولاً: تعريف التفسير الإشاري لغة واصطلاحاً

1. التفسير الإشاري لغة: الإشارة هي صفة للتفسير، من الإشارة وهي الإيماء[2]

2. التفسير الإشاري اصطلاحاً: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا[3].

ثانياً: موقفه من التفسير الإشاري

ورد في تفسير الضياء العديد من تفاسير الصوفية، التي نقل منها أقولاً متعددة، كتفسير التستري، وحقائق التفسير للسلمي. وكان ابن الضياء يقبل تفاسير الصوفية في كثير من الأحيان، فنجد في تفسيره العديد من أقوال الصوفية، مستشهداً بهم، وبأقوالهم. ومن هذه النصوص:

1. وقال محمد بن عيسى الهاشمي: أي: طَوَى عن سرِّ محمد الأكوانَ كلها، وهدي إلى الاشتغال بمُكَوِّنها.

2. قال الجنيد في قوله: ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ فقال له: ألق كلما يعتمد عليه قلبك أو تسكن إليه نفسك فإن الكل محل العلل، وإن كل ما تسكن إليه سَتَهْرُب منه عن قليل ألا تراه.

---

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 170/2. الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 78/2.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، 190/1.

[3] الذهبي، **التفسير والمفسرون**، 261/2. الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 78/2.

3. ومن الأدلة التي تبين قبوله لهذه التفاسير أيضاً: قال الجنيد في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا موسى فقال: انفرد الحق بعلم الغيوب، فللخلق من الأشياء ظواهرها وله الحقائق منها، وكان عند موسى أنها عصى فقط، فذكر كلما يَعْرِف من علمها، فأراه الله فيها من العلم ما انفرد به وجعلها حية، والحكمة فيه أنَّه لو لم ير ما فيها من الآيات لراعه في وقت الانقلاب، فأراه ذلك لئلا يفزع ولا يَجزع.

4. وقال سهْلٌ: أظهر الله عليه ميراث عملِه، فأورثه محبة في قلوب عباده[1]. وقال بعضهم: ألقيتُ عليك محبة مني غُنْجٌ بعينيك لا يراك أحدٌ إلا رقَّ لك، ومال إليك؟

5. في قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث في الحقيقة إلى السحرة، فإن الله لا يرسل أنبياءه إلى أعدائه، ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يُرسِل إليهم أنبياءه، ولكن يبعث الأنبياء ليُخرج أولياءه المؤمنين من بين أعدائه الكفرة.

والذي يظهر أنَّ ابن الضياء كان ينقل عن الصوفية أقوالهم إذا لم تخالف الشرع.

خلاصة المبحث: كان ابن الضياء ينقل أقول الصوفية من تفاسيرهم، كتفسير التستري، وحقائق التفسير للسلمي، وكان ابن الضياء يقبل تفاسير الصوفية إذا لم تخالف الشرع.

1 التُستري ، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع ، **تفسير التستري**، (بيروت: ، دار الكتب العلمية، ط1، 1423 هـ)، 102/1.

المطلب الخامس: منهجه في ذكر الإسرائيليات.

تضمنّت بعض المصادر التفسير، روايات تتعلق بتاريخ الأنبياء، والأمم الغابرة، وبعض الاعتقادات الدينيّة التي لا تمسُّ الإسلام بصلة. ومصدر دخول أغلب هذه الروايات إلى الإسلام هو علماء أهل الكتاب لا سيَّما اليهود منهم. وهذه المرويَّات هي التي يُطلق عليها في الاصطلاح (الإسرائيليّات).

أولاً: تعريف المنهج والإسرائيليات لغة واصطلاحاً

تعريف الإسرائيليات

لغةً: من الفعل سَرَلَ، ومنه، إسرائيل وإسرائين، والإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إسرائيل، وهو يعقوب النبي، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل[1].

اصطلاحاً[2]: لم يرد تعريفاً للإسرائيليات عن المتقدمين، وإنما تحدث عنه العلماء المحدثين والمعاصرين، وتباينت الآراء حول تعريفه، وبيان معناه، فمنهم من عرَّفه:

أ. هي تلك الروايات التي وردت عن بني إسرائيل خاصة. فهو بذلك يخص الروايات التي فيها الصبغة اليهودية، أو الطابع اليهودي فقط.

ب. هي تلك الروايات والأخبار اليهودية والنصرانية التي دخلت في المحتوى الإسلامي.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، فصل القاف، 235/1. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (بيروت: إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، 110/1.

[2] رمزي نعناعة، **الإسرايليات وأثرها في كتب التفسير**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1390هـ)، 73.محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، (القاهرة: مكتبة السنة، ط4، 1408هـ)، 12.

والذي يميل إليه الباحث: هي كل ما كان دخيلاً على التفسير من المصادر الإسلامية، ولم يكن منها، لأنَّه يوجد أكاذيب وتحريف وقصص مدسوسة أغلبها منقولة عن بني إسرائيل، وبعضها لم ينقل عنهم، وإنما دُسَّ من غيرهم، وأطلقت كلمة إسرائيليات على كل دخيل لأن غالب الدخيل هو من بني إسرائيل.

ثانياً: منهج ابن الضياء في ذكر الإسرائيليات

لم يخل تفسير ابن الضياء من الإسرائيليات، بل حوى الكثير منها، فقد كان ينقل النصوص من مصادرها من غير تعقيب أو تعليق، وعند نقله لها يوردها بعدد من الطرق:

1. يذكر الخبر ويصرّح أنه من الإسرائيليات من غير أن يتعقبه، فيقول: "وفي الإسرائيليات: أن موسى عليه السلام قام على باب فرعون سنة لا يجد رسولاً يبلّغ كلامه حتى خرج فجرى له ما قصّ الله علينا من ذلك، وكان تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرتهم مع الظالمين، وربّك أعلم بالمهتدين".
2. يذكر الخبر مبيّناً أنَّه لم يصحَّ منه شيء، ثمَّ يسرد الخبر، وذلك في قوله: "وروى عن كعب الأحبار قال: إنَّ إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون كلها، ووصل إلى قلبه فقال: هل ترى ما على ظهرك الدنيا بما فيها من الأبحر والشجر والدواب والناس والجبال لو ألقيتهم عن ظهرك كلهم، فإن فيهم قوماً تفعل كذا، فبعث الله دابة فدخلت في منخره حتى دخلت دماغه فعَجَّ إلى الله منها فخرجت[1]، قال: وكان كعب [8/أ] يقول: والذي نفسي بيده إنَّه لينظر إليها

[1] ابن أبي الدنيا، **العقوبات**، 207، برقم: 324. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (بيروت: دار الكتب العلمية ط ١٤٠٩هـ)، 8/6.

بين يديه وتنظر إليه إن هَمَّ بشـيء من ذلك عادت حيث كانت[1]. وقال صـاحب التحرير: وإنما ذكرتُ هذه الأقوال لئلا يعتقد صحتها ويعوّل عليها".

3. يذكر الخبر بصـيغة تضـعيف، كيقال وروي، وذلك في قوله: "ويقال: إن السـامري سمع كلام موسـى عليه السـلام حيث عمل تمثالين من شمع: أحدهما: ثورٌ والآخر فرسٌ فألقاهما في النيل طلب قبر يوسـف، وكان في تابوت من حجر في النيل، فأتى به الثور على قرنه، فتكلم السـامري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى، وألقى القبضة في جوف العجل".

ومن الغرابة بمكان، أنَّ ابن الضياء–وهو العالم الفقيه والمفسر–كان ينقل الأخبار، ويذكرها في تفسيره، فقد كان يمرُّ عليها دون أن يتعقبها، أو يذكر لحالها، وليته فعل وكشف ما فيها من خرافات أو فساد، أو ليته صان كتابه عنها ولم يذكرها في تفسيره.

خلاصة المبحث: حوى تفسير ابن الضياء على العديد من الإسرائيليات، فقد كان ينقل النصوص من مصادرها من غير تعقيب أو تعليق، وكان يذكرها: باسمها الصريح أحياناً، أو يذكر الخبر مبيّناً أنَّه لم يصحَّ منه شيء، أو يذكره بصيغة تضعيف.

المطلب السادس: منهجه في عرض القراءات

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وتكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. ومن وسائل حفظ القرآن الكريم تصديقاً للآية الكريمة، العناية التامَّة والاهتمام الكبير من قبل العلماء بعلم القراءات، ومعرفة المتواتر والشاذ منها، وتدوين ذلك وتسطيره في كتب عظيمة

[1] أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 8/6.

الفائدة في هذا الباب، لعلماء كان جُلُّ همهم خدمةَ كتاب الله تعالى[1]. وقبل الدخول في التعريفات لا بدَّ من ذكر المصطلحات التي وردت للقراء، في تفسير ابن الضياء.

1. مدني: نافع براوييه قالون وورش.
2. مكي: ابن كثير براوييه البزي وقنبل.
3. بصري: أبو عمرو براوييه الدوري والسوسي.
4. شامي: ابن عامر براوييه هشام وذكوان.
5. كوفي: عاصم براوييه شعبة وحفص، وحمزة براوييه خلف وخلاد، والكسائي براوييه أبي الحارث وحفص الدوري.

أولاً: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً

1. القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر سماعي ل(قرأ)، يقال: قرأ فلان، يقرأ قراءة[2].
2. القراءات اصـــطلاحاً: عرَّف ابن الجزري علم القراءات فقال: "هو علم يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزُواً إلى ناقله"[3].

وعرَّف الزركشي القراءات، فقال: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"[4].

---

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 339/1.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، فصل العين، 128/1. الفيروزآبادى، القاموس المحيط، باب الدال، فصل العين، 300.

[3] محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ)، 9.

[4] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 318/1.

ثانياً: منهجه في عرض القراءات في سورة طه

يعرض ابن الضـياء القراءات بعدَّة طرق: فأحياناً يذكر اسـم القارئ، وأحياناً يكتفي بذكر البلد التي ينتسب إليها القارئ، وأحياناً يترك القراءة من غير ذكر شيءٍ مما ذكر، ويستخدم لفظ "قرئ".

1. التصريح باسم القارئ في القراءات، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: 62] يعني موسـى وهارون. قال ابن الضـياء: "قرأ أبو عمرو: إن هذين لسـاحران، وهو ظاهر، ولكنه مخالف لخط مصـحف الإمام. وابن كثير وحفصٌ والخليل-وهو أعرف بالنحو واللغة-: إنْ هذان لسـاحران بتخفيف إن، مثل قولك: إنْ زيدٌ لمنطلق، واللام هي الفارقة بين "إن" النافية والمخففة من الثقيلة".

2. التصـريح بذكر البلد التي ينتسـب إليها القارئ، ولا يذكر اسمه، وهو الغالب في تفسـيره، وفي مواضع أخرى يقول: غيرهم، ومنه:

أ. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ [طه: 132] مدني وبصـري وحفص. والباقون "أولم يأتهم" بالياء لأنَّ البيِّنة في معنى البرهان.

ب. قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ [طه: 12] حيث كان منونٌ شـامي وكوفي؛ لأنَّه اسـم علم للوادي، وهو بدل، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة، وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين.

ت. قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ﴾ [طه: 71] بغير مد حفص، وبهمزة ممدودة بصـريٌ وشـامي وحجازيٌ، وبهمزتين غيرهم.

ث. يترك القراءة من غير ذكر شيءٍ مما ذكر، ويستخدم لفظ "قرئ"، ومثاله:

- قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ [طه: 96] القبضة: المرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، وقرئ: فقبصتُ قبصةً، فالضادُ الأخذ بجميع الكف، والصاد بأطراف الأصابع، ونحوهما الخَضْمُ، والقَضْمُ الخاء بجميع الفم، والقاف بمقدّمه.
- ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: 96] أي: من أثر فرس الرسول، وقرئ بها. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً﴾ [طه: 115] وقُرئ: فنُسّي أي نسّاه الشيطان.

وأما بالنسبة للقراءة الشاذة: فنلاحظ أنَّ ابن الضياء يذكر القراءة الشاذة بطريقتين:

- يذكرها دون الإشارة إليها أو التصريح بشذوذها، وقد يأتي بها لفائدة، كالاستدلال على المعنى، ومثاله فيقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ [طه: 102].

يقول ابن الضياء: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ [طه: 102] بدل من يوم القيامة. نَنفخ بالنون أبو عمرو﴿ فِي الصُّورِ﴾ القَرن، أو هو جمع صورةٍ أي: ينفخ الأرواح فيها. دليله قراءة قتادة في الصوَر بفتح الواو جمع صورةٍ.

- يعبر ابن الضياء في بعض الأحيان عن القراءة الشاذة بصيغة المبني للمجهول(قرئ)، وهي في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [طه: 80]. قال ابن الضياء: والأيمنَ نصبٌ؛ لأنَّه صفة جانبَ، وقرئ بالجر على الجوار.

ثمَّ نجد ابن الضياء يستخدم للاحتجاج للقراءات العديد من أنواع العلل، كالاستشهاد بالشعر، والتوجيه بلغات العرب، ويعتمد للترجيح، على القواعد والأقيسة العربية، وأذكر مثالاً لما ذكرت في قوله تعالى:

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: 62] يعني موسى وهارون. قرأ أبو عمرو: إن هذين لساحران، وهو ظاهر، ولكنه مخالف لخط مصحف الإمام، وابن كثير وحفصٌ والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة: إنْ هذان لساحران بتخفيف إنْ مثل قولك إنْ زيدٌ لمنطلق، واللام هي الفارقة بين "إن" النافية والمخففة من الثقيلة، وقيل: هي بمعنى "ما"، واللام بمعنى "إلا" أي: ما هذان إلا ساحران، دليله قراءة أبيّ: إنْ ذان إلا ساحران، وقرأ الباقون: إنَّ هذان لساحران. قيل: هي لغة بلْحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة، والتثنية في لغتهم بالألف أبداً فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسُعدَى، قال :

إِنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا في المجْدِ غَايَتَهَا

فنجده قد استشهد بالشعر العربي للاحتجاج للقراءة، وتعرض للهجات العربية في توجيه القراءة عند قوله: هي لغة بلْحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة، ورجّح قراءة الجمهور معتمداً في ذلك على القواعد العربية، وأنها قراءة الخليل، وهو العالم بالنحو والعربية.

خلاصة المبحث: يصرح ابن الضياء باسم القارئ، وأحياناً أخرى يذكر البلد التي ينتسب إليها القارئ، وأحياناً يترك القراءة مجهولة النسب((قرئ)، وأما بالنسبة للقراءة الشاذة: يذكرها دون الإشارة إليها أو التصريح بشذوذها، وقد يأتي بها لفائدة، كالاستدلال على المعنى، ونجده يستخدم العديد من أنواع العلل، للاحتجاج للقراءات.

المطلب السابع: منهجه في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق

إنَّ المتأمل في القرآن الكريم والباحث فيه عن أسراره وفوائده، يدرك مدى العناية والاهتمام الرباني بقضايا العقيدة، فهو يوجه إلى العقيدة السليمة، ويسوق الأدلة والبراهين العقلية والكونية وغيرها، ويقيم الحجة على المعرضين والمخالفين والملحدين، وقد اعتنى المفسرين بهذا الجاني، واهتمُّوا به اهتماماً بالغاً، لنصرة الدِّين، والردِّ على أهل الزيغ والضلال الفاسدين.

أولاً: تعريف مسائل العقيدة لغة واصطلاحاً

1. المسائل لغة: جمع مسألة، وهي مصدر: سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤالا ومَسأَلَةً[1].

- اصـــطلاحاً: وهي المطالب التي برهن عليها في العلم إن كانت كســـبية ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها[2].

2. العقيدة لغة: مأخوذة من العقد والرَّبط والشّدِّ بقوة، والعقد: نقيض الحْل، عقدتُه أعقِدُه عَقداً وعقَّدته فانعقد وتعقَّد، قال في المصـــباح المنير: واعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضـــمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به[3].

- اصـطلاحاً: هو العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنســان أن يعتقده، ويؤمن به، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين[4].

ثانياً: منهجه في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق

---

[1] الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، 5/ 1723.

[2] القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ)، 181/3.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، فصل القاف، 296/3. الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، عقد، 421/2.

[4] مصطفى الخن، **مبادئ العقيدة الإسلامية**، (دمشق، جامعة دمشق، ط9، 1416هـ)، 17.

فيما يظهر من تفسير ابن الضياء، أنَّ مذهبه هو مذهب أهل السنة والجماعة، فقد تعرض ابن الضياء في تفسيره إلى بعض القضايا العقدية، في العديد من المواضع، وقد كان يورد رأي أهل السنة والجماعة وغيرهم، من خلال الآيات التي تتصل بالعقيدة، ثمَّ يؤيد مذهبهم بالبرهان والدليل، في بعض الأحيان كان يورد الأقوال لأهل السنة والجماعة ولغيرهم، من غير تفصيل أو تعقب، وفي بعض الأحيان كان يذكر قول أهل السنة والجماعة فحسب، وقد يعرض أحياناً مذهب الماتوريدية، ويذكر أقوال بعض الفرق الضالَّة، أمثال المشبهة والكرامية، ويأتي بالدليل مناصراً، وقد يذكر مذهب السلف والخلف وبعض الفرق الضالة، ثمَّ يوجه المسألة، ومن الأمثلة على ذلك:

1. يأتي برأي أهل السنة والجماعة وغيرهم، ثمَّ يؤيد مذهبهم بالبرهان والدليل:

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12]. قال الأشعري: إنَّه تعالى أسمعه الكلام القديم الذي ليس بحرف ولا صوت، وأمَّا المعتزلة فإنهم أنكروا وجود ذلك الكلام، وقالوا: إنَّه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الأجسام كالشجرة أو غيرها، وأمَّا أهل السنة من أهل ما وراء النهر فقد أثبتوا الكلام القديم إلا أنهم زعموا أن الذي سمعه موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة، واحتجوا بالآية: على أن المسموع هو الصوت المُحْدَث، قالوا: إن الله تعالى رتَّب النداء على أنه أتى النار، والمرتَّبُ على المحدث محدث، فالنداء محدث. واختلفوا في أنَّ موسى عليه السلام كيف عرف أن المنادي هو الله تعالى فقال أهل السنة: يجوز أن يخلق الله له علماً ضرورياً بذلك، ويجوز أن يعرفه بالمعجزة. فهنا يعرض الأقوال، ثم يذكر دليل أهل سنَّة ما وراء النهر، ويذكر دليلهم، ويفصِّل أقوالهم، وخلافهم الفرعي في المسألة.

2. كان يورد الأقوال لأهل السنة والجماعة ولغيرهم، من غير تفصيل أو تعقب، وهذا ظاهر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 79]. يقول ابن الضياء: "الخامس: إن الذي روي من أن موسى كلم البحر فقال له: انفرق لي لأعبُرَ عليك، فقال البحر: لا، فإنه يمُرّ عليّ رجلٌ عاصٍ فهو غير ممتنع عند أهل السنة، وعند المعتزلة ذلك على لسان الحال لا على لسان المقال".

فنجده هنا يسرد قول أهل السنَّة، وقول المعتزلة، من غير أن يشرح أو يتعقب، أو يأتي بالدليل.

3. كان يذكر قول أهل السنة والجماعة فحسب، يقول ابن الضياء: "في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ يدلُّ على فساد التأخر، لأنَّه لو صحَّ لما بقي لفاء التعقيب فائدة، والقاضي نفى هذا الاعتراض على مذهبه في أنَّ الإرهاص غير جائز عند أهل السنة، وأمَّا فاء التعقيب فالتخلل بين المجيء والنداء بالزمان القليل لا يقدح فهنا يورد قولهم فحسب، ولم يذكر غيرهم من الفرق".

والسبب في ذلك أن ابن الضياء كان ناقلاً لهذه المسائل من كتب التفسير، وكان نقله لهذه الأقوال من تفسير البرهان النسفي، ومفاتيح الغيب للرازي، فإنه لم يظهر فيها مكانته العلمية، فقد كان دوره فيها نقل لهذه الأقوال فقط.

4. كان يعرض أحياناً مذهب الماتوريدية، ويذكر أقوال بعض الفرق الضالَّة، أمثال المشبهة والكرامية، ويأتي بالدليل مناصراً، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] قال: "إنَّه تعالى ليس بمتمكن في مكان، وعند المشبهة والكرامية، متمكن على العرش، دليلنا: أنَّ التعري عن المكان ثابت في الأزل لعدم قدم المكان فلو تمكن بعد خلق المكان لتغير ولحدثت فيه

مماســة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث، وذا مســتحيل على القديم، وأمَّا قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] فالنص محتمل إذا الاستواء [6/أ] يذكر للتمام كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: 14] أي: تم، والاستواء كما يقال: استوى الملك على البلد أي: اســتولى، والاســتقرار كما قال تعالى: ﴿وَاسْــتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[هود: 44] أي: اســتقرت، ويقال: اســتوى على ظهر دابته أي: اســتقر، فلا يكون حجة مع الاحتمال؛ لأنَّ المحتمـل لا يكون حجـة في المظنونات فكيف يكون حجـة في الاعتقـادات، مع أنَّ الترجيح للاستيلاء لأنَّه تعالى تمدَّح به، والاستواء للمدح فيما بينَّا يفهم منه الاستيلاء كقول الشـاعر في بشر بن مروان: قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ ... مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقٍ ".

فهنا نقل قول: الإمام النسـفي من كتابه الاعتقاد حرفياً، من غير تصـرف أو تعقب، ولما ذكر في المسـألة الدليل، فالمقصود فيها دليل الماتوريدية.

5. يذكر مذهب السـلف والخلف وبعض الفرق الضـالة، ثمَّ يوجه المسـألة، ففي تفسـير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡـتَوَىٰ﴾ [طه: 5]. قال: "وقد تمســكت المجســمة بظواهر النصــوص والأخبار، ومذهب الســلف أن نصــدقها ونفوض تأويلها إلى الله تعالى مع التنويه عن التشــبيه، والخلف أن نؤولها بما يليق به تعالى ولا نقطع بأنه مراد الله تعالى، والأول أسلم، والثاني أحكم".

خلاصـة المبحث: تعرض ابن الضـياء في تفسـيره إلى بعض القضـايا العقدية، في العديد من المواضـع، وقد كان يورد رأي أهل السنة والجماعة وغيرهم، من خلال الآيات التي تتصل بالعقيدة، مع بالبرهان والدليل، وكان يذكر الأقوال لأهل السنة والجماعة ولغيرهم، من غير تفصيل أو تعقب.

المطلب الثامن: منهجه في المسائل الفقهية

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، وجعله تبيانا لكلِّ شيء، ففيه الحلال والحرام، والمعاملات، والعبادات، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب[1]. لذلك لا بدَّ من بيان لمنهجية ابن الضياء في الأحكام الفقهية في تفسيره.

أولاً: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً

الفقه لغةً: الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم، يقال: فلان يفقه الخير والشر، ويفقه كلام فلان، أي: يفهمه ويعلمه[2].

الفقه اصطلاحاً: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية[3].

ثانياً: منهجه في المسائل الفقهية

اعتمد ابن الضياء في تفسيره على المذاهب الأربعة في ذكر الأحكام الفقهية، فنجده ينقل أقوال الأئمة الأربعة في ذكر المسألة، دون بيان وجه الاستدلال في تفسيره، ومن دون ترجيح بينها، أو تعصب لأحد الأقوال، أضف إلى ذلك أنَّه نقل بعض المسائل بحرفيها من دون تعقب لها، مثال ذلك:

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 17/ 278

[2] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ)، فصل الفاء، 1250.

[3] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، **منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1428هـ)، 30.

"وروي عن جبير بن مطعم أنَّه قال: وَضْـــعُ الرجل نعليه بين قدميه بدعة، قال القرطبي: فإنْ تحقق فيهما نجاسة مجمع على تنجسها كالدم والعذرة من بول بني آدم لم يُطهرها إلا الماء عند مالك والشافعي وأكثر العلماء، وإن كانت النجاسة مختلفاً فيها، كبول الدواب وأرواثها الرطبة، فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف أم لا؟ قولان عندنا، وقال أبو حنيفة رحمه الله: يزيله الحك والفرك، والرطب لا يزيله إلا الغَسل، ما عدا البول فلا يجزئ فيه عنده إلا الغَسلُ، وقال الشافعي: لا يطهر شيء من ذلك كله إلا بالماء. فنجده في هذه المسألة أنَّه نقلها من تفسير القرطبي، وإذا رجعنا إلى قوله: (قولان عندنا)، لا يقصد فيها بمذهبه الحنفي، بل هي عبارة القرطبي، والمقصود فيها مذهب المالكية". وعندما نراه أنَّه لا يتوسع في المسألة، فلعلَّه يريد من ذلك لمن يأتي بعده، ويريد التوسع فيها، أن يرجع إلى كتب الفقه التي تختصُّ في هذه المسائل، فتكون مبسوطة فيها بشكل أوسع.

خلاصة المبحث: نقل ابن الضياء أقوال الأئمة الأربعة في المسألة، دون بيان وجه الاستدلال في تفسيره، ومن دون ترجيح بينها، ومن غير تعصب لمذهب ما، وكان قد نقل مسائله الفقهية من مصادره من غير تصرف.

المطلب التاسع: عنايته في المسائل اللغوية

إنَّ القرآن الكريم كلام الله المنزل على نبيه محمد، أنزله سبحانه كتاباً معجزاً خالداً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. اختار الله تعالى خاتم النبيين عربياً، وكان كتابه بلسان قومه، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 4]. وبيَّن الله تعالى بأنَّ هذا القرآن عربياً، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [طه: 113]. ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا يمكن العدول عن اللغة العربية إلى غيرها من اللغات،

إذا أريد تفســـير كلام الله الذي نزل بها؛ لأن معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا من اللغة العربية، قال ابن فارس: "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورســول الله صــلى الله عليه وســلم عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا"[1].

وقد شــدَّد الســلف الصــالح على من تجرَّأ وتصــدَّى لتفســير كتاب الله تعالى، دون علمه باللغة العربية وعلومها، فقال مجاهد رحمه الله: لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخــر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[2]، وقال مالك بن أنس: لا أُوتَى برجل يفسِّر كتابَ الله غيرَ عالِمٍ بلغة العرب، إلا جعلتُه نكالاً[3]. ومن ضروب اللغة أشعار العرب، فهي خير ما يستعان بها في تفسير الغريب، ولها أهميَّة جليلة في تفســـير القرآن الكريم، وبيان معانيه، فهي ديوان العرب، وفيها الحكم والأمثال الســـائرة، قال ابن عباس رضــي الله عنه: إذا خفي عليكم شــيء من القرآن فابتغوه في الشــعر فإنه ديوان العرب[4].وورد عن ســيدنا عمر رضي الله عنه أنّه قال: أيها الناس! تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم[5].

وكان ابن الضياء رحمه الله قد اعتنى بهذا الجانب اعتناءً كبيراً، فجاء تفسيره شاملاً للمعاني اللغوية في أغلب الآيات، واشــتقاقاتها وأصــولها، وبيان الوجوه الإعرابية فيها، وأمَّا الشــعر في تفســير، فقد كان يســتشــهد

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي**، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم وتاريخ طبعة)، 50.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 292/1.

[3] المصدر نفسه.

[4] الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب النفسير، تفسير سورة ن والقلم، 542/2، حديث رقم: ٣٨٤٥.

[5] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، **الموافقات**، (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ)، 140/2.

بالأشعار عند ذكر الآيات من تفسير لكلمة، أو بيان لمعنى، أو توجيه لقراءة، أو بيان لأصل كلمة، فكان عمله في تفسيره من خلال هذه النواحي كالآتي:

أولاً: العناية ببيان مفردات ألفاظ القرآن: لقد اعتنى ابن الضياء في بيان معان ألفاظ القرآن الكريم، وكلماته التي تحتاج إلى بيان، وكان هذا العمل منه ضمن خطوات، وهي كالآتي:

1. توضيح معنى الكلمة في المعنى اللغوي:

أ. "قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [طه: 10] أقيموا في مكانكم، ولم يقل: أقيموا؛ لأن الإقامة تقتضي المبيت، والمكثُ يطلع على القليل والكثير". فهنا ابن الضياء يوضِّح معنى المكث بالتفريق بين المكث والإقامة.

ب. "قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [طه: 116] قيل: هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل. وقيل: كان آدم كالقِبْلَةِ لضرب تعظيم له فيه". وهنا يبيِّنُ معنى السجود بأنه ليس المقصود فيه سجود عبادة، بل سجود الخضوع والتذلل، أو كالسلام والمصافحة، من خلال المعنى اللغوي التي ترد في معنى السجود.

2. بيان معنى الكلمة في اللغة، وأصلها، واشتقاقها: "قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ [طه: 21] سنردُّها﴿ سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: 21] تأنيث الأول، والسيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة، وهي في الأصل فِعْلة من السَّيْر كالرِّكْبة من الركوب، ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة، وانتصبَتْ على الظرْف أي: سنعيدها في طريقها الأولى، أي: في حال ما كانت عصاً، والمعنى: نردُّها عصاً كما كانت".

3. بيان معنى الكلمة في اللغة، وأصلها، وينص على القبيلة التي هي من لغتها، مثاله:

أ. ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ [طه: 38] ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ﴾ [طه: 38] وأَنْ: مفسِّـــرة لأن الوحي بمعنى القول، والتابوت صندوق من خشب يُتَّخَذ للميت، وهو بلغة قريش تابوت، وبلغة غيرهم تابوه.

ب. ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ [طه: 61] لا تدعوا آياته ومعجزاته ســحراً ﴿فَيُسْــحِتَكُمْ﴾ [طه: 61] كوفي غير أبي بكر يُهلككم، وغيرهم بفتح الياء والحاء. والسَّـــحت والإســـحات بمعنى الإعدام، وانتصب على جواب النهي. قال الزمخشري: والسحت لغة أهل الحجاز، والإسحات لغة أهل نجد، وبني تميم.

ثانياً: بيان معنى الكلمات التي وردت في الآيات، والوجوه الإعرابية فيها، ومثاله:

1. قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلاً﴾ [طه: 4] بدل من تذكرة إذا جعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له، لأنَّ الشيء لا يُعَلَّلُ بنفسه، ويجوز أن ينتصِب بِنُزِّل مضمراً، وأن يُنصَب على المدح، وأن يُنصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسنٌ وإعرابٌ بيّن ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: 4] من يتعلق بـ (تَنْزِيلاً) صلة له".

2. ﴿إِذْ رَأَى ناراً﴾ [طه: 10] يجوز أن ينتصب (إذ) ظرفاً لـ (حديث) لأنَّه حَدَثٌ أو بمضمرٍ أي: حين رأى ناراً كان كيت وكيت، أو مفعولاً لـ (اذْكُر).

ثالثاً: وأمَّا منهجه في الشعر فإنَّه:

1. يذكر معنى اللفظة في اللغة مع الاستشهاد بالشعر:

ومن ذلك تفســـيره لقوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: 1]. "معنى طه: يا رجل، وقال عكرمة: هو بالســـريانية كذلك، وحكى الطبري أنَّه بالنبطية يا رجل، قال: إِنَّ السَّـــفَاهَةَ طه مِنْ شَمَائِلِكُمْ ... لَا قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَلَاعِينِ. أي: يا رجل، وفي رواية: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ.

2. يذكر معنى اللفظة في اللغة مع الاستشهاد بالشعر وينص على القبيلة أو الأمة التي هي من لغتها: "قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: 1]. والصـــحيح أنَّ هذه الكلمة عربية بلغة عك وعكل، ومعناها: يا رجل، قال الكلبي: لو قلتَ في عك لرجل: يا رجل لم يجب حتى تقول طه، قال شاعرهم: دَعَوْتُ بِطه فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عليه أن يكون موائلا، ويُروى: مُزايلا".

3. يؤيد ما أتي به من فوائد لأمر من خلال قصَّة، ويستشهد له بالشعر.

ومن فوائد العصـا التنبيه على الانتقال من هذه الدار، كما قيل لبعض الزهاد: ما لك تمشـي على عصـاً، ولست بكبير ولا مريض؟ قال: إني أعلم أني مسافر وأنها دار بُلغة، وإن العصا من آلة السفر فأخذه بعض الشعراء فقال: حَمَلْتُ الْعَصَا لَا الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا عَلَيَّ وَلَا أَنِّي تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ

ولكنّني أَلْزَمْتُ نفسي حمْلَها لِأُعْلِمَها أنّي مقيمٌ على السفرْ

4. يذكر في تفســير توجيهاً للقراءات، ويســتشــهد لذلك بالشــعر وينص على القبيلة التي هي من لغتها: "قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَـاحِرَانِ﴾ [طه: 62]. وقرأ الباقون: إنَّ هذان لسـاحران. قيل: هي لغة بلْحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة، والتثنية في لغتهم بالألف أبداً فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسُعدَى. قال: إِنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي المجْدِ غَايَتَهَا"

وإن استعراض منهج ابن الضياء من حيث اللغة وضرب الأمثلة لها كثيرة، ولكن عسى فيما ذكر كفاية، وإنما القصد ضرب الأمثلة لا الحصر والشمول.

خلاصة المبحث: لقد اعتنى ابن الضياء في بيان معان ألفاظ القرآن الكريم، وكلماته التي تحتاج إلى بيان، واعتمد في ذلك على المعنى اللغوي، وأصلها واشتقاقها، ولغات القبائل، وبيَّن الوجوه الإعرابية في الآيات، وكان يستشهد في الشعر فيبين فيه معنى لفظة أو مستشهداً به للفوائد التي كانت في الآية، أو لتوجيه القراءات.

المطلب العاشر: عنايته في المسائل البلاغية

أولى العلماء رعاية واهتماماً كبيرين لكتاب الله تعالى وبلاغته، فهو المعجزة الخالدة، التي لا قبل لأحد أن يأتي بمثلها، وقد أبرز ابن الضياء في تفسيره العديد من الأساليب البلاغية، والنكات البيانية، التي تظهر إعجاز القرآن وجمال أسلوبه.

أولاً: تعريف البلاغة لغة واصطلاحا

1. البلاغة لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا، وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده[1].

البلاغة اصطلاحاً: «هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء

[1] ابن منظور، **لسان العرب**،فصل الباء الموحدة، 419/8.

الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم»[1].

ثانياً: المسائل البلاغية في سورة طه

تنوعت المسائل البلاغية، والنكات البيانية في سورة طه، وهذا واضح في تفسير ابن الضياء، ومن جملة هذه الفوائد التي تذكر على سبيل المثال:

1. الاستعارة المكنية: وذلك في "قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] أي: هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بَسْط، والتفسير بالنعمة والتمحل للتشبيه من ضَيْقِ العَطَنِ والمُسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام".

2. التنكير: وذلك في "قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ [طه: 69] أي هذا الجنس﴿ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: 69] أينما كان، فإن قلت: لمَ نُكّر الساحر أولاً وعُرّف ثانياً؟ فالجواب: إنما نُكّر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج: (في سَعيْ دُنيا طال ما قد مُدَّتِ) المراد: تنكير السعي لأنَّه مضاف إلى الدنيا".

3. **الاستعارة التصريحية:** يعرض ابن الضياء للاستعارة التصريحية في "قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22] إلى جنبك تحت العضد، وجناحاه جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر، سُمِّيا جناحين لأنَّه يُجْنِحُهما عند الطيران [35/أ] **الاحتراس والكناية:** دل على ذلك قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: 22] والسوء الرداءة والقبح في كل شيء، فكُنِي به

[1] الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، **علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»**، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2003م)، 8.

عن البرص، كما كُنِي عن العورة بالسَّوءة، وكان جذيمة صاحب الزَّبَّاء أبرشَ فكنَوا عنه بالأبْرص، والبَرَص أبغض شيء إلى العرب، وبهِمْ عنه نَفْرةٌ عظيمةٌ، وأسماعهم لاسمه مجَّاجَةٌ، فكان جديراً بأن يُكْنى عنه، ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أَحَزَّ للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه".

4. **المجاز**: وذلك في "قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أي: لتُربَّى على عيني أي: على وفق إرادتي، وهذا مجاز، وفي كيفية المجاز قولان، أحدهما: المراد من العين العلم، أي: تُرَبَّى على علم مني، ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات نحو الناظر أطلق لفظ العين على العلم. وثانيهما: المراد من العين الحراسة، وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما لا يريده بالعين، كأنَّها سبب الحراسة، فأطلق اسم السبب على المسبب مجازاً، وهو كقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، ويُقال عين الله عليك إذا دُعِي له بالحفظ والحِياطة".

الخلاصة: اعتنى ابن الضياء بالمسائل البلاغية، التي تظهر رونق القرآن الكريم وإعجازه، فأتي بالمسائل البلاغية المتنوعة، فأجاد وأبدع.

المطلب الحادي عشر: التفسير التحليلي عند ابن الضياء

إنَّ الأســلوب الذي يعتمده ابن الضــياء في تفســيره يبنى على عدَّة خطوات، وهي الغالبة على المؤلفات التفسيرية، وسأذكرها مع مثال واحد من تفسير ابن الضياء، وهي كالآتي:

أولاً: مقدمة للسورة: وتشمل على عدد النقاط:

1. اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها، وما ورد فيه من نصوص:

قال ابن الضياء: "سورة طه: مكية في قول الجميع، وهي مئة وأربعون أو واثنان، أو مئة وخمسون وثلاثون آية، وألف وثلاثمئة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً.

وأمَّا ما ورد فيه من نصوص: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتعالى قَرَأَ طه وَيس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعْتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ: طُوبَى لأُمَّةٍ يَنْزِلُ هَذَا عَلَيْهَا، وَطُوبَى لأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا، وَطُوبَى لأَلْسِنَةٍ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا»".

2. المكي والمدني فيها: قال ابن الضياء: قال صاحب التحرير: وهذه السورة مكية بلا خلاف.

3. فضائل السورة وخصائصها: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ السُّورَةَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا الْبَقَرَةُ مِنَ الذِّكْرِ الْأَوَّلِ، وَأُعْطِيتُ طه وَالطَّوَاسِينَ مِنْ أَلْوَاحِ موسى عليه السلام، وَأُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْقُرْآنِ وَخَوَاتِيمَ السُّورَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا الْبَقَرَةُ مِنَ كنز تَحْتِ الْعَرْشِ، وَأُعْطِيتُ الْمُفَصَّلَ نَافِلَةً".

ثانياً: إعراب الكلمات القرآنية، الموجودة في النص: ﴿تَنْزِيلاً﴾ [طه: 4] بدل من تذكرة إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له، لأنَّ الشــيء لا يُعَلَّلُ بنفســه، ويجوز أن ينتصِــب بِنُزِّل مضــمراً، وأن يُنصَــب على

المدح، وأن يُنصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسنٌ وإعرابٌ بيّن.

ثالثاً: تحليل الكلمات ومشتقاتها، وبيان تصريفها: "قال مجاهد: السِّرُ: العمل بالذي يُسِره الإنسان وأخفى منه الوسوسة. وقيل: السِّرُ هو العزيمة، وقيل: أنَّ السر ما حدثت به غيرك حديثاً خفياً، وأخفى منه ما حدثت به نفسك".

رابعاً: أسباب النزول: "وقال مجاهد: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَرْبِطُونَ الْحِبَالَ فِي صُدُورِهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالْفَرْضِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وقال مقاتل والضحاك: لما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالى﴿طه﴾أي: يا رجل ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه: 2] أي: لتتعب".

خامساً: مناسبة الآيات والسور: قال ابن الضياء: "اعلم أنَّ من جملة ما يدلُّ على اتصال هذه السورة بما قبلها هو أنَّ عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام مشتركان في الغموم والهموم بسبب الولادة، وفي الإنعام من الحضرة الإلهية بعدها في حقهما وفي حق والدتيهما على ما عرف، ومن تلك الجملة أيضاً أنَّ المقصود من تلك السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، وفي هذه السورة ما يدل عليها كذلك، ووجه اتصال أول هذه السورة بآخر السورة قبلها أنَّه لما كان المقصود بيان هذه الأمور بَيَّن الله سبحانه وتعالى في آخر تلك السورة أنَّه يسَّر ذلك البيان بلسان ليبشر به وينذر فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: 97] الآية، وهذا من النعم العظيمة والتشريفات الكريمات في حقِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسولُ بالغَ في العبادات ليلاً ونهاراً وأتعبَ نفسَه شكراً لذلك، فخاطبه في أوَّل هذه السُّورة بقوله: ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْـقَى﴾ [طه: 1-2]". وقال في موضـع آخر: "قال صـاحب التحرير: وجه ارتباط هذه الآيات بما قبلها أنَّه سبحانه وتعالى لما عظَّم حالَ القرآن وحالَ الرسول مما كلَّفه اَتبعه بما يُقوي قلبَ رسوله من ذكر أحوال الأنبياء تقويةً لقلبه في الإبلاغ، كقوله: ﴿وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُـلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]، وكرّر قصـة موسـى لأنَّ المحنة له [13/ب] وفتنته كانت أعظم ليُسَـلِّي قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ويُصبّره على حمل المكاره، ويأتسَّى بموسى عليه السلام بما ناله من قومه من الأذى، فقال: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾".

سادساً: القراءات القرآنية المتعلقة في النص: "﴿طُوًى﴾ [طه: 12] حيث كان منونٌ شامي وكوفي؛ لأنَّه اسم علم للوادي، وهو بدل، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة، وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين".

سابعاً: القضايا اللغوية في النص. "وقيل: إنها لغة معروفة في عُكْلٍ. وقيل: في عَكٍّ، ذكره الغَزْنَوي. وقال قطرب: هو بلغة طيّئ، وكذلك قال الحسـن: معنى طه: يا رجل، وقال عكرمة: هو بالسـريانية كذلك، وحكى الطبري: أنَّه بالنبطية يا رجل، وقال في التحرير والتحبير: والصـحيح أن هذه الكلمة عربية بلغة عك وعك، ومعناها: يا رجل".

ثامناً: القضايا البلاغية في النص: كقول ابن الضياء: "الأسماء الواردة في القرآن منها ما ليس لانفراده ثناء ومدحٌ، كقوله: جاعل وفالق وصانع، فإذا قيل: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ [الأنعام: 96]، صار مدحاً، وأمَّا الاسم الذي يكون مدحاً فمنه ما إذا قُرِنَ بغيره صار أبلغ، نحو قولنا: حيٌّ، فإذا قلتَ: الحي القيوم أو الحي الذي لا يموت كان أبلغ، وأيضـاً قولنا: بديع، فإنك إذا قلت: بديع السـماوات والأرض ازداد المدح، ومن هذا الباب ما كان اسم مدح، ولكن لا يجوز إفراده كقولك: دليل، وكاشف،

فإذا قيل: يا دليل المتحيرين، ويا كاشـــف الضـــر والبلوى جاز، ومنه ما يكون اســـم مدح مفرداً أو مقروناً كقولنا: الرحمن الرحيم" .

تاســـعاً: الفوائد المســـتفادة من النص: "﴿الرَّحْمَنُ﴾ [طه: 5] على المدح، أي: هو الرحمن ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] استولى، ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره".

الخلاصـــة: تبيّن من خلال خطوات الأســـلوب التحليلي وتطبيق الأمثلة عليه من تفســـير ابن الضـــياء أنَّ مفسرنا ابن الضياء كان قد انتهج هذا الأسلوب، وقد كان هذا الأسلوب منتشراً في تفاسير المتقدمين، وإن لم يكن الاسم الأسلوب التحليلي قد وضع إلا متأخراً.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الحمد وله الشكر،

لقد صاحبت الإمام ابن الضياء أكثر من أربع سنوات، حاولت فيها التعرف على حياته بشغف، وعلى نشأته والبيئة المحيطة به، كما حاولت التعرف على منهجيته في تفسيره ودراسته، وكانت نتيجة تلك المدة الزمنية كتابة هذا البحث، الذي كان في مقدمة وأربع فصول، فله الحمد.

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد دراسة وتحقيق هذا السفر العظيم من تفسير القرآن الكريم، (تفسير سورة طه) للعلامة ابن الضياء رحمه الله، أ أودُّ أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

النتائج والتوصيات

تناولت فصول هذه الدراسة كتاباً من كتب علم التفسير، (تفسير القرآن العظيم) للإمام ابن الضياء، من حيث مصادره ومنهجه، ومادته العلمية في سورة: طه، وأردت أن أذكر أبرز ما توصلت إليه من نتائج، لأذيِّل بها هذه الدراسة، إتماماً للفائدة:

1. كان لابن الضياء مكانة كبيرة في تأليف العلوم والفنون، فألَّف في التاريخ والفقه والتفسير وغيرها، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على ثقافته الواسعة، وعلمه الجم، وكثرة اضطلاعه، إفادته ممن كان قبله من أهل العلم.

2. العلامة ابن الضياء مفسِّر جامعٌ، وناقل ومقلد حافظ، ينقل الأقوال من كتب التفسير وغيرها، نقل فأبدع في حسن التصنيف والترتيب والعرض لما أورده من الأقوال، وردِّ المسائل إلى مصادرها التي اخذ مادته العلمية منها، لكنه كان يقف عند ذلك، فلم يجد الباحث له أي في مسألة أو ترجيح لها.

3. كان ابن الضياء من المدافعين والمناصرين لمذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة، فقد كان بورد أقوالهم، وأقوال مخالفيهم، من أهل الفرق كالمعتزلة وغبرهم.

4. تحدثت سورة طه: عن حكمة نزول القرآن الكريم، ثم عن قصة موسى عليه السلام، وجولته مع فرعون، ثمَّ تحدثت عن حياة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ثم تحدثت عن القرآن الكريم، وعن كونه يقصُّ من أخبار الماضين، وعن جزاء المعرضين عنه، وعن بعض خصائصه، ثم قصة آدم عليه السلام ثم خاتمة تناقش المعرضين، وتقيم الحجة على المعاندين.

5. يمثِّل تفسير ابن الضياء أهمية كبيرة في علم التفسير كغيره من التفاسير، فهو يعنى بشرح المفردات والألفاظ، ملمَّاً فيها باللغة والإعراب مع تعدد الوجوه، والقراءات والعقيدة-لبعض الآيات فيما يتعلق بالصفات وغيرها-، والمسائل الفقهية – وإن كان مقلَّاً فيها-، والمأثور من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم والتابعين، كما أنَّه اعتمد في تفسيره على تفاسير هي مصادر لمن جاء بعدهم، كتفسير: القرطبي والرازي والبغوي والكشاف وغيرهم.

6. جمع ابن الضياء في تفسيره بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور كمادَّةٍ علمية، فهو لم يأخذ من التفاسير بالمأثور بشكل مباشر، لكنَّ تفسيره كان مليئاً بالتفسير بالمأثور من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث، وأقوال الصحابة والتابعين.

7. كان ابن الضياء ينقل أقول الصوفية من تفاسيرهم، كتفسير التستري، وحقائق التفسير للسلمي، وكان ابن الضياء يقبل تفاسير الصوفية إذا لم تخالف الشرع.

8. يصرح ابن الضياء باسم القارئ، وأحياناً أخرى يذكر البلد التي ينتسب إليها القارئ، وأحياناً يترك القراءة مجهولة النسب((قرئ)، وأما بالنسبة للقراءة الشاذة: يذكرها دون الإشارة إليها أو التصريح بشذوذها، وقد يأتي بها لفائدة، كالاستدلال على المعنى، ونجده يستخدم العديد من أنواع العلل، للاحتجاج للقراءات.

9. تعرض ابن الضياء في تفسيره إلى بعض القضايا العقدية، في العديد من المواضع، وقد كان يورد رأي أهل السنة والجماعة وغيرهم، من خلال الآيات التي تتصل بالعقيدة، مع بالبرهان والدليل، وكان يذكر الأقوال لأهل السنة والجماعة ولغيرهم، من غير تفصيل أو تعقب.

10. وسطية ابن الضياء، فهو لا يميل إلى مذهب معين في تفسيره، بل نجده يعرض الأقوال من غير تعصب لأحد، مع أنَّه حنفي المذهب.

11. اعتنى ابن الضياء بالمسائل البلاغية، التي تظهر رونق القرآن الكريم وإعجازه، فأتي بالمسائل البلاغية المتنوعة، فأجاد وأبدع.

12. بالنسبة لتفسير الآيات في تفسير ابن الضياء، كان منهجه فيه: يذكر الآية، ويبدأ بتوضيح معاني الألفاظ فيها، من خلال اللغة أو الإعراب، ثمَّ يبيِّن وجوه القراءات فيها، وقد يذكر أحياناً قراءة شاذة لفائدة، كبيان معنى، ويؤيِّد ما ذكر بالأشعار، ثم يشير إلى المسائل الفقهية العقدية عند الحاجة إليها.

13. حوى تفسير ابن الضياء على العديد من الإسرائيليات، فقد كان ينقل النصوص من مصادرها من غير تعقيب أو تعليق، وكان يذكرها: باسمها الصريح أحياناً، أو يذكر الخبر مبيِّناً أنَّه لم يصحَّ منه شيء، أو يذكره بصيغة تضعيف. ولعل وجود الأخبار الإسرائيلية في تفسير ابن الضياء، وكان ذلك بسبب نقله من كتب كثر فيها الأخبار الغير صحيحة، كزهرة الرياض وغيرها.

14. تنوع مباحث علوم القرآن في تفسير ابن الضياء، كالناسخ والمنسوخ، والحروف المقطعة، وغيرها.

15. اعتنى ابن الضياء في بيان معان ألفاظ القرآن الكريم، وكلماته التي تحتاج إلى بيان، واعتمد في ذلك على المعنى اللغوي، وأصلها واشتقاقها، ولغات القبائل، وبيَّن الوجوه

الإعرابية في الآيات، وكان يستشهد في الشعر فيبين فيه معنى لفظة أو مستشهداً به للفوائد التي كانت في الآية، أو لتوجيه القراءات.

16. تبيّن من خلال خطوات الأسلوب التحليلي وتطبيق الأمثلة عليه من تفسير ابن الضياء أنَّ مفسرنا ابن الضياء كان قد انتهج هذا الأسلوب، وقد كان هذا الأسلوب منتشراً في تفاسير المتقدمين، وإن لم يكن الاسم الأسلوب التحليلي قد وضع إلا متأخراً.

التوصيات.

1. أوصي طلاب العلم بتحقيق التراث والعناية به، في مراحلهم الدراسية، وذلك للفائدة الكبيرة من هذا التراث، من اضطلاع على مصادره، وغزارته العلمية، وللمساهمة في حفظه من الضياع، وإخراجه حلَّة جميلة للعالم الإسلامي.

2. أوصي طلاب العلم، وخاصَّة الباحثين منهم، بتعلم كل ما يفيد في تحقيق التراث، من برامج الحاسوب، والبرامج التقنية، مما تساعد في إتقان العمل واكتساب الوقت.

3. أوصي إخواني بمتابعة تحقيق الأجزاء المتبقية من المخطوط، والبحث عن الأجزاء الأخرى له إن كانت موجودة على سبيل الخصوص، وتحقيق مخطوطاته عموماً، لتخرج للمكاتب الإسلامية تضيء درب المتعلمين والدارسين.

4. أوصي الجامعات بتدريس كتب ابن الضياء، ومنهجيته في كتبه التي قد ألفها.

وعلوم القرآن، والسماح كذلك بخروجها إلى عالم المكتبات؛ لتعم الفائدة وينشر الخير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ).
- إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، (الرياض: دار الحضارة للنشر، ط1/ 1429هـ).
- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،1404هـ).
- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **العقوبات**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416).
- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **القبور**، (مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1420هـ).
- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **قصر الأمل**، (بيروت: دار ابن حزم، ط2، 1417هـ).
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف، **صفة النار**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1417هـ).
- ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، (كراتشي: مير محمد كتب خانه، من دون طبعة وتاريخ النشر).

- ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، **المصنف في الأحاديث والآثار**، (الرياض، مكتبة الرشيد، ط1، 1409هـ).
- ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي، **السيرة النبوية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ).
- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **اللباب في تهذيب الأنساب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1994م).
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ).
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، **غاية النهاية في طبقات القراء**، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ).
- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **صفة الصفوة**، (القاهرة: دار الحديث، ط: 1421هـ).
- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **صيد الخاطر**، (دمشق: دار القلم، ط1، 2004م).

- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412 هـ).
- ابن السبكي الزبيدي العِراقي، **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، (الرياض: دار العاصمة للنشر، ط1، 1408هـ).
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، **كتاب الألفاظ**، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م).
- ابن الضياء، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ).
- ابن العماد، العَكري عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، أبو الفلاح، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ).
- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف الشيباني، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، (إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1416 هـ).
- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، **طبقات الأولياء**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1415 هـ).
- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ).
- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ).

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **لسان الميزان**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1390هـ).
- ابن حجر، العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1392هـ).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ دمشق**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ).
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية**، (بيروت: دار هجر، ط1، 1418 هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، **طبقات الشافعيين**، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، من دون طبعة، 1413هـ).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ).
- أبو أحمد الحاكم الكبير، محمد بن محمد بن أَحمد بن إِسحاق النيسابوري الكرابيسي، **الكنى والأسماء**، (القاهرة، دار الفاروق للطباعة والنشر، ط1، 1436).
- أبو أحمد بن عدي الجرجاني، **الكامل في ضعفاء الرجال**، (بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).

- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، **الموافقات**، (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ).
- أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، **قصص الأنبياء المسمى بالعرائس**، (القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية، إهداءات 2000م).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، **أسباب نزول القرآن**، (الدمَّام: دار الإصلاح، ط2، 1412هـ).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي،**النكت والعيون**، (بيروت: دار الكتب العلمية، من دون رقم وتاريخ طبعة).
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (دار مكتبة الحياة، بدون طبعة).
- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ).
- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ).
- أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، (مصر: دار السعادة، ط1، 1324هـ).

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي**، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم وتاريخ طبعة).
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع **الصحيح «صحيح مسلم»**، (تركيا: دار الطباعة العامرة، 1334هـ).
- أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، (جدة: دار المنهاج، ط1، 1421هـ).
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، من دون ذكر طبعة وتاريخها).
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1972م).
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، (مصر: مؤسسة الحلبي، بدون ذكر طبعة، 1387).
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **اختصار علوم الحديث**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1951).
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **الفصول في السيرة**، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط3، 1403هـ).
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).

- أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، **تاج التراجم**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1413 هـ).
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء الغمر**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1368م) .
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ).
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **نزهة الألباب في الألقاب**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ).
- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، (المغرب: مطبعة فضالة، ط1، 1970م).
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (بيروت: دار القلم، ط1، 1412هـ).
- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، **تاريخ دمشق**، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ).
- أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، **لباب التفاسير**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسائل دكتوراه).
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3 ،1407 هـ).

- أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، **الناسخ والمنسوخ**، (بيروت: المكتب الإسلام، ط1، 1404هـ).
- أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ).
- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، مال الدين، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، من دون طبعة، 1984م).
- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **نسب معد واليمن الكبير**، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ط1408/1هـ).
- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ).
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي من حديث معقل بن يسار، **شعب الإيمان**، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 2003م).
- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **السنن الكبرى**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، 1424 هـ).
- أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1988-2009م).
- أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي، **المصاحف**، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ).

- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ).
- أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، **السنة**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1400).
- أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي، **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، (دمشق: دار الخير، ط1/ 1994م).
- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، **المصنف**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ).
- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط5، 1414هـ).
- أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، (بيروت: دار التراث، ط2، 1387هـ).
- أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، **الناسخ والمنسوخ**، (الكويت: مكتبة الفلاح، ط1، 1408هـ).
- أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، **الضعفاء الكبير**، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ط1، 1404هـ).
- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، **التقاسيم والأنواع –صحيح ابن حبان**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1433هـ).

- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1433هـ).
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، **قواعد العقائد**، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1405هـ).
- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).
- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت: دار الفكر، ط 1420هـ).
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، (بيروت: الكتبة العصرية، ط1، 1430هـ).
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال).
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبان، **الزهد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1420هـ).
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **فضائل الصحابة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ، 725/2).
- أبو عبد الله البخاري، **الأدب المفرد**، (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة 1، 1419 هـ).
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم من حديث معقل بن يسار، **المستدرك على الصحيحين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م).

- أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي، **البر والصلة**، (الرياض: دار الوطن، ط1، ١٤١٩هـ).
- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ).
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، (الرياض: دار المنهاج، ط1، 1425).
- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1968م).
- أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري، **مسند الشهاب**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ).
- أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي، **تفسير مبهمات القرآن «الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل»**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1411هـ).
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، **معالم أصول الدين**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ).
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، **المدخل**، (بيروت: دار التراث، بدون طبعة وتاريخ).
- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، **غريب الحديث**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1404هـ).

- أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، فضائل القرآن للقاسم بن سلام، **كتاب فضل القرآن ومعالمه وأدبه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1415هـ).
- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ).
- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، (بيروت، دار الجيل، ط5،1401هـ).
- أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم**، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 1439هـ).
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، **الاستذكار**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421).
- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، **المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**، (المملكة العربية السعودية: ط1، 1435هـ).
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، **سنن الترمذي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ).
- أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، (دار الذخائر: ط1، ٢٠١٦م).
- أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط1، 1439هـ).

- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ).
- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، **مسند الدارمي**، (المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ).
- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، **مسند الدارمي**، (المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 2000م).
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **المعارف**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م).
- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، **منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1428هـ).
- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، (جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ).
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ).
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **دلائل النبوة**، (بيروت: دار النفائس، 1986م).

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (بيروت: دار الكتب العلمية ط ١٤٠٩هـ).
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، **التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، 1996م).
- أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1419هـ).
- أحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1973م).
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، **الدعوات الكبير**، (الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ط1، 2009م).
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، **مسند أنس بن مالك**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ).
- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ).
- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، (بيروت: دار الكتب العلمية، من دون ذكر طبعة، 2012م).
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار المعرفة، من دون رقم طبعة، 1379هـ).
- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس المسمى «زهر الفردوس»**، (دبي: جمعية دار البر، ط1، 1439هـ).

- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1499هـ).
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ).
- أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي، **مباحث التفسير لابن المظفَّر**، (المملكة العربية السعودية: كنوز إشبيليا، ط1، 1430هـ).
- أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت، المكتبة العلمية، بدون ذكر رقم وتاريخ طبعة).
- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، **الفتح المبين بشرح الأربعين**، (جدة: دار المنهاج، ط1، 1428هـ).
- أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ).
- أحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).
- أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، **السبعة في القراءات**، (مصر: دار المعارف، ط2، 1400).

- أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (الرياض: عالم الكتب، ط1، 1429هـ).
- إسحاق بن الحسين المنجم، **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ).
- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1998م).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (بيروت، طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، **التاريخ الكبير**، (الرياض: الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1440هـ).
- بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1431هـ).
- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (مصر: دار طيبة، ط4، 1417هـ).
- البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد، **روضة أولي الألباب في معرفه التواريخ والأنساب**، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2007 م).

- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405 هـ).
- التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، **تفسير التستري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1423 هـ).
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، **مقدمة في أصول التفسير**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، بدون رقم طبعة، 1490هـ).
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، (مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1427هـ).
- تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1998م).
- تقي الدين محمد بن أحمد بن طي الفاسي، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2000م).
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (بيروت: إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).
- جرير. **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، (القاهرة: دار المعارف، ط3).
- جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، **خصائص السور**، (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1420هـ).

- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، (باكستان: إدارة العلوم الأثرية، ط1، 1401هـ).
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1998م).
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ).
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).
- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، (السعودية: مكتبة الخانجي، ط1).
- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت: دار الساقي، ط4، 1422هـ).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، (إستانبول: مكتبة إرسيكا، 2010 م).
- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، **الحجة للقراء السبعة**، (بيروت: دمشق: دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ).
- الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، **الحجة في القراءات السبع**، (بيروت: دار الشروق، ط4، 1401هـ).
- خالد محسن حسان الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1413هـ).

- خالد محسن، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 2005م).
- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، (الرياض: مكتبة المعارف، 1403هـ).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، **تاريخ بغداد**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ).
- د. حسن عت، **الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1988م).
- د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، **فصول في أصول التفسير**، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ).
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، **سنن الدارقطني**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1424 هـ).
- الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، **علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»**، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2003م).
- الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط7، 2000م).
- الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي محمد بن موسى بن عيسى بن علي، **حياة الحيوان الكبرى**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ).
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر**، (مصر: عيسى البابي الحلبي، 1414 هـ).

- الديلمي، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس المسمى «زهر الفردوس»**، (دبي: جمعية دار البر، ط1، 1439هـ).
- الدينوري، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **سير أعلام النبلاء**، (القاهرة: دار الحديث، ط 1427).
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، خطيب الري، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420 هـ).
- رمزي نعناعة، **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1390هـ).
- زاهية قدوره، **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول**، (بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط1، 1988م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط1، 1412هـ).
- الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط1، 1414هـ).

- زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2004م).
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ).
- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ).
- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1409هـ).
- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (القاهرة: عالم الكتب، ط ذ، 1410هـ).
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، (مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ).
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ).
- سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، (دمشق: دار النوادر، ط1، 1429هـ).

- سعيد أحمد بن صغير أحمد هندي، **أثر الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي بالهند (١٨٥٠ م – ١٩٥٠ م) دراسة نقدية**، (المدينة المنورة: أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1423هـ).
- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، **طبقات الصوفية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ).
- السلمي، أبي عبد الله محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، **حقائق التفسير = تفسير القرآن العزيز**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م).
- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الصغير**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1405).
- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير**، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2).
- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، (القاهرة: دار الحرمين، 1424هـ).
- سليمان بن داوود سقسيني، **زهرة الرياض**، مخطوط.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ).

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات المفسرين العشرين**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1396هـ).
- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434).
- الشعراء الهذليون، **ديوان الهذليين**، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، من دون ذكر طبعة، ١٣٨٥هـ).
- الشَّعْراني، أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، (مصر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، 1315 هـ).
- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**، (بيروت، دار الكتب العلمية، من دون رقم وتاريخ طبعة).
- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، **شرح طيبة النشر في القراءات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1420).
- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1412).
- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، (بيروت: الكتب العلمية، ط1، 1414هـ).
- شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي»، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ).

- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 1382هـ).
- شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي، **ذيل تذكرة الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1419هـ).
- شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ).
- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ).
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، **طبقات الفقهاء**، (بيروت: دار الرائد العربي، ط1، 1970م).
- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط24، 2000).
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، **الوافي بالوفيات**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1420هـ).

- صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، **فوات الوفيات**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1973م).
- طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، (لبنان: عالم الكتب، ط1، 1403هـ).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، **الدعاء**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ).
- عادل نويهض، **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، 1409 هـ).
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (القاهرة: دار الفضيلة، بدون ذكر رقم وتاريخ طبعة).
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394هـ).
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، (بيروت: دار الفكر، بدون ذكر طبعة).
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ).
- عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، (مصر: المطبعة الكاستلية، من دون رقم طبعة، 1283هـ).

- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ).
- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م).
- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977م).
- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، **الأنساب**، (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1382هـ).
- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، **لطائف الإشارات**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3).
- عبد الله بن المبارك المروزي، **الزهد والرقائق لابن المبارك**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2004م).
- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي، **الاختيار لتعليل المختار**، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ط1، 1937م).
- عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري، **الجامع في الحديث**، (الرياض: مكتبة ابن الجوزي، ط 1، 1416هـ).
- عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985).

- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ) .
- عبد الملك بن قريب الأصمعي، **ديوان العجاج**، (بيروت: دار الشروق العربي، من دون طبعة، 1416هـ).
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، **البيان في عدّ آي القرآن**، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1414هـ).
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، **التيسير في القراءات السبع**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1404هـ).
- علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ).
- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، ١٣٩٨هـ).
- علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1998م).
- علي بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن السمهودي القاهري الشافعي، **الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة**، (الرياض، دار اللواء، ط1، 1401هـ).

- علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، **جمال القراء وكمال الإقراء**، (بيروت: دار المأمون للتراث، ط1، 1418هـ).
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ).
- علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، **أحكام القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1405هـ).
- علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين القاري، **شرح الشفا**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ).
- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1414هـ).
- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بدون ذكر الطبعة).
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **الحيوان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1422هـ).
- عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه، **الكتاب**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ).
- الفاسي، تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني، محمد بن أحمد بن علي، **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ).

- فواز علي بن جنيدب الدهاس، **المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**، (السعودية: مجلة الجمعية التاريخية، العدد الثاني، يوليو 2000م).
- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ).
- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (عمان: دار الفيحاء، ط2، 1407هـ).
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412 هـ).
- الكواشي، أبي العباس أحمد بن يوسف بن الحسين، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1440هـ).
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، **موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني**، (بيروت: المكتبة العلمية، ط2).
- مالك بن أنس، **الموطأ**، (الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط1، 1425هـ).
- المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ).
- مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، **تفسير مجاهد**، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1410هـ).

- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1985م).
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ).
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، **معاني القراءات**، (المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب –جامعة الملك سعود، ط1، 1412هـ).
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، **التاريخ الكبير**، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية).
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، (دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418هـ).
- محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1436هـ).
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (بيروت: دار هجر، ط1، 1422هـ)، 5/16.

- محمد بن خليفة بن علي التميمي، **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1419هـ).
- محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي الطرابلسي الحنفي، **اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، ١٤١٥ هـ).
- محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبير**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1421هـ).
- محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409هـ).
- محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، **البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج**، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ).
- محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، (القاهرة: مكتبة السنة، ط4، 1408هـ).
- محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، (القاهرة: مكتبه السنة، ط2، 1423هـ).
- محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ).
- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1426،1هـ).
- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).

- محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، **تذكرة الموضوعات**، (مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ط1، 1343هـ).
- محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1362هـ).
- محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، (دار الفضيلة: من غير رقم طبعة وتاريخ).
- مصطفى الخن، **مبادئ العقيدة الإسلامية**، (دمشق، جامعة دمشق، ط9، 1416هـ).
- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطينية المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بغداد: مكتبة المثنى، 1941م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي– لبنان، ط1، 1423هـ).
- مناع بن خليل القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ).
- موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، **المغني**، (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ).
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

- نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، **التيسير في التفسير**، (إسطنبول: دار اللباب، ط1، 1440هـ).
- النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1404هـ).
- النسفي، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود، **شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى الاعتماد في الاعتقاد**. (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1432هـ).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، **مدارك التنزيل وحقائق التأوي**ل، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419 هـ).
- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1416هـ).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات**، (بيروت: دار الكتب العلمية عن الطباعة المنيرية).
- الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414 هـ).

- اليعمري، برهان الدين، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر).
- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، **شرح المفصل للزمخشري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).
- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ).
- يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي، **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، (الشارقة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط1، 1428هـ).

السيرة الذاتية

أكمل الباحث دراساته الأولية ثم التحق معهد الفتح الإسلامي في الدراسات الإسلامية والعربية/ دمشق عام 2003م، ثم حصل على الشهادة الجامعية من معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، بيروت عام 2010م، ثم حصل على شهادة جامعية في الدراسات الإسلامية والعربية من كلية الدعوى الإسلامية، ليبيا عام 2013م.

التحق الباحث في كلية الدعوة الإسلامية في بيروت عام 20015م. لإكمال دراسة الماجستير، شعبة الاقتصاد الإسلامي.

التحق الباحث في جامعة مانيسيا لدراسة الدكتوراه، تخصص اللغة العربية لغير الناطقين بها.

الباحث مجاز في قراءة حفص تلاوة بالسند وأخرى ضبط وإتقان/ بيروت 2010م.

الأعمال العلمية:

- دراسة وتحقيق مخطوط واقعات المفتين العلامة الشيخ عبد القادر ابن يوسف الشهير بقدري أفندي.
- دراسة وتحقيق تفسير القرآن العظيم للعلامة أبو البقاء بهاء الدين محمد بن أحمد بن الضياء.
- دراسة وتحقيق جزء من ديوان فتح المجيب في مدح الحبيب ﷺ للشيخ عيسى البيانوني.
- مشاركة في مؤتمر الملتقي العالمي للدراسات العليا" التكامل المعرفي بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية واقع وآفاق، 29-10-2022م.
- قالة التفسير والمفسرون في سوريا في العصر الحديث، مقالة ابن الضياء ومنهجه في تفسير القرآن.
- مدرس اللغة العربية لغير الناطقين بها في مدرسة أناضول إمام خطيب –ولاية سامسون–تركيا.
- مدير القسم الديني في جمعية الخير الإغاثية.
- مدرس مادة التربية الإسلامية في الثانويات السورية.

İBNU'Z-ZIYA'NIN TEFSIRINDEKI METODU: TAHA SURESI ÖRNEGINDE BIR İNCELEME VE TAHKIK

2023
DOKTORA TEZİ
TAMEL İSLAM BİLİMLERİ

Musab ALSAFAR

Tez Danışmanı
Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN